

جامعة الكوفة ـ كلية الآداب

قسم اللغة العربية

آيات الأحكام في القرآن الكريم
دراسة فنية

رسالة قدمتها إلى

مجلس كلية الآداب في جامعة الكوفة

الطالبة

وئام كاظم جواد سميسم

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في

اللغة العربية وآدابها

بإشراف

أ.م.د. حاكم حبيب الكريطي

١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ

وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ

* لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا

تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا

رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا

عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة البقرة : ٢٨٥-٢٨٦

المشرف العلمي

اشهد أنّ إعداد هذه الرسالة(آيات الأحكام في القرآن الكريم ــ دراسة فنية) قد جرى تحت إشرافي في كلية الآداب/ جامعة الكوفة،بمراحلها كافة وأرشحها للمناقشة.وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها.

الإمضاء:

الاســـم:أ.م.د حاكم حبيب عزر الكريطي

التاريخ: / /٢٠٠٨

بناءً على ترشيح السيد المشرف العلمي وتقرير الخبيـــر العلمـــي أرشـــح الرســـالة للمناقشة.

الإمضاء:

رئيس قسم اللغة العربية

أ.م.د خليل عبد السادة إبراهيم

التاريخ:

الشكر والتقدير

وإذا كان من الواجب أن يذكر أهل الفضل بفضلهم،وأن يرد الحق إلى أهله،فقد كان من فضل الله عليَّ أن يؤول أمري في هذه الرسالة إلى الأستاذ المساعد الدكتور حاكم الكريطي، ليشرف على عملي فيها، بعد إشرافه على رسالتي للماجستير. فيصرف فيها جهده ووقته ومعرفته،ويهبها جلَّ اهتمامه وأنظاره، فله من الله جزيل الأجر والثواب،ومني الشكر العظيم والثناء الجميل والوفاء الخالص.

والشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور عبد علي الخفاف، عميد كلية الآداب ـ جامعة الكوفة،الذي كان له الفضل العظيم في بلوغي هذه المرحلة.

وأتقدم بالشكر والعرفان إلى أستاذي الاستاذ الدكتور محمد حسين علي الصغير،الذي وطدّ لي نطاق البحث،ورفده بمؤلفاته القيمة،وأعارته المصادر من مكتبته.

وأتقدم بالشكر والإخلاص إلى الأستاذ الدكتور زهير غازي زاهد،والأستاذ الدكتور عبد الأمير زاهد، لما منحاه إياي من بحوثهما القيمة.

وأتقدم بالشكر الجزيل والاحترام لأساتذتي الأفاضل في قسم الدراسات العليا في كلية الآداب ـ جامعة الكوفة، الذين كان لهم الفضل الكبير في بلوغي الهدف المعرفي.

وأسدي شكري وتقديري لكل من كانت له يد في مساعدتي،وأخصّ زملائي الدكتور سيروان الجنابي،والمدرس المساعد ستار عبد الله جاسم،

وأتقدم بالشكر الوافي إلى كل العاملين في المكتبات التي ارتدتها ومراكز الأبحاث وأخص المكتبة الأدبية المختصة.

شكري الجميل،ودعائي المجاب ـ إن شاء الله تعالى ـ ان يوفق الجميع لما يحب ويرضى.

إنه نعم المولى ونعم النصير

الإهداء

إلى

سيد المرسلين

وإمام المتقين

وصفوة العالمين

النبيّ الأعظم محمد الأمين رسول ربِّ العالمين

(صلى الله عليه وآله وسلم)

((بضاعة مزجاة))

المحتويات

المقدمة..١ـــ٥

التمهيد...٦ـــ١٠

الفصل الأول: وظائف آيات الأحكام........................... ١١- ٧٨

المبحث الأول: الوظيفة الاجتماعية.........................١٣ـــ٤١

المبحث الثاني: الوظيفة النفسية...........................٤٢ـــ٥٥

المبحث الثالث:الوظيفة الأخلاقية..........................٥٦ـــ٧٨

الفصل الثاني:الأداء البياني....................................٧٩ـــ١٧٢

المبحث الأول :الاستعمال المجازي........................٨٠ـــ١٠٨

الاستعمال المجازي في آيات الأحكام........... ٨٤ـــ١٠٨

المبحث الثاني:فن التشبيه............................ ١٠٩ ـــ١٣٢

فن التشبيه في آيات الأحكام...........................١١١ـــ١٣٢

المبحث الثالث: التصوير الاستعاري.......................١٣٣ـــ١٥٢

التصوير الاستعاري في آيات الأحكام...............١٣٥ـــ١٥٢

المبحث الرابع:التعبير الكنائي..............................١٥٣ـــ١٧١

التعبير الكنائي في آيات الأحكام.......................١٥٦ـــ١٧١

الفصل الثالث:قضايا أدبية.....................................١٧٢ـــ٢٤٨

المبحث الأول:المعنى الأول................................١٧٣ـــ١٨٩

المبحث الثاني:المعنى الثانوي(معنى المعنى)....................١٩٠ـــ٢٠٦

المبحث الثالث:الخبر والإنشاء...............................٢٠٧ـــ٢٣٣

الخبر...٢٠٨ـــ٢١٠

الانشاء...٢١١ـــ٢١٣

التراكيب الخبرية والانشائية في آيات الأحكام............٢١٣ـــ٢١٤

الآيات الخبرية..............................٢١٤ـ٢١٨
الآيات الإنشائية............................٢١٨ـ٢٢٤
التبادل الدلالي بين الجملة الخبرية والإنشائية..............٢٢٥ـ٢٣٢
التضافر الدلالي بين الخبر والإنشاء......................٢٣٢ـ٢٣٣
المبحث الرابع: التقديم والتأخير.........................٢٣٤ـ٢٤٨

الفصل الرابع:الأنماط الموسيقية...............................٢٤٩ـ٢٩٩
المبحث الأول: جرس الحروف والألفاظ.....................٢٥٠ـ٢٦٩
جرس الحروف.................................٢٥٠ـ٢٦٠
جرس الألفاظ.................................٢٦٠ـ٢٦٩
المبحث الثاني: تنوع أساليب الإيقاع.........................٢٧٠ـ٢٩١
التكرار.......................................٢٧١ـ٢٧٧
الجناس.......................................٢٧٧ـ٢٨٢
الفاصلة القرآنية...............................٢٨٢ـ٢٩١
المبحث الثالث: التركيب الإيقاعي العام......................٢٩٢ـ٢٩٩
الموازنة.......................................٢٩٢ـ٢٩٩

الخاتمة...٣٠٠ـ٣٠٤
ثبت المصادر والمراجع ٣٠٥ـ٣٣٠
الملخص باللغة الانكليزية.......................................١

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله فوق حمد الحامدين،والشكر له فوق شكر الشاكرين،والصلاة والسلام على من بعثه رحمة للعالمين،أشرف الخلائق أجمعين سيد الأنبياء والمرسلين محمد الأمين وآله الصفوة الطاهرين وصحبه المنتجبين.

وبعد:

فإن القرآن الكريم غني بأساليب الفنون، حافل بمزايا الجمال، وجامع لعلوم العربية والمعارف الإسلامية، فكان معين الفكر الاسلامي الذي لا ينضب، فلم يصل العلماء والباحثون إلى قرار محيطه،ولم يبلغوا قمم طوده، لما زخر من فنون الأقوال وبواعث الأفكار، فانفرد بسمو الأساليب ومعجز التراكيب.

ومن هنا تنوعت أدوات الوصول إلى أسراره، وفهم مرامي دلالاته، غير أن الإحاطة بالأبعاد النقدية واستقصاء الأنماط البلاغية، وتتبع مزاياه الأسلوبية وخصائصه التعبيرية على وجه الشمول والاستيعاب، أمر في غاية الصعوبة. يتطلب جهدا متضافرا لإنجاز العمل بشكل تام.

وعلى الرغم من الجهود المبذولة في حقل الدراسات القرآنية، فهي مازالت بحاجة إلى المزيد من الأبحاث ألأدبية القرآنية،وذلك للكشف عن القدرة الفنية والأداء التعبيري الأصيل في لغة القرآن الكريم .

ومن هذا المنطلق، جاءت دراستنا لجزء مهم من القرآن هو جانبه التشريعي ، فكان عنوان بحثي(آيات الأحكام في القرآن الكريم،دراسة فنية) موضوعا لدراستي، للحصول على الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها.

ويعود سبب الاختيار لهذا الجزء من القرآن العظيم، رفعة موضوعه وروائع فنونه، الذي يجمع بين الأدب والشريعة، فكان خير باعث في خدمة الغرضين.وإذا

ما علمنا أن الأبعاد الفنية في آيات الأحكام ترتبط بها ارتباطا خاصا يكشف عن مدى أهمية الجانب الفني في النص التشريعي.

وتعريفا بموضوع البحث، الذي خصص لدراسة آيات الأحكام فنيا، فهي بخصائصها الموضوعية ينبوع يترشح منه الأسس والقوانين التشريعية التي تضم مناهج الحياة الإنسانية، لتصل بها إلى السمو والفوز، فكانت دستور الإسلام الأول، المتضمن سلسلة المعارف الاعتقادية والأصول الأخلاقية والعملية.

وعلى هذا الأساس، فإن مضمون النص ودلالته،هما الأصل الذي يروم النص الكريم إيصاله إلى المتلقي،ومن ثم تحفيزه على الإيمان والالتزام به،وعلى الرغم من ذلك فلم تأتِ النصوص التشريعية، بلغة مباشرة في طرح الحقائق على وفق الأداء العقلي او الفكري، بل روعي الأداء الجمالي والأسلوب الفني بشكل واضح.

وقد يخال ان فنية التعبير فيها جاءت لتوافق ذائقة البيئة الأدبية عصر نزوله إلا ان من يدقق النظر، يجد ان هناك سببا غير ذلك يكمن وراءها.

ومرد ذلك يعود الى أمرين، الأول: هو معرفة النص بخبايا الإنسان وطبيعته وطرائق الاستجابة لديه، أما الأمر الآخر: فهو أهمية العنصر الفني في نصوص القول وارتباطه بالوجدان والعاطفة. ومن هنا استثمر النص هذه المزية، في بث الحقائق التي يرمي النص الحكمي الى إيصالها للأذهان. فكان الفن بخواصه وامكاناته أداة فاعلة في بلوغ المقاصد،وإحداث الاستجابة التي يستهدفها النص الشرعي من خلال الضاغط الوجداني، وبلورة الحقائق الشرعية وتمريرها بتمام مؤدى.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة، في التنظير أو تأسيس حقل أدبي نأمل أن يكون له حيز مستقل ،وهو الأدب التشريعي لما له من أهمية مضمونية وشكلية، فلم تخضع النصوص التشريعية بدراسة فنية مستقلة، تأخذ حيزها في الهيكل البحثي في الدراسات القرآنية الأدبية.

وهي تهدف أيضا إلى إبراز القيم الفنية في النصوص التشريعية،ومحاولة رصدها في مختلف أشكال التعبير نظرا لأهميتها في تمتين الدلالة المعنوية في النص ومنحها جمال الأداء وإيحاءات القصد وتكثيف التصوير الفني عبر السياقات البيانية والأسلوبية والوقوف عند أسرار التعبير المعجز وبيان مقاصده لتقريب مفاهيمه الكريمة بالأساليب التي جاء بها، ومن ثم أثره في ترقية الذوق ألأدبي وتأصيل القواعد الفنية التي تنبثق من النص التشريعي.

فهي دراسة شمولية غايتها التوسع في التعامل مع النص القرآني انطلاقا من القضايا الفنية مرورا بتحليل الأداء النصي لآية الحكم الشرعي، حيث حرصت على أن تكون متوازنة في الجمع بين جمال الأسلوب وتفرد المضمون الفكري ورفعته. فكانت الدراسة الفنية جزءا من أدوات فهم مقاصد النص القرآني ومراده.

منهجية البحث:

تتلخص منهجية هذه الدراسة بالوصف والتحليل والموازنة ، في تلمس الحقائق وتتبعها من جوانب مختلفة،والتنظير لأهم القضايا والمواضيع الأدبية والفنية مع ملاحظة الأدوات التفسيرية،ومقارنتها مع آراء الفقهاء على تباين مذاهبهم، من دون التقيد بمذهب دون آخر، ومناقشتها للوصول إلى الحقيقة الفنية والدلالية،ومن ثم تحليل النصوص القرآنية للوصول إلى أحكام فنية صحيحة لما نظّر له.

وكانت الدراسة الفنية مبنية على القيمة الفنية للنص من خلال مقارنتها مع القيم النقدية والأدبية، وإخضاعها للمقاييس الفنية المنظر لها ومدى تلاؤم النص الكريم مع تلك المقاييس.

ولم تقتصر الدراسة على أحكام دون أخرى، بل تناول البحث القضايا الشرعية كافة من(العبادات،والعقود، والإيقاعات،ومسائل أصول الفقه ،والقواعد الفقهية،والأحكام العامة).

وقد عمدت في بعض الأحيان على تكرار الآية في أكثر من موضع من البحث، وهدفي لفت الأنظار إلى التكثيف الفني في الآية الواحدة.

نطاق البحث وهيكلية:

اقتضت ضرورة هذه الدراسة أن تنتظم في تمهيد واربعة فصول، سبقت بمقدمة،وختمت بخاتمة.

حيث تكفل التمهيد في عرض الأبعاد الاصطلاحية لآيات الأحكام ونشأتها والأسس التي تقوم عليها آية الحكم،وعدها كذلك.

فكان الفصل الأول بعنوان(وظائف آيات الأحكام) وكان هذا الفصل حافلا باستنطاق المكامن الفنية في آيات الأحكام من جهة وظائفها المتعددة، فلمسنا بذلك(وظيفة اجتماعية وأخرى نفسية، وأخيرة أخلاقية).

وانعقد الفصل الثاني بعنوان(الأداء البياني)،وقد عني بالأبعاد الفنية والعناصر الجمالية من وجهة بلاغية، فتوزع في أربعة مباحث(الاستعمال المجازي، وفن التشبيه، والتصوير الاستعاري، والتعبير الكنائي).

أما الفصل الثالث ، فخصص لدراسة الأبعاد الأدبية من الوجهة الدلالية والأسلوبية، فكان بعنوان(قضايا أدبية)، واندرج تحته أربعة مباحث، تحدثنا فيها عن(المعنى الأول، ومعنى المعنى، والخبر والإنشاء، والتقديم والتأخير).

وأما الفصل الرابع ، فقد عني باستقصاء ودراسة(الأنماط الموسيقية) في آيات الأحكام،وكان ذلك في ثلاثة مباحث، وقفت عند الإيقاع والموسيقى، الذي اطر الآية الشرعية واسهم في تعزيز الأداء الفني، وكان على ثلاثة مباحث، تضمنت(جرس الحروف والألفاظ،وتنوع أساليب الإيقاع (الجناس، والتكرار،والفاصلة القرآنية)، وكان الأخير يبحث في التركيب الإيقاعي العام(الموازنة).

وبعد هذه الدراسة، ختمت البحث بخاتمة عرضت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في فصولها الأربعة.

المصادر والمراجع:

ولكي يستوي البحث على سوقه، لا بد من الوقوف عند المصادر القديمة والمراجع الحديثة، للإفادة منها قدر الحاجة إليها.

فقادنا موضوع البحث إلى مصادر أصول وهي كتب تفسير آيات الأحكام،وكتب التفاسير، وعلوم القرآن، فضلا عن كتب البلاغة والبلاغة القرآنية،وبعض مصادر النقد والأدب، وكتب اللغة والدلالة. وهناك كتب ثانوية تكمل تلك المصادر وهي كتب علم الاجتماع وعلم النفس وعلم الأخلاق، مضافا إلى إفادتنا من كتب الأصول والفقه، لما لها من علاقة مع موضوع البحث. وقد أشرنا إليها في هامش الرسالة وثبت المصادر والمراجع.

وقد اعتمدت على كتاب (دروس تهميديه في تفسير آيات الأحكام،للإيرواني)،وذلك لحداثة هذه الدراسة وإحصائها آيات الأحكام، بحسب المسائل الفقهية وتفسيرها على وفق تلك الوجهة.

وبعدُ،فإني أسأل الله البر الرحيم السداد والتوفيق، وحسبي أني اجتهدت وصبرت وما التوفيق إلا من عند الله عليه توكلت واليه أنيب.

الباحثة

النجف الاشرف

التمهيد

نشأة تفسير آيات الأحكام:

أتفق المسلمون على أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع، فهو الدعامة الأولى والثقل الأكبر، لما يحتاج اليه العباد في حقل الشريعة والعقيدة، فمنذ اللحظات الأولى لنزول النص الكريم، لازمه الشرح والتبيين، فعن ابن مسعود قال:((إن رسول الله k كان يقرؤهم القرآن عشرا عشرا، فلا يجاوزونها حتى يتعلموا ما فيها من علم وعمل، فيعلمنا القرآن والعمل جميعا))[١].

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال:((حتى نعرف حلالها وحرامها وأمرها ونهيها))[٢].

لذا بدأ تفسير النص التشريعي مقترنا بالنزول نفسه، وأن تسليط الضوء على آيات متضمنة موضوعا محددا، دون سواها، هو الذي أفرز الجانب الأحكامي أو التشريعي،والذي أولاها العلماء عناية كبيرة، وهذا ما يفسر كثرة التفاسير والدراسات التي خصّوا بها لآيات الأحكام، فضلا على التصدي لها في طيات التفاسير المطولة ،ومرد ذلك لخصوصية موضوعها.

وقد اختلف في من صنف في هذا الحقل اولا، فذهب ابن النديم الى أن أول من ألف فيه هو محمد بن السائب الكلبي(ت١٤٦هـ)[٣]،وقد ذكر ذلك السيوطي[٤]،وإن كان قد ذهب إلى أن الإمام الشافعي(ت٢٤٠هـ)، هو أول من صنف فيه، وقد أنكر ذلك الشيخ الطهراني[٥].

---

[١] **الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي:٣٩/١.**

[٢] **م.ن:٣٩/١.**

[٣] **ينظر:الفهرست:٥٧.**

[٤] **ينظر:الاتقان في علوم القرآن ، السيوطي:٥٦٧/٢.**

[٥] **ينظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة:٤٠/١.**

وقال صاحب طبقات النحاة إن أول من صنف فيه القاسم بن إصبع القرطبي (ت٢٤٠هـ)، ثم توالت المصنفات في هذا الفن، أشهرها، أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص الحنفي(ت٣٧٠هـ)، ومن الشافعية أبو الحسن الطبري الكيالهراسي(ت٥٠٤هـ)، ثم من المالكية أبو بكر بن العربي(٥٤٣هـ)، ثم أحكام القرآن لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي(ت٤٥٨هـ)، وثم القرطبي(ت٦٧١هـ)، وعبد الله بن محمود الشنفكي في كتابه(أحكام الكتاب المبين)، ثم أحمد بن يوسف الحلبي(ت٧٥٦هـ)،ومن الزيدية الحسين بن أحمد النجدي في كتابه(شرح الخمسمائة آية)، وهو من علماء القرن الثامن الهجري، ثم شمس الدين بن يوسف من علماء القرن التاسع في كتابه(منتهى المرام). وجاء كتاب فقه القرآن لابن الراوندي(ت٥٧٣هـ)، من الامامية، ثم(كنز العرفان) للمقداد السيوري(ت٨٢٦هـ)، ثم المقدس الاردبيلي، صاحب كتاب(زبدة البيان)(٩٩٣هـ).

وقد قام العلامة السيد النجفي المرعشي باستقصاء جمع كبير من مصنفات علماء المسلمين، في تفسير آيات الأحكام[٦].

عدد آيات الأحكام:

اختلف الدارسون في تحديد عدد آيات الأحكام، فقد نقل السيوطي عن الغزالي أنها خمسمائة آية[٧]،ونقل عن غيره أنها مائة وخمسون، ولمس لذلك عذرا بأنها تنصب على المصرح به[٨]،وذهب إلى أن آيات القصص والأمثال وغيرها قد يستنبط منها الكثير من الأحكام[٩]. ووافقه في ذلك ابن العربي[١٠]، وعدد من العلماء، وجاراهم في ذلك المقداد السيوري صاحب(كنز العرفان)، وأعقب قائلا على ذلك

---

(٦) ينظر: مسالك الافهام إلى آيات الأحكام:١/٥ـ١٣.

(٧) ينظر: الاتقان في علوم القرآن :٤/٣٥.

(٨) ينظر:م.ن:٤/٣٥.

(٩) ينظر: م.ن:٤/٣٥.

(١٠) ينظر :احكام القرآن ، ابن العربي:١/٨.

العدد بـــ((إنما ذلك بالمتكرر والمتداخل وإلا فهي لا تبلغ ذلك))[11]، وخالفهم المفسر الزيدي صاحب(منتهى المرام) بأنها مئتان وأربعون آيـــة[12].وقـــد أجـــرى بعـــض الباحثين المعاصرين، استقراءً احصائيا لعدد آيات الأحكام فوجد، أن الآيـــات التـــي شرعت للعبادات لا تزيد على مئة وأربعـــين آيـــة، والآيـــات المـــشرعة للأحـــوال الشخصية سبعين آية، وآيات الأحكام المدنية سبعين اية ،وللأحكام الدوليـــة خمـــس وعشرين آية، وللتشريع الجنائي ثلاثون آية، أما آيـــات الأحكـــام الدســـتورية فهـــي عشر،وأصول المرافعات ثلاث عشرة آية، وفي اقتصاديات الدولة عشر آيات، فكان المجموع ثلاثمائة وسبعين آية[13].

ويبدو أن مرد ذلك التباين هو اختلاف في فهم الحكم بين المفسرين والدارسين، تبعا لتباين أدوات التفسير وفهم النص، وقد لا يتضح الحكم خـــارج ســـياق الكتلـــة التعبيرية، فبضم الآية إلى جارتها قد يحدد لها فهم آخر، وقد ارجع اخـــتلاف العـــدد إلى إهمال بعض الآيات لتكرارها أو لتعلقها بالآداب الاسلامية[14].

منهجية التفسير لآيات الأحكام:

سار المفسرون لآيات الأحكام على نهجين، الأول تسلسلي،أي أن تبحث آيـــات الأحكام بحسب ترتيب ورودها في السور، فيتناول سورة الفاتحة ويبحث ما فيها من أحكام، ثم ينتقل إلى سورة البقرة،ويتناول تفسير أحكامها بحسب تسلسلها وهكذا.

أما النهج الآخر، فهو موضوعي، وهي أن تجمع الآيات على موضوع واحـــد وتبحث الآية واحدة تلو الأخرى، ثم الانتقال إلى آيات يجمعها موضوع آخر، وهكذا على الرغم من اختلاف السور الواردة فيها[15].

---

[11] **كنز العرفان:١/١٤.**

[12] **ينظر:منتهى المرام، الزيدي:١١.**

[13] **ينظر: علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف:٣٣ـــ٣٥، والإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت: ٥٠٠.**

[14] **ينظر: تفسير آيات الأحكام، للإيرواني:١/١٩.**

[15] **ينظر: تفسير آيات الأحكام، للإيرواني:١/٢٥، مقدمات منهجية في تحليل النص القرآني، آيـــات الأحكـــام انموذجا، بحث:٦٠ـــ٦١.**

بيان القرآن للأحكام:

وردت الأحكام في القرآن الكريم على ثلاثة أنواع، الأول: بيان كلي يذكر القواعد والمبادئ العامة التي تكون أساسا لتفريع الأحكام، كما في قوله تعالى:﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[١٦]،وقوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾[١٧].

أما النوع الثاني، فهو إجمالي،أي يذكر الأحكام بصورة مجملة تحتاج إلى تفصيل كما في وجوب الصلاة والزكاة في قوله تعالى:﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[١٨].

والنوع الأخير، هو تفصيلي،أي يذكر بصورة تفصيلية، مثل آيات الحدود(السرقة،والزنا، والقذف،والمحاربة، أو أنصبة الورثة)[١٩].

أنواع أحكام القرآن :

هناك ثلاثة محاور تعدّ من أساسيات المضمون القرآني الأحكامي، الأول: هو الأحكام الاعتقادية،أي التصور العقائدي الذي يتعلق بالإيمان بالله تعالى ورسوله k واليوم الآخر،التي نشأ عنها علم العقيدة أو علم الكلام.

والمحور الثاني: الأحكام الأخلاقية،وتتعلق بالمعايير الأخلاقية للفضيلة وتزكية النفوس وتهذيبها،التي نتج عنها علم الأخلاق وتفرع عنها علم التصوف والعرفان.

أما المحور الأخير فهي الأحكام العملية،والتي تضم قواعد السلوك (الفردي

---

(١٦)آل عمران:١٥٩.

(١٧)النحل:٩٠.

(١٨)النساء:٧٧.

(١٩) ينظر: الوجيز في أصول الفقه:١٢٩.

والمجتمعي والدولي)،التي نتج عنها الفقه الإسلامي ثم منهجه أصول الفقه[٢٠].

أسلوب القرآن في عرض آيات الأحكام:

اقتضت بلاغة القرآن وإعجازه عرض آيات الأحكام بأساليب مختلفة فهو يعرض الأحكام بأسلوب الترغيب والتشويق للامتثال، والترهيب والتنفير عن المخالفة.

فإذا أراد النص الكريم طلب فعل، أتى بصيغة الأمر﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾،وتارة يلحقه بذكر الجزاء الحسن والثواب لفاعله، وطورا يثني على الفاعل مؤكدا محبته، وغير ذلك من الأساليب التي تبين الواجب.

وقد يأتي النص الكريم، بصيغة النهي، لطلب ترك الفعل. وقد يعززه بذكر وجه الذم ولفاعله أو بيان سبب العذاب أو لسخط الله أو دخول النار وغيره من الأساليب الدالة على أن الفعل محرم مطلوب تركه،وقد يعبر عن إباحة الفعل، بأسلوب آخر، وهو لفظ الحل أو الإذن أو نفي الحرج[٢١].

ومن جمال الأسلوب القرآني أن يأتي الحكم الواحد في القرآن الكريم في أكثر من موضع واحد للتذكير به والتأكيد عليه،فضلا عن أن أحكام القرآن مبثوثة في سوره دون أن تجمعها موضع واحد، ويبدو أن المسوغ لذلك أن ألأحكام بأنواعها مرتبطة بكونها آيات هداية ورشاد، وأن جعلها مبثوثة في ثنايا الكتاب العظيم أدعى إلى فهمها وأبلغ في دفع الملل عن قارئها[٢٢].

---

[٢٠] **ينظر: الوجيز في أصول الفقه:١٢٨.**

[٢١] **ينظر: المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية:١٨٨.**

[٢٢] **ينظر: م.ن:١٨٩.**

الفصل الأول
وظائف آيات الأحكام

- المبحث الاول: الوظيفة الاجتماعية
- المبحث الثاني: الوظيفة النفسية
- المبحث الثالث: الوظيفة الاخلاقية

وظائف آيات الأحكام:

لا تتوقف آيات الأحكام، عند حدود المفاهيم التـشريعية المتعلقـة، بـالحلال والحرام، او العقاب والثواب المتحققة غايتها في الوجـوب والحرمـة والاسـتحباب والكراهة والاباحة؛ بل تتعدى حدود ذلك الى اقامة أمة او عالم يستمد مقوماته ممـا يريده الله تعالى.

إنّ اية الحكم التشريعي لها اسلوبها وطريقة عرضها، وهي تعبر عن مغزاهـا وتتجه بملحظ معين لايقف عند حد التشريع؛ بل يتعدى الـى وظـائف ذات ابعـاد مترامية، فمن خلال النص التشريعي، يُكتَشف التداخل المعرفي بين العلوم والمعارف المختلفة، وهذا امر لاسبيل الـى نفيـه، فـالنص التـشرعي تتـوافر فيـه علـوم واختصاصات، تكاد تكون الاوضح من بين آيات القـرآن الكـريم، إلا ان عمليـة التركيز على جانب دون اخر، هو الذي يفرز هذا النوع من المعرفة او الاتجاه عـن غيره، فيتناول النص الابعاد الاجتماعية والنفسية والسياسية والاقتصادية والاخلاقية، وربما اكثر من ذلك، فضلا عن خاصيته الرئيسة في التشريعات والأحكام.

المبحث الاول

الوظيفة الاجتماعية

تتضح الوظائف الاجتماعية لآيات الأحكام، من خلال رصد جملة من الحقائق، يريدها النص القرآني للمجتمع الاسلامي والانساني.

فالقرآن الكريم وضع لبنات الفهم الاجتماعي لذلك المجتمع؛ الى ما يمكن ان نطلق عليه علم الاجتماع القرآني، اذا صح التعبير.

ومن الجلي أنّ علم الاجتماع او المعرفة الاجتماعية شأنها شأن بقية المعارف التي تطبعها صفة التفاوت في الفكر او الاتجاه فلم تنظمها رؤية واحدة او نمط محدد، اذ ان علماء الاجتماع بمختلف تياراتهم لا يملكون تصورا لما ينبغي ان يكون، بقدر ما يملكون حسا نقديا لما هو كائن في مجتمعاتهم، إلا ان الحقيقة التي يركن اليها علماء الاجتماع، وتعد احدى الثوابت في المعرفة الاجتماعية هو الوقوف عند تعريف المفهوم الاجتماعي الذي يعنى ((بالحياة المشتركة بين الناس علاقات وظواهر)) وذهبوا الى تفصيل القول في المباديء والقيم التي من اجلها يحيا الناس حياة مشتركة[٢٣].

اذا كانت المعرفة الاجتماعية تعنى بالحياة المشتركة فان ما يواجهنا في النص القرآني رؤية شاملة ونظام كامل لمفهوم المجتمع البشري من خلال المهمة العبادية التي تلزم الفرد والمجتمع بها.

ومن هنا فان الوظيفة الاجتماعية داخل سياق النص التشريعي تعنى بمجموعة من المفاهيم والثوابت القيمية او المبدئية التي تؤسس مجتمع ذا ابعاد (قرآنية) وكانت العلاقات والظواهر، مجالا لابعادها الموضوعية في اية الحكم.

ويتضح من خلال استقراء النصوص التشريعية، ان هناك ثلاثة ابعاد تحدد الرؤية القرآنية للمجتمع المثالي، وهي :

---

(٢٣) ينظر: الاسلام وعلم الاجتماع: ١٨- ٢٩.

أولاً: العلاقات: ان تنظيم العلاقات الاجتماعية من القضايا الاساسية التي تحتاجها الانسانية في تنظيم االنهج القويم الذي يؤمن العدالة الاجتمعاية، ويحدد مسؤولية كل فرد.

فالمحور الذي يدور عليه البحث الاجتماعي، او المفهوم المجتمعي، يتركز على عنصر العلاقات والتفاعلات، فالنص الشريف يعرض التصور الاسلامي لمفهوم العلاقات من خلال ثلاثة انماط من العلاقات :

النمط الاول:

العلاقات الروحية: وهي علاقة الانسان مع الله سبحانه وتعالى، وهذه العلاقة تعد الانطلاقة الاولى، في تنظيم حياة المجتمع، وعلى ضوئها، تتحد جميع العلاقات الاخرى، فالنص الكريم، يصوغ سلوك الفرد ومهامه ومسؤولياته، ومن خلاله ينفذ الى صوغ المجتمع المثالي، اذ ان جميع العلاقات خاضعة لمباديء رسمت لها وواكبت تفاعلات الانسان بما يحيط به، فقد رسمت ثوابت وقيم تحدد طبيعة العلاقات ومدى استمراريتها، أي ان لكل فعل معنى روحي ومغزى تعبدي، يوظف من اجل الله عز وجل[٢٤].

وتتجلى صور علاقة الانسان بالله تعالى في الفعل العبادي او العمل التعبدي، الذي يمارسه الانسان وبالتالي هي الوظيفة التي خلق الانسان من اجلها بناءً على الحقيقة القرآنية ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٢٥] ونتيجة للعمل العبادي، يتبلور السلوك الانساني القويم، على وفق مباديء رسمت له من قبل المشرع.

وعلى هذا الاساس تنشطر الافعال العبادية الى شطرين:

الاولى: افعال فردية قائمة على اساس معنوي في بناء علاقة مباشرة مع الله سبحانه وتعالى، واصدق لحاظها هي الشعائر الدينية، كـ (الصلاة، والصوم،

---

(٢٤) الاسلام وعلم الاجتماع: ٥٥.

(٢٥) سورة الذاريات: ٥٧.

والحج)، والملاحظ ان المهمة العبادية ترتسم صورها، بطقوس دينية، لاتؤدى بمجرد النية، ولا بمجرد التوجه الروحي، بل تأخذ اشكالا ظاهرية كـالركوع، والسجود، والاتجاه في الصلاة، والامتناع من الطعام والشارب، والمباشرة في الصوم، والاحرام من مكان معين والحركة والسعي والدعاء والتلبية والنحر، والحلق في الحج، وان كان الحج متضمنا علاقة فردية وجماعية في آنٍ معا، فالناس تشهد منافع لها في الحج، كما في قوله تعالى:﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ...﴾[٢٦].

والعلة في ذلك، للتوفيق مع طبيعة الانسان الفطرية وميولها في اتخاذ اشكال ظاهرية تدرك بالحواس وطاقات الانسان المضمرة، وعلى هذا الاساس الفطري اقام الاسلام شعائره التعبدية[٢٧].

اما الشطر الثاني، افعال اجتماعية، تنشأ علاقة غير مباشرة مع الله سبحانه وتعالى تمارس من خلال الجماعة كـ (صلة الرحم، ومساعدة الفقراء، ومراعاة الجوار ...)، وان أي خلل يصاحب هذه العلاقة يترتب عليه فقدان فاعليتها العبادية وتبقى علاقة تأخذ نصيبها الدنيوي.

ونتيجة لذلك، يكتسب الفعل اهميته وقيمته من خلال خضوعه لمعايير العبادة، وليس قدر حجم التفاعل او التعامل، كأن يكون فرديا او جماعيا، ونلتمس تلك العلاقة تلمسا واضحا في ارقى درجات العبادة وهي الصلاة، وفي ابين اجزاءها وهي قراءة سورة الفاتحة، اذ يلحظ المهمة العبادية، واثرها في اقامة علاقة تعبدية بين الانسان وربه عز وجل وذلك في قوله تعالى:﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ

---

(٢٦) سورة الحج: ٢٧- ٢٩.

(٢٧) في ظلال القرآن: ١٢/١.

﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[٢٨].

سورة الفاتحة من آيات الأحكام[٢٩]، فقد حرص العلماء الذين دوّنوا آيات الأحكام على ادراجها في مقدمة مصنفاتهم.

ويشد انتباه الباحث وهو يستقريء نصوص القرآن الكريم، في مجال الاعمال العبادية، سورة الفاتحة التي يكررها المسلم في صلواته الخمس كل يوم وهي اكثر الافعال حضورا وتلازما مع الانسان.

فللسورة هيمنة على افعال المسلم، من خلال دلالاتها، وابعادها الروحية وهذه الهيمنة، هي التي تجعل من الفرد طوع ارادة الله سبحانه وتعالى ، ورهن مشيئته.

اذ تتكشف فيها معاني العلاقة التعبدية بين الانسان وربِّه ، وتتحدد مستوياتها وحيثياتها، فهي مشتملة على اهم مقاصد القرآن الكريم في موضوعاته ودلالاته، قال ابن جزي: ((هذه السورة جمعت معاني القرآن الكريم كله فكانها نسخة مختصرة))[٣٠]، متضمنة اربعة انواع من العلوم هي مناط الدين[٣١]، ولذلك من اسمائها ام الكتاب ((وتسمى ام القرآن لانها مفتتحه ومبدؤه، فكانها اصله ومنشئه))[٣٢].

وفي ضوء ما تقدم، نترصد اسرار نظم هذه السورة المباركة وجمال تأليفها، بهذه التأملات، فالسورة حاوية على قواعد اساسية في التصور الاسلامي، والبعد الاعتقادي، نجملها فيما يأتي:

---

[٢٨] سورة الفاتحة: ١- ٧.

[٢٩] ليس في السورة حكم شرعي، وفق الاصطلاح الدقيق للأحكام، أي ان السورة بذاتها ليست حكما في امر او نهي، إلا انها واجبة في مقام التشريع لضرورة تلاوتها، فلا صلاة من دون الفاتحة، ينظر: تفسير البيان: الخوئي: ٢٩٢.

وقد استفاد الفقهاء من بعض آيات السورة بعض الأحكام، ينظر: زبدة البيان : الاردبيلي:٤-٦، تفسير آيات الأحكام: الطباطبائي: ٤٩/١.

[٣٠] التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزي: ٣٥/١.

[٣١] ينظر: روح المعاني: الالوسي: ٢٤/١.

[٣٢] تفسير البيضاوي: ٢٥/١.

القاعدة الاولى، متمثلة في (بسم الله) (الرحمن الرحيم).

هذه القاعد تقرر حقيقة العلاقة بين الله عز وجل والعبد، فالبدء باسم الله تعالى، هو ادب التوحيد، ذلك ان الله عز وجل، هو موجد كل موجود، وباديء كل مبدوء، فباسمه يكون كل ابتداء(٣٣).

إنّ الفائدة التي توحيها لفظة (اسم)(٣٤) هو الاشارة الى ملاحظة المعاني التفصيلية الموجودة في هذه الاسماء (الله، الرحمن، الرحيم)، وليس فقط الاشارة الى الذات المقدسة وصفاته، فمن دلالاتها هو التركيز على مدى اهمية هذه الاسماء(٣٥).

فافتتح الله سبحانه وتعالى القول بلفظ الجلالة (الله) اكبر الاسماء الحسنى واهمها ((تمجيدا لنفسه بما يرجع الى كمال ذاته المقدسة))(٣٦).

وبعد ذكر الذات المقدسة، يتنزل الى عالم الاسماء الحسنى، فاختار للبسملة اوسع اسمائه الحسنى، (الرحمن) ثم اعقبها بـ (الرحيم)، وهما صيغتان مشتقتان من الرحمة، وهي النعمة التي يستحق بها العبادة.

فـ(الرحمن) يدل على ثبوت الرحمة، وهي صفة عامة تشمل المؤمن والكافر، و(الرحيم) تدل على لزوم الرحمة للذات وعدم انفكاكها عنها، وهي صفة خاصة تشمل المؤمن بخاصة(٣٧).

ومن ثم فإن، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ((تضمنت جميع الشرع لانها تدل على

---

(٣٣) ينظر: في ظلال القرآن: ١٢/١.

(٣٤) للباء اربعة اوجه، السببية، الالصاق، الظرفية، الاستعلاء، وكل تلك المعاني ممكنة وصحيحة، وقد تكون كلها مراده ولايتعين واحد منها، منة المنان: ٢٨، ينظر: شرح ابن عقيل:٢/٢١ــ٢٢.

اما لفظة (اسم) فيه وجهان الاول: مشتق من السمو بمعنى الرفعة والعلو، بوصفه ان المعنى يرتفع به فيخرج من الخفاء الى الظهور، أي ان المعنى يحضر في ذهن السامع بمجرد سماع اللفظ بعد ان لم يكن فيه، وهذا رأي السيد الخوئي، في تفسير البيان: ٢٩٧، اما الوجه الثاني، فقد ذهب اليه السيد محمد الصدر ان الاسم مأخوذ بمعنى العلامة والسمة، وهو المرجح الاكثر انفهاما لديه في البسملة على انه يمكن ان يراد كلا الامرين، منة المنان: ٣٨.

(٣٥) منة المنان: ٣٠.

(٣٦) تفسير البيان: الخوئي: ٢٩٦.

(٣٧) ينظر: تفسير الطبري: ٤٣/١، تفسير البيان: الخوئي: ٣٠٠، منة المنان: ٣٥.

الذات وعلى الصفات))[٣٨].

فهي الزام للانسان للتمسك بالله تعالى، من خلال اســمه المقــدس وصــفاته، والتمسك لا يكون إلا من خلال استقرار الايمان في القلب ثم تأتي الافعال العباديــة لتجسد ذلك الايمان ومن هنا يتبين ان البسملة في هذه السورة من آيات الأحكام.

القاعدة الثانية، هي نتيجة للاولى، فبذكر الله، اتقدت طاقات الانسان الشعورية، لنعمة الله ورحمته على الخلائق والانسان بشكل خاص، يأتي التوجه الى الله بالحمــد ووصفه بالربوبية المطلقة على العالمين ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وحتى تستوثق تلك الصلة بين الله عز وجل وبين العبد جــراء تلــك الرحمــة الغامرة تتكرر (الرحمن الرحيم) في حيثية من صلب السورة وفي اية مستقلة، مؤكدة السمة الشاملة والبارزة في الربوبية المطلقة.

ثم تليها قاعدة (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) وهي من قواعد العقيدة الاسلامية ذات قيمة في تعليق انظار البشر وقلوبهم بعالم اخر بعد عالمهم، ولما له من اثر في تنبيه العقــول الى يوم الجزاء التي سينظر فيها الى افعال الانسان وانتهاء الامور اليه.

وتتحقق ثمرة القاعدة السابقة بقاعدة اخرى، فبعد ما ايقن العبد ان الله تعالى هو الاول والمبديء، فستوجب الحمد، وخضع لربوبيته المطلقة، وكان في يــوم الــدين تحت سلطانه، تأتي الغاية الهامة[٣٩]، في حصر العبادة فــي الله ســبحانه وقــصر الاستعانة به (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ).

وبعد اقرار تلك الثوابت لقن النص الكريم العباد الى التوجــه اليــه بالــدعاء والمساءلة بالتوفيق للصراط المستقيم والثبات عليه فهي ثمــرة الاعتقــاد والرحمــة والهداية، وعلى هذا تحددت احوال البشر فمنهم من انعم الله عليــه؛ فاهتــدى الـــى

---

[٣٨] تفسير القرطبي: ٣٢/١.

[٣٩] ينظر: تفسير البيان: الخوئي: ٢٩٤.

الصراط المستقيم، ومنهم من سلك سبيلا آخر متبعا هواه، فاستحقوا العذاب، ومنهم من ضل وانحرف عن الصراط السوي.

ويلحظ جمال التأ ليف في هذه الاية (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) من خلال نسب الانعام الى الله تعالى تعظيما لشأنه، ولم ينسب الغضب اليه، بل بُنيت العبارة للمفعول تأدبا وتلطّفا، لتعظيم المنعم عليهم، وتحقيرا وتنفيرا من المغضوب عليهم[٤٠].

أمّا النمط الثاني من العلاقات فهي علاقات جماعية، فالنص القرآني يعنى بجميع عناصر المجتمع البشري، وهي قائمة على شبكة من العلاقات المتنوعة وهي تحدد على اساسين، فمن حيث.

حجم العلاقة، تبدأ من أصغر وحدة اجتماعية، بين فرد واخر، ولحاظها (العلاقة الزوجية، او علاقة الولد بوالديه) او ذات حجم اكبر بين فرد وجماعة، ومصداقها (الاقارب والجوار ...) وقد تتسع العلاقات فتكون بين جماعة وجماعة كـ (جماعة المسلمين انفسهم، وجماعة المشركين، واهل الكتاب والمنافقين).

إما من حيث نوع العلاقات فهي اما علاقة انسانية، كما في العلاقة مع اليتيم والمسكين، واما علاقة طبقية كما في (الرقيق يقابلهم الاحرار، والاغنياء يقابلهم الفقراء).أو علاقة ثقافية، وهي علاقة دينية كـ (جماعة صلاة الجمعة او تجمع الحجيج)، وسياسية كـ (اولي الامر، والحكام مع المحكومين)، واقتصادية كـالعلاقة (بين البائع والمشتري)[٤١].

النصوص القرآنية، نظرت الى جميع جزيئات الشبكة الاجتماعية المعقدة التي كانت قائمة في عصر نزول القرآن الكريم وعلى هذا الاساس نُظّمتْ العلاقات، فكانت اصغر وحدة اجتماعية متمثلة بنظام الاسرة، ولما كان الزواج هو الوسيلة الوحيدة المشروعة في تشكيل الاسرة وامتداد الحياة، جاء استحباب النكاح، في قوله

---

[٤٠] علم المعاني: د. بسيوني عبد الفتاح: ٢١٢.

[٤١] ينظر: الاسلام وعلم الاجتماع: ٣٠ و ٥٢.

تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٤٢].

فكانت هذه العلاقة بصورتها الوصفية في الاية، من اعمق الروابط واقواها بين فرد واخر، جاء تحريم زواج المسلم بالمشركة وذلك في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾[٤٣] فقد اراد الله سبحانه، ان يكون الفعل خالصا من الشرك قائما على طاعته.

ثم شرعت جملة كبيرة من النصوص االقرآنية تنظم العلاقات الاسرية بشريعة محددة، اثبتت الحقوق والواجبات لكلا الزوجين للحفاظ على تماسك اللبنة الاولى في المجتمع، مستعرضة لكثير من الملابسات والتعقيدات.

وحيث كان للوالدين الاثر الاساس في بناء الاسرة والحفاظ على كيانها، ومسؤلياتها في تنشأة الجيل اخلاقيا، لذا حدد القرآن الكريم اسس العلاقة بين الولد ووالديه، فقرن الله سبحانه في آياته بوجوب بر الوالدين والاحسان اليهما بوجوب عبادته، وذلك في قوله تعالى:﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[٤٤].

ثم يتطرق النص الى وحدة اجتماعية اكبر، وهي العلاقة مع الاقارب والجار مؤكدا المحبة والألفة، فقد قرنها بتقوى الله تعالى في قوله عز وجل:﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي

---

[٤٢] سورة النور:٢٤.

[٤٣] سورة البقرة: ٢٢١.

[٤٤] سورة الاسراء:٢٣.

﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٤٥] .

وقد قرن النص الكريم عبادة الله تعالى والاحسان الى الوالدين والارحام بالاحسان الى الجار كما في قوله تعالى:﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾[٤٦].

فقد رسم النص الكريم منهجا قويما في سلسلة من العلاقات الاجتماعية تلخص في هذه الاية وهي تجمعها الاحسان الى بعضهم بعضا.بدأ بالعلاقات الاسرية (الوالدين) و(الارحام) و(اليتامى) و(المساكين) و(الجار) و(الصاحب).فاليتامى والمساكين وصفهم الله تعالى ، بين ذي القربى وبين الجار فكأن الاحسان اليهم هو احسان لمن اقرب من الجار والصق ما يكون بذي القربى.

ويبدو أنّ الاحسان اليهم هو لحاجتهم الى رعاية اجتماعية اكثر، ثم تتسع الدائرة فيحدد القرآن الكريم علاقة جماعة مع جماعة او الجماعة بعمومها، فقد وضع القرآن الكريم اسسا عامة في علاقة افراد المجتمع اهمها قاعدة (المؤمنون اخوة)، وعلى هذا الاساس، امر بالسعي للاصلاح بين المؤمنين كما في قوله تعالى:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[٤٧].

وقد عاشت الجماعة المسلمة في اجواء، جماعة المشركين والمنافقين، واليهود والنصارى، وقد عرض القرآن الكريم وصفا تفصيلياً لتلك الجماعات، وتفكيرهم المنحرف ومكائدهم ودسائسهم، تجاه الجماعة المسلمة والقرآن وفي ذلك الوصف والرصد، تصور يعكس الحقيقة المعادية لتلك الجماعات، وعلى اساسها جاءت الأحكام لتنتظم تلك العلاقات، ومنها ما كان مع اليهود والنصارى، فقد اقر حيالهم

---

(٤٥) سورة النساء: ٤.

(٤٦) سورة النساء: ٣٦.

(٤٧) سورة الحجرات:١٠.

امرين مهمين: الاول عدم الولاء وذلك في قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٤٨].

فقد كان الولاء والتحالف قائماً مع جماعة من اليهود قبل الاسلام وفي اوائل قيام الدولة المسلمة في المدينة، نهاهم الله تعالى عنه والولاء تعني التناصر والتحالف، ولا تتعلق بمعنى اتباعهم في الدين.

فكأن الاختلاف في العقيدة مسوغا للابتعاد عن التحالف مع اليهود والنصارى، لان ما يمارسونه في حياتهم، يختلف عما يمارسه المسلون في حياتهم فينشأ الاختلاف او الخلاف الاجتماعي، ومن هنا كان هذا التشريع ذا هدف اجتماعي بيَّن، ينظم حياة المسلمين مع غيرهم.

ولا نعدم الكيفية في استثمار التصوير الوصفي في الاية ((الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً﴾، ليكون اثرا فاعل في نفوس المسلمين لينتهوا.

اما الامر الثاني هو اعطاء الجزية، وذلك في قوله تعالى:﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[٤٩].

فرضت الجزية على البالغين من اهل الكتاب وفقا للظرف والضرورة؛ اذ ان اعطاء الجزية يعلن استسلامه وعدم مقاتلة المسلمين،وهي في الوقت نفسه اجر مشروع لحماية اهل الكتاب، فحينما شرع الله تعالى أن لا تحالف معهم فلا بأس اذن من دفع الجزية مقابل حصولهم على الامان الذي كان يوفر بعضه لتحالفهم مع

[٤٨] سورة المائدة: ٥٧.

[٤٩] سورة التوبة: ٢٩.

غيرهم، فجعل النص الكريم الـــ (جزية) محورا، للبعد الاجتماعي.

والنمط الاخير من العلاقات هي العلاقات البيئية ويقصد بها علاقـــة الانـــسان بموارد الطبيعة التي منحها الله سبحانه وتعالى للبشر؛ للافـــادة منهـــا وتـــسخيرها، واستثمارها على شتى الصعد، وطالبت الشكر والحمد لقيمتها، وانها احدى النعم أي ان العملية مرتبطة بالمهمة العبادية، وجعل هذا النشاط البشري متصلا بوجـــود الله تعالى، وقد ترتبت اثار جزائية لعدم الشكر او الافادة الخاطئة.

ونلحظ في النصوص الكريمة امرين: الاول: بُعد عبادي أي ان العلاقة بموارد الطبيعة غايتها عبادية صرفة وذلك في قوله تعالى:﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً﴾[٥٠].

﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾[٥١] الايتان من آيات الأحكام الدالة علـــى كون الماء طاهرا في نفسه ومطهرا لغيره، وغايتها تطهير الانسان من الاحداث في اثناء الصلاة او الشعائر الدينية، وفي قوله تعالى:﴿لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾[٥٢] وهي مهمة عبادية غايتها صرف الانسان في اثناء الحج عما يجيش النزعـــة العدوانيـــة، وكذلك الحال في الصوم، فان انقطاع الانسان عن الطعام والشراب يكون لله تعـــالى فقط، ومن المعطيات العبادية الصرفة هي ذكر اسم الله، على الـــذبائح فـــي قولـــه تعالى:﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾[٥٣].

أما الامر الثاني فهو بعد نفعي، يتمثل في حلية بعـــض الاطعمـــة او تحـــريم بعضها وذلك في قوله تعالى ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ

---

[٥٠] سورة الفرقان: ٤٨.

[٥١] سورة الانفال: ١١.

[٥٢] سورة المائدة: ٩٥.

[٥٣] سورة الانعام: ١٢١.

عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً﴾[٥٤].

تتجلى الوظيفة الاجتماعية من خلال الكفارات التي ينهض بها المسلم اذا خالف الحكم الشرعي، وبعض هذه الكفارات لها اثر اجتماعي يتمثل في اطعام الفقراء والمساكين.

اما البعد الثاني من الرؤية القرآنية للمجتمع المثالي فهي:

ثانياً: الظواهر، ونعني بها السمات التي تكون جزءاً من بناء الهيكل الاجتماعي للمجتمع الاسلامي وفق الرؤية القرآنية، فقد شخص النص الظواهر السلبية والايجابية او المقبولة والمرفوضة قرآنيا، وذلك في قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾[٥٥]، وفي المقابل يسلط الضوء على ظاهرة ايجابية في قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [٥٦]، وقوله تعالى:﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[٥٧].

فقد اضاء النص الوعي الجماعي على تلك الظواهر الجديدة في المجتمع الجديد جراء الموازنة بين نجاسة المشركين وطهارة المؤمنين.

ومن جانب اخر ربما تعني نجاسة المشركين خبث باطنهم وما يسرونه في انفسهم وعلى وفق هذا يكون الابتعاد عنهم، ابتعادا عما يمكن ان يشيع الفرقة والخصومة بين المسلمين لخبثهم، وهكذا تتجلى الوظيفة الاجتماعية وقد تحمل

(٥٤) سورة المائدة: ٩٦.

(٥٥) سورة التوبة: ٢٨.

(٥٦) سورة البقرة: ٢٢٢.

(٥٧) سورة التوبة: ١٠٨.

النجاسة على عين المشرك، فتحتم البعد عنه وعدم الاقتراب منه، وهذا يحقق الامـــر الاول، وهو البعد عن خبث باطن المشرك فيكون الامران امرا واحدا.

ومن هنا تنطوي الرؤية القرآنية على مستويات يحددها سياق النص التـــشرعي في عرضه ومعالجته للظواهر، فهي تتمحـــور فـــي عـــدد مـــن الجوانـــب، **الاول (الموضوعات):** ان الخاصية المهمة في هذا الجانب هو تعـــدد مواضـــيع العـــرض بالنسبة للظواهر التي كانت ملازمة لنزول القرآن الكريم وانتشار الدعوة الجديـــدة، ومن جانب اخر تبلور الشخصية المسلمة وتفتح العقلية في النظر بما يحيط بهم من مشاكل وانحرافات، فقد انطوى النص على ظواهر تتصل بالاحوال المدنية واظهرها تلك الزيجات التي كانت تجيزها عادات العرب في الجاهلية، ولما كان الاســـلام، لا يستند الى عرف الجاهلية حرَّم ذلك، فقد كانت المرأة اذا مات عنهـــا زوجهـــا فـــي الجاهلية يرثها الرجال كما يرثون المتروكات، فأما يتزوجها ابن الزوج او زوَّجوها واخذوا مهرها، وهذا ما يسمى زواج المقت، فجاء التحريم فـــي قولـــه تعـــالى:﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾(٥٨) .

حرَّم النص الكريم تلك الهمجية التي تعم المجتمع وتهبط بانسانية المرأة فكـــان مقتا وساء سبيلا، لما فيه من الفحش والنزعة البهيمية، والفاحشة معـــصية محرمـــة تورث بغض الله سبحانه وتعالى .

وتتطرق نصوص آيات الأحكام الى ظاهرة جاهلية سائدة في المجتمـــع وهـــي الظهار، اذ كان الزوج يقصد من خلالها طلاق زوجته وتحريمهـــا حرمـــة مؤبـــدة، فيقول لها: (أنتِ عليَّ كظهر أمي)، وقد وصف النص تلك الظاهرة في قوله تعـــالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ

(٥٨) سورة النساء: ٢٢.

﴿مُنكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[٥٩] استثمر النص التـصوير الوصـفي فـي عرض الوظيفة الاجتماعية من خلال لفت الانظار الى تلك الظواهر الممقوتة لحمـل المجتمع على المسؤولية وصونه من التفكك.

إن الاية الكريمة متعرضة لحرمة الظهار ومن جانب اخر انها تـشير الـى حقيقة وهي ان الزوجة لا تحرم ولا تكون بمنزلـة الام نتيجـة لعمليـة الظهـار، فالشريعة الاسلامية لم تجعل بالجعل التشريعي الزوجة بمنزلة الام فالامومة تتحصر بمن تتحقق منها الولادة والزوجة المظاهرة لم تتحقق منها ذلك، والى هذه الحقيقـة اشار النص بقوله تعالى ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ ويترتب على ذلك ان من ادعى ذلك فهـو اثم لوصفه بالمنكر والزور، في الاية الكريمة وعلى هذا استحق فاعله التكفير قبـل المباشرة ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ﴾[٦٠]، ومن جمال الـنص دلاليا ابراز الاثر الاجتماعي في الاية الكريمة من خلال التـداخل بـين الـدلالات المضمونية لتأدية الغرض المقصود.

عبر كفارة (تحرير الرقبة) وهو غرض اجتماعي وانساني بالدرجة الاولـى فكأن النص اراد ان يحطم تلك الظواهر الممقوتة من خلال الكفارة وهي في الوقـت نفسه تحطيم لظاهرة ممقوتة اخرى وهي الرّق تمهيدا لتطبيق محاولة الغاء الرّق من المجتمع الانساني.

وقد رصد النص ظاهرة اخرى وهي الايلاء وذلك في قوله تعالى ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ* وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٦١] .

---

[٥٩] سورة المجادلة: ٢، ينظر: تفسير آيات الأحكام: ٢٣٣/١ الايرواني.

[٦٠] سورة القصص: ٣.

[٦١] سورة البقرة: ٢٢٦– ٢٢٧.

الايلاء ظاهرة كانت معروفة في الجاهلية، بوصفها وسيلة للطـــلاق فـــالزوج يحلف بعدم مواقعة زوجته قاصدا التضييق عليها والاضرار بها فلا يطلقها لتتـــزوج غيره ولا يعود اليها، هذا اذا لم يكن في حال غضب، فقد لايكون موليا منهـــا ومـــن هنا تتجلى الوظيفة الاجتماعية وفق نية الزوج وحاله وهذا تنظيم اجتمـــاعي قرآنـــي للعلاقة الاسرية.

والايلاء لايكون إلا اذا كان الحلف على اكثر من اربعة اشهر[٦٢] كأن للزمن بُعداً لجلاء الحقيقة.

ويبدو ان الفارق بين الظهار والايلاء هو ان الاول فيه ادعاء بالكذب والزور وتعطيل الحياة الزوجية والحقوق المترتبة عليها اما الثاني تعطيـــل لآيـــة الزوجيـــة بينهما بالحلف عليها ولذلك علة الكفـــّارة جاءت في الاولى اما في الثانية فـــالتخيير بالطلاق فإن حنث كان عليه كفـــّارة اليمين .

لم يكتفِ النص الكريم بعرض الظواهر المنحرفـــة والـــسلبية مـــن احـــوال الناس؛بل تعرض الى سلوكياتهم كما في الزينة والتبرج وذلك في قوله تعـــالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[٦٣] .

لما في الزينة والتبرج من فتنه واستقطاب للاهواء، فالنص لم يحرم الزينـــة تلبية لفطرة المرأة ولم يقاوم هذه الرغبة، ولكن نظمها وضبطها في قوله (ماظهر) .

فما يظهر من الزينة يشبع رغبة المرأة في التزين ويبعدها عن التبرج لما في ذلك من مخاطر اجتماعية فالاصل في هذه الوظيفة هو حماية المجتمع من الانحدار الى مهاوي الرذيلة، فهذا التنظيم اذن هو تنظيم اجتماعي لسلوك النـــساء والرجـــال، فالمرأة لا تظهر من الزينة إلا ما يحل ظهوره، والرجل لا ينظر إلا الى مـــا يحـــل

---

[٦٢] وسائل الشيعة: ١٥/ ٥٣٨ الباب الخامس.

[٦٣] سورة النور: ٣١.

النظر اليه، فكانت معادلة اجتماعية تضبط السلوك الاجتماعي الاسلامي بخلاف ما كان شائعا في الجاهلية.

وبعد تسليط الضوء على ظواهر الاحوال الشخصية، تبرز لنا ظواهر تتعلق بالاقتصاد الاجتماعي، ومن اظهر تلك الظواهر هي الربا، فقد وسمت هذه الظاهرة المجمتع الجاهلي الذي كانت تجري فيه العقود الربوية في المعاملات التجارية، والنصوص القرآنية الشريفة التي تناولت هذه الظاهرة عديدة، حيث وقف القرآن الكريم من مجموعة تلك النصوص في تحديد جوانب تلك الظاهرة.

فالجانب الاول: هو تحريم الربا والاستعاضة عنه بالبيع المحلل من قبل المشرع وذلك في قوله تعالى ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾[٦٤].

وبعد اقرار هذه القاعدة توجه النص الى جانب اخر وهو وصف المرابي، في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾[٦٥].

صوّر النص الكريم التركيب النفسي والمظهر الخلقي للمرابي وهي صورة من صور الشيطان، مقترنة مع ابشع مظاهر الاشمئزاز والفزع والرعب، لاستنفار مشاعر الجماعة المسلمة وايقاظ الوعي الجماعي لبؤرة الخطر ومكمن الخديعة، والعلة في ذلك التصوير يعود الى حقيقة الربا، التي تقوم على استرداد الدين مع الزيادة، حرمها النص القرآني مهما كان شكلها ومقدارها.

وطبيعة هذا السلوك لا يتحقق إلا في شخص يؤثر المنفعة الذاتية والانانية الشخصية في تكديس الاموال باي طريقة، وملء الخزانة بكل وسيلة فيقع الانسان رهن احتياجه عبدا للمرابي هادرا طاقته، وباخسا حقه، فجاء التفضيع في النص

---

[٦٤] سورة البقرة: ٢٧٥.

[٦٥] سورة البقرة: ٢٧٥.

مقابل لتلك الشخصية البشعة والنفس المريضة.

فقد أدت الاية وظيفة اجتماعية، من خلال ما تنطوي عليه ظاهرة الربا من مخاطر اجتماعية، تعصف بالمجمتع وتحوله الى طبقات متسلطة واخرى مستعبدة.

أمّا الجانب الآخر من النص فهو التهديد والوعيد وذلك في قوله تعالى:﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ﴾[٦٦]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٦٧].

يعلن القرآن الكريم حربا على المرابين، واي حرب عندما بكون الله عز وجل والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الخصم متجاوزا بلفظة (الحرب) حدود الزمان والمكان مطلقا المدى للنفس والذهن والتصور والتأمل.

فاذا تاب فامره الى الله تعالى فله رأس ماله، ولا يجوز اخذ غيره، اما اذا عاد لأكل الربا بعد التحريم ولم تثمر معطيات ذلك التصوير المرعب فهو كافر، لذلك هدد بالخلود في النار.

وإزاء تلك الظاهرة شرع الله سبحانه ظاهرة الصدقة وهي نقيضة للثانية وبالتالي تكون امام الظاهرة السلبية ظاهرة ايجابية، حمل النص المجتمع على استبدالها بتلك الظاهرة المقيتة والالتزام بها، وكأن النص الكريم اراد اشاعة تلك الظاهرة الايجابية وجعلها سمة للمجتمع المثالي، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ

---

[٦٦] سورة البقرة: ٢٧٩.

[٦٧] سورة البقرة: ٢٧٥.

الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[٦٨] وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٦٩].

الله سبحانه وتعالى يمحق الربا فيذهب ببركتها في الدنيا وإن كان في ظاهره كثيرا، ومقابل ذلك يربي الصدقات فيزيد في المال الذي أخرجت صدقته، فاذا كان الانسان يريد الزيادة في المال فهذا الطريق يوصله الى ذلك بخلاف الاول الذي هو الهلاك بعينه.

فقد عرض النص قاعدة من قواعد النظام الاقتصادي الاجتماعي الذي يريد الله سبحانه وتعالى للمجتمع المسلم أن يقوم عليه، وهو نظام التكافل بين المؤمنين فيكون بعضهم اولياء بعض، وان ينتفعوا برزق الله عز وجل، وهذا النظام لا يقوم إلا على اساس اخلاقي، كما في قوله تعالى: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾[٧٠] وقوله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾[٧١] وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٧٢] فالتقوى ذلك ((الرادع النفسي الذي يستقر في داخل الانسان فيردعه عن الشر بكل الوانه واشكاله ويدفعه الى الخير بكل معانيه))[٧٣].

فقد عمل القرآن الكريم على ان يجتث الربا من جذوره، ويغرس الصدقةمكانها، فالله سبحانه وتعالى يمحق الربا بالنقصان والتلف، ويربي الصدقات

---

(٦٨) سورة البقرة: ٢٧٦.

(٦٩) سورة البقرة: ٢٨٠.

(٧٠) سورة البقرة: ٢٨٠.

(٧١) سورة البقرة: ٢٧٨.

(٧٢) سورة آل عمران: ١٣٠.

(٧٣) الاسلام ونظام الطبقات: ٣٦.

بالنماء والجزاء.

فيتجلى الاثر الاجتماعي من خلال الصدقات التي توثق اواصر المودة بين الغني والفقير، بخلاف الربا الذي يشيع البغضاء والكراهية وهذا هدف اجتماعي راقٍ.

وفي سياق الموضوع نفسه يرصد النص الكريم ظاهرة مقيتة اخرى فيها غبن ومخادعة وخيانة إلا وهي البخس في الميزان، وقد نلمح هذه الظاهرة في عدة آيات كريمة يأمر الله سبحانه وتعالى بوفاء الكيل والميزان وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾[٧٤] وفي لمحة اخرى ينهى عن النقص في الميزان في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾[٧٥] بل بالقسط والعدل. ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾[٧٦] . ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾[٧٧] .

كأن من يبخس الناس اشياءهم وينقص الكيل؛ هو يأكل اموال الناس بالباطل والخديعة والمكر، وهذه افات اجتماعية من لم يعبأ بها لايعبأ بغيرها، فيسقط المجمتع في افات جديدة، ومن يبتعد عن ذلك يعني انه يبعد مجتمعه عن مرض خطير.

فقد شدد النص موقف الشريعة الاسلامية ازاء البخس في المكيال والميزان (التطفيف) كما نلحظ ذلك بشكل ظاهر من خلال كثرة التحذير مشددا في اللفظ والمعنى، فتارة يثبت الويل لمن يزاول ذلك كما في قوله تعالى:﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾[٧٨]

---

[٧٤] سورة الاعراف: ٨٥.

[٧٥] سورة هود: ٨٤.

[٧٦] سورة الرحمن: ٩.

[٧٧] سورة الشعراء: ١٨٢.

[٧٨] سورة المطففين: ١.

واخرى هو من المفسدين في الارض بفعله هذا في قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[٧٩] وتارة ثالثة عده من الغافلين عن يوم الجزاء الذي يبعث الناس فيه لرب العالمين، وتجاز فيه الانفس، فيقول عز وجل: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ* أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ* لِيَوْمٍ عَظِيمٍ *يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٨٠] .

وقد ترصد القرآن الكريم مجموعة من الظواهر الجنائية في المجتمع كجناية القتل والزنا والسرقة والميسر والانصاب وشرب الخمر وغير ذلك.

ونجده يركز في باديء الامر على النهي، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾[٨١] وفي قوله تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾[٨٢]ويشرع النص في تقرير حرمة الجنآيات من خلال استعراض حالات الجناية كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[٨٣].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا﴾[٨٤] فقتل النفس عند الله عز وجل من كبائر الاثم التي تلي الشرك به عز وجل وهو واهب الحياة وقابضها.

---

[٧٩] سورة هود: ٨٥.

[٨٠] سورة المطففين: ٣- ٦.

[٨١] سورة الاسراء: ٣٢.

[٨٢] سورة الاسراء: ٣٣

[٨٣] سورة الاعراف: ٣٣.

[٨٤] سورة النساء: ٩٣.

وقد حرم الله سبحانه وتعالى قتل الانسان نفسه في قولـه تعـالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾[٨٥].

ذلك ان الانسان لايملك نفسه بل هو مخلوق ومملوك لله تعالى فليس لـه أن يهلكها، معارضا ارادة الله تعالى .

وكما ان الانسان لايملك نفسه فكذلك لايملك نفس ولده كي يزهقها بهواه، فحرم الله تعالى قتل الاولاد في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٨٦].

وعلى وفق تقرير حرمة القتل كان الجزاء بجهنم خالدين فيها، واستحق فاعلها غضب الله ولعنته، والعذاب العظيم في قولـه تعـالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾[٨٧] .

ومن معرض تلك الآيات المباركة نجد ان النص قد استثمر التصوير الفني الوصفي والايحائي، لتحقيق غاية اجتماعية، تتجلى من خلال ما تؤول اليه هذه الافعال من انحطاط المجتمع وانحلاله واضاعة الانساب وتعطيل المواريث، واتلاف النوع الانساني للمجتمع، فضلا عن الفوضى التي تعصف به دون رادع، او ضابط ينظّم العلاقات ويحفظ الحقوق فهي افات اجتماعية تهدد وجود المجتمع السليم وهذا ما يعلل التشديد في حرمتها.

اما الجانب الثاني من الظواهر الاجتماعية فهي المعالجة:

تعالج الظواهر الاجتماعية قرآنيا بطرق متباينة بحسب نوع الظاهرة إلا ان

(٨٥) سورة النساء: ٢٩.

(٨٦) سورة الانعام: ١٤٠.

(٨٧) سورة النساء: ٩٣.

عرض الظاهرة ووصفها وتحديدها هو في ذاته لفت الانظار اليها واتخاذ موقف ازائها،ولأن الظواهر جزء من البناء الاجتماعي الذي كان سائدا حدد النص وكما يلاحظ الى ظواهر خاصة وظواهر عامة.

فالظواهر الخاصة كوراثة النساء والظهار، والايلاء، والتبرج عند نساء الجاهلية، ويتامى النساء التي كانت تشكل ظاهرة لكثرة الحروب التي تقع، فكانت المعالجة لمثل هذه الظواهر عن طريق الكفارات، كما وضحنا ذلك في الحديث عن ظواهر الاحوال الشخصية.

اما الظواهر العامة كالقتل والزنا والسرقة والمحاربة كان علاجها اشد واقوى، فكان بقتل الجاني والجلد وقطع اليد والصلب والنفي من الارض.

ونقف عند بعض الآيات كتطبيق اجرائي، اذ يلمح الباحث ظاهرة كانت مستحكمة في ثقافة المجتمع الجاهلي ومتغلغلة فيه، وتعد من فروسية العرب ألا وهي الخمر وقد عالجها القرآن الكريم بطريقة التدرج تماشياً مع منهج التربية الاسلامية فجاء تحريم الخمر على ثلاث مراحل، الاول في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾[٨٨]

ثم تأتي المرحلة الثانية في النهي عن اقامة الصلاة في حالة السكر، ولما كانت الصلاة في خمس اوقات متقاربة لايكفي ما بينهما للسكر والافاقة، وفي هذا تضييق للمزاولة، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾[٨٩].

---

(٨٨) سورة البقرة: ٢١٩.

(٨٩) سورة النساء: ٤٣.

وتأتي المرحلة الاخيرة في النهي الجازم للتحريم في قوله تعـــالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ*إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾[٩٠]

قرن النص شرب الخمر وتلك الافعال بعمل الشيطان ودلل علـــى حرمتهـــا بكلمة (فاجتنبوه) وكرر الحرمة بدلالة جملة (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)، معلـــــلاً ذلـــــك ان الشيطان ينصب شراكه ومكائده من خلالها، فيوقع العداوة والبغضاء بين المسليمن.

ومن جانب اخر يصدكم عن ذكر الله في سائر العبادات بشكل عام والـــصلاة بشكل خاص، أي اذا وقعت العداوة نسي الانسان ربه وابتعد عنه وبالتـــالي يختـــل انتظام المجمتع.

إنّ من تباين سوق العلل في الآيات الثلاثة وتدرجها من الادنى الـــى الاشـــد يوضح حقيقة ان الظواهر الملازمة للمجتمع والتي تشكل جزءا مـــن ثقافتـــه يكـــون علاجها تدريجياً كي لا يصدم ذلك المجتمع.

أمّا البعد الأخير من الرؤية القرآنية للمجتمع المثالي تتمثل في :

ثالثاً: القيم والمباديء، وهي من ثوابت الشريعة الاسلامية التي على اساسها يكون البناء المجتمعي في صورته المثالية والتي تحكم علاقات المجتمع وظـــواهره، متمثلة في تحديد ما هو ايجابي من خلال الممارسات (الواجبة والمندوبة)، وتحدد ما هو سلبي من خلال ممارسات (المحرمة والمكروهة)[٩١].

يستتشف من النص الشريف جملة من المباديء التي تحكم الجماعة المـــسلمة

---

[٩٠] سورة المائدة: ٩٠– ٩١.

[٩١] ينظر: الاسلام وعلم الاجتماع: ٤٥ .

ونترصدها من خلال النماذج القابلة،إن اهم ما يحدد فاعلية المجتمع ويجعل الحياة مشتركة هو مبدأ التوازن الاجتماعي، من خلال بث القيم التي يتقبلها افراد المجتمع تلقائيا عبر التنشأة الاجتماعية التي تفرضها الحقيقة القرآنية ونلمح ذلك جليا في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾[٩٢] .

فعبر الاعتصام بحبل الله عز وجل وعدم التفرقة، تُحفظ وشائج الجماعة المسلمة وتصان حقوق الناس ما دام حبل الله تعالى هو الموثق.

وفي قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[٩٣].

الاية الكريمة دالة بشكل واضح على الامر بالتعاون على البر والتقوى بالمقابل نهت عن التعاون عن الاثم والعدوان.

ولما كان التعاون يعني اجتماع جماعة على التصدي لفعل معين بحيث ينسب ذلك الفعل الى جميعهم[٩٤].

اوضحت المقابلة بين الامر والنهي في افعال الخير والشر، التوازن الاجتماعي الناتج عن ذلك.

أمّا المبدأ الاخر فهو مبدأ تحديد المسؤولية ومصداقها المتيقن في مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو من الواجبات المهمة في التشريع الاسلامي.

وقد نلمح ذلك التركيز والتأكيد عليه بشكل بالغ في النصوص القرآنية الكريمة في عدة موارد، لما يترتب على هذا المبدأ من تماسك المجتمع وحفظ اواصره وتعديل سلوكه وضمان حقوقه.

إنّ الآيات الكريمة المرتبطة بمسألة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

---

[٩٢] سورة آل عمران: ١٠٣.

[٩٣] سورة المائدة: ٢.

[٩٤] في تفسير آيات الاحكام،الايرواني: ٧٢٣/٢.

كثيرة ويستدل منها على خاصتين : الاولى اهمية هذا المبدأ والثانية الحث على فرضه كما في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(٩٥)

النص الكريم استطاع ان يجسد المسؤولية الجماعية من كون ان الاسلام (امة) وان الالتزام بهذا المبدا موجب لصيرورة هذه الكتلة البشرية الضخمة، خير امة ولتأكيد قيمته جعله في موازاة الايمان بالله تعالى.

ولتعميق هذا المبدا وترسيخه فقد رفع الى مستوى اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وانها صفة من صفات المؤمنين والمؤمنات كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٩٦).

فهذه القضايا تنظم حياة الناس وتقوي صلتهم بالمشرع والمنظم لهذه الحياة وهو الله تعالى فيتحقق بذلك امران، انتظام حياة الناس، والقرب من الله تعالى، فتكون الوظيفة اجتماعية وروحية في آن معا.

ولتنمية الاحساس بالمسؤولية الاجتماعية قرن الدعوة الى الخير بمبدأ (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) كما في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٩٧).

---

(٩٥) سورة آل عمران : ١١٠.

(٩٦) سورة التوبة: ٧١.

(٩٧) سورة آل عمران: ١٠٤.

فالخير هوجملة المباديء والقيم القرآنية الثابتة وعبارة (يدعون) هي مسؤولية اداء هذه المباديء وتوصيلها عبر مبدأ الامر بالمعروف مصداقها الالتزام بمباديء الله سبحانه وتعالى والنهي عن المنكر وهو ما يتنافى مع تلك المباديء.

والنص الكريم حرص على تعميم هذا المبدأ فمسؤوليته تقع على الفرد والجماعة فمن اصغر وحدة اجتماعية الى اكبر كتلة بشرية (أمة) وذلك ما نلحظه في مسؤولية رب الاسرة، التي حددتها الاية الشريفة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[٩٨].

تدلّ الاية الكريمة على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في دائرة الاسرة[٩٩]، فالمحافظة على أفراد الأسرة من ارتكاب ما يُوجِب عذاب النار يتحقق من خلال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فحينما يقي كلّ مسلم نفسه وأهله النار بالابتعاد عن الحرام والعمل بما يريد الله تعالى يقترب من غيره فتنتظم حياته وتقوى صلته بربه ومجتمعه.

أمّا المبدأ الاخير فهو مبدأ الضبط الاجتماعي؛ وهذا المبدأ له من الاهمية ما يحفظ المجتمع من التشرذم والانحراف والخلل الذي يؤثر على توازنه ومهامه واستمراريته.

وقد نلحظ وفرة الضوابط الاجتماعية في آيات الأحكام وتعدد الموارد وتنوع الاساليب فهي على شقين، ضابط تربوي واخر جزائي، ذلك ان التربيتين الاجتماعية والجزائية كفيلتان بتقويم السلوك العدواني المنحرف والذاتية المتضخمة.

فالضبط التربوي يقوم على مدى ايمان الفرد بالمباديء التي رسمها المشرع له واعتقاده ويقينه بها، وعلى هذا الاساس بامكان الفرد ممارسة الضبط حيال نفسه

---

[٩٨] سورة التحريم: ٦.

[٩٩] في تفسير آيات الأحكام: ١/٢٢٧– الايرواني.

كما في الكفارة عن الاخطاء العبادية والمعاملات المالية واليمين، وقتل الخطأ كما في قوله تعالى:﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾[١٠٠].

وكذلك في كفارة الظهار في قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ﴾[١٠١] .

والاية تعرض للملابسات فإن لم يجد رقبة مؤمنة فصيام شهرين متتابعين وهي التوبة في حالة القتل في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ﴾[١٠٢] .أمّا في حال الظهار قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً﴾[١٠٣].

أمّا كفارة اليمين فهي تجمع بين التخيير والترتيب وذلك في قوله تعالى: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾[١٠٤].

فقد تباينت الكفارة بتباين الافعال فضلا عن تداعيات الظرف وملابساته وقد نلحظ من تلك الكفارات غاية اجتماعية من شأنها ان تقوي اواصر المجتمع وتوثق روابطه، وذلك في (تحرير رقبة) و(اطعام المساكين) ومن جانب اخر لفت الانتباه الى تلك الفئتين من المجتمع التي تحتاج الى رعاية الجماعة المسلمة لضعفهما.

أمّا الضبط الجزائي فيحتفظ هذا النوع من الضبط بفاعليه ملحوظة في تعديل السلوك الاجتماعي لما فيه من استعمال القوة ومن ابرز اشكال الجزاء القرآني هو

---

[١٠٠] سورة النساء: ٩٢.

[١٠١] سورة القصص: ٣.

[١٠٢] سورة النساء: ٩٢.

[١٠٣] سورة المجادلة: ٤.

[١٠٤] سورة المائدة: ٨٩.،

القصاص،إذ وصفه القرآن الكريم بانه حياة وذلك في قولـــه تعـــالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[١٠٥].

وردت في النص دلالة موجزة لا يمكن التعبير عنها إلا بالفاظ كثيرة، وفـــي الوقت نفسه مكتنزة لعدة دلالات فنية استثمرت لتأدية الدلالة المقصودة وهذا ما نجده في تنكير كلمة (حياة) التي دلت على كونها حياة عظيمة اذ هي حياة للمجتمـــع وان ادخال حرف (في) على لفظة (القصاص) جعل لهذا المعنى بعدا ارتكازيـــا، فكأنـــه الاصل لتلك الحياة، فضلا عن اشتمالها لمعنى العدل أي نوع مـــن الحيـــاة العادلـــة والعظيمة.

ويلحظ فن البديع في النص فالاية فيها طباق لان القصاص مـــشعر بالفنـــاء والموت او القتل الثاني وهو ضد الحياة، وان من المبالغة الجميلة هو استقرار الحياة في الموت[١٠٦].

فالقصاص أداة فاعلة في حفظ توازن المجتمع وتحقيق العدالة وتوفير الامـــن وصون الحقوق والامر نفسه في الحدود، حيث تمثل ادوات ضـــبط قويـــة لوقايـــة المجتمع من التصدع والانحلال[١٠٧].

---

[١٠٥] سورة البقرة: ١٧٩.

[١٠٦] اساليب المعاني في القرآن: ٤٧٦.

[١٠٧] ينظر: سورة البقرة: ١٧٨– ١٧٩، وسورة الاسراء: ٣٣، وسورة المائدة: ٤٥.

المبحث الثاني

الوظيفة النفسية

إذا كان النص الفني كاشفا للبعد النفسي لصاحب النص فإنّ النص القرآني كاشفا للبعد النفسي للمتلقي، ذلك بأنّ المعرفة النفسية في العمل الأدبي عنصرا بارزا واصيلا، ما دام العمل الادبي يقوم في التعبير عن تجربة شعورية في صوره الموحية، فهو استجابة معينة لمؤثرات خاصة، وهو بهذا الوصف عمل صادر عن مجموعة القوى النفسية(١٠٨)، فتداعيات العنصر النفسي كفيلة بالوقوف عند مجال الخلق الادبي والكشف عن الحقائق النفسية للاديب في انتاجه ومدى تأثير ذلك النتاج على نفوس المتلقين.

أمّا النص القرآني فهو على العكس من ذلك، ولتحديد الرؤية النفسية التي ينطوي عليها النص لابد من تحديد المعرفة النفسية لدى الانسان فعلم النفس يعنى بشكل رئيس في سلوك الانسان في شتى مجالات نشاطه إلا ان البعد الاوضح في تحديد مجال النشاط، تنحصر في عملية الاستجابة حيال مثير معين، ومن ثم فان هذه العملية النفسية تتناول جانبين من الشخصية، وهي الجانب الادراكي، والاخر الجانب الوجداني(١٠٩).

يحدد النص القرآني ابعاد المعرفة النفسية لدى الانسان او حقيقة العنصر النفسي، وذلك من خلال اقراره السمة الثنائية في النفس البشرية، في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا *فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾(١١٠).

هذه الثنائية هي الاصل المحرك للطبيعة البشرية والتي تقف وراء نشاط

---

(١٠٨) النقد الادبي اصوله ومناهجه: ١٨٤.

(١٠٩) الاسلام وعلم النفس: ٧- ١٥.، ينظر: علم النفس الفني: ١٢، مباديء علم النفس العام: ١١.

ويهدف علم النفس الى التحكم في السلوك وتوجيهه لصالح الانسان بالشكل الذي يؤدي الى تحسين الصحة النفسية للافراد والجماعات، علم النفس الفني:١٨.

(١١٠) سورة الشمس: ٧- ٨، والاية ليست من آيات الأحكام.

الانسان؛ اذ يتجاذب الانسان في ((بحثه عن اللذة واجتنابه للألم))[١١١]، طرفان همـا (العقل والشهوة) او(الموهبة – موهبة العقل، والذات) او (الخير والشر) المتمثلة في (الفجور والتقوى) حيث يمثل الطرف الاول بحثا عن الاشباع المقيد بالمباديء التـي تقررها النصوص القرآنية (التقوى) ويمثل الطرف الاخر بحثا عن الاشباع المطلـق غير المرتبط بالمباديء (الفجور)، يواكب هذا الاصل النفسي، اصل ادراكي، قـائم على قابلية التمييز بين مباديء العقل والشهوة وهو الهام التقوى والفجور[١١٢].

إلا ان طرفي التجاذب يحملان سمة التوازن فيأتي الادراك ليـرجح احـدهما على الاخر بمعنى ان في الانسان على وفق الاية ثلاث قوى تتنازعانه وهـي قـوة العقل الذي يكبح جماح النفس، وقوة الشهوة التي تنطلق بالنفس الانسانية مـن حـال الى حال، مسايرةً للهواجس والخواطر، والقوة الثالثة هي قوة الادراك وهي الـوعي بمباديء كل من العقل والشهوة، وان تسليط الوعي الادراكي لاحد طرفي القوى هو الذي يحدد اتجاه الانسان.

ولهذا فإنّ الدربة والمِران على تسليط وعي الفرد الى طرف العقـل ويتبعـه نفور عن الطرف الشهوي وبالعكس.

وقد ذهب بعض الباحثين الى ان النفس تتنازعها ثلاث قوى هي قـوة الفكـر وفضيلتها الحكمة، وقوة الغضب وفضيلتها الشجاعة، وقوة الشهوة وفضيلتها العفـة. من هذه الفضائل مجتمعة تتحقق فضيلة العدالة واتزان الشخصية[١١٣].

واذا نظرنا لهذه القوى الثلاث نجد ان مردها الى السمة الثنائية فقوة الغضب هي احدى مظاهر قوة الشهوة[١١٤].

وعلى هذا يكون الجانب السلبي والايجابي متعايشين عند الانـسان فـالنفس

---

[١١١] من بديهيات اصل السلوك البشري: ينظر: الاسلام وعلم النفس: ١٢.

[١١٢] الاسلام وعلم النفس: ١٥.

[١١٣] الاعجاز الفكري في القرآن: ٤٥.

[١١٤] ينظر: جامع السعادات: ٢٢٥/١ (الغضب كيفية نفسانية موجبة لحركة الروح من الداخل الى الخارج للغلبـة، ومبـدؤه شـهوة الانتقام).

تعرف الفجور وتعرف كيف تبقى فيها وتتخلص من سيئاتها وتكون تقية، وتسير نحو التزكية، واي الناحيتين سارت فهي نابعة من قوة متأصلة فيها.

ان ثنائية الموهبة (أي موهبة العقل) و (الذات) في القرآن الكريم هـي التـي تفسر الظواهر النفسية وتضع الشخصية القرآنية التي تتمتع بالاعتدال فـي الـسلوك والاستقامة.

فلكل فرد قدر من العلم والقدرة والارادة وهي سمة الموهبة وفيه قـدر مـن الجهل والعجز والانقياد، وهي سمات الذات وبامتزاج هذه السمات تتكون الـصفات المائزة للانسان(١١٥).

ومن خلال المحرك الاساس للسلوك تأتي آيات الأحكام كاشفة عن المعرفـة النفسية للانسان وتوظيف تلك المعرفة في خدمـة الاسـتجابة التـشريعية اذ تعنـى الوظيفة النفسية في النص الكريم بالقاء الضوء على مجموعة من الانفعـالات التـي تؤثر في النفس وتسيطر على القوى الشعورية عند الانسان فهـي وظيفـة داخليـة تخوض في كوامن النفس وتسرح في اعماق الفرد وتمتلك شعوره، ثم تعـرج الـى معالجة سرائر النفوس، وخبايا الشعور، بالانذار والتحذير والترغيب والتبشير، فهي معيار التأثر النفسي،ومقياس ردود الافعال الداخلية(١١٦).

وعلى هذا يتحدد في الآيات الكريمة محوران يكادان يكونان الاظهـر وهمـا تحديد العمليات النفسية او كشف العنصر النفسي، والاخـر الـتحكم فـي النفـوس وضبطها وتعديلها، وهذا ما نلحظه في جملة الآيات القابلة.

اولاً: في آيات العبادة اهداف نفسية ضمنية فضلا عن الوظيفة الرئيسة لعبـادة الله عزوجل، فهي دليل المؤمن؛ اذ ((ان مفهوم الوظيفـة العباديـة يظـل الاسـاس

---

(١١٥) **بحوث في القرآن الكريم: ١١٧.**

(١١٦) **لاشك في ان العوامل النفسية او الجسمية تتفاعل باستمرار في سلوك الانسان وان هذا التفاعل يـشاهد فـي حـالات الـصحة والمرض على السواء، إلا ان الايحاء والتشجيع والتفاؤل طريق للتأثير في الاعراض النفسية: ينظر: علم النفس في الفن والحيـاة: ١٥٩.**

الرئيس في تفسير العمليات النفسية وتنظيمها))[١١٧].

ففي آيات العبادة تهذيب للنفوس وتسخير للطباع وضبط للنفس وتعديل للسلوك وتوجيه نزعات الانسان وطاقاته الفكرية والنفسية والسيطرة عليها، فهي الى جانب المهمة العبادية تنطلق مهمة نفسية شأنها رسم السلوك السوي للشخصية القرآنية.

فالمهمة العبادية هي وسيلة رئيسة من وسائل التحكم في سلوك الفرد ذلك بان سيطرة الايمان والعقيدة على وعي الفرد يتبعه التزام بالمباديء القرآنية وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[١١٨].

فالنص الكريم وجه الطاقة الفكرية والشعورية الى الصلاة بعدما اقر النص اولاً بتوحيد الله والعبودية المطلقة له.ففي معرض آيات الصلاة حث النص الكريم عليها ورغب فيها محفزا العواطف لاستقبال ثمرة الصلاة التي ستجنى في كنف الله قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾[١١٩].

ان الضبط النفسي ومرانها على العبودية لايتوقف عند تأدية الصلاة؛ بل هي تشمل كل اجزائها واركانها واوقاتها، فهي تركيز فكري ووجداني لايتحقق إلا بعد ضبط الانفعالات الداخلية وكبح ميول الانسان ولذلك امر الله تعالى بالصبر عليها في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾[١٢٠].

وقد يوحي التعبير (وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) على مشقة لا تلائم طبيعة النفس مع الصلاة وثقل ادائها عليها، ولذلك حثت الاية الكريمة النفس على ان تصبر عليها فلو

---

[١١٧] الاسلام وعلم النفس: ٨.

[١١٨] سورة طه: ١٤.

[١١٩] سورة البقرة: ١١٠.

[١٢٠] سورة طه: ١٣٢.

كان هناك تلائم من دون مشقة لما احتيج الى الامر بالصبر[١٢١].

واشارت الاية الكريمة في ذيلها على الترغيب والحث عليها من خلال وعد الله تعالى بالرزق، وحسن عاقبة التقوى مستثيرا عواطف الانسان وتحفيز النفس على المواظبة على الصلاة.

والركيزة الاخرى في ترويض النفس هي الامر بالاستعانة بالصبر والصلاة المضمونة برعاية الله تعالى وملازمة للعبد في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[١٢٢] .

لا تخلو من الدلالة النفسية الضمنية لما تنطوي عليه من اطمئنان المفزع ليكون قريبا من الله تعالى ومتجلدا بالصبر مثبتا قواه النفسية تحت سيطرته، والصبر دلالة نفسية مثمرة في تهذيب النفوس وترويض القلوب للطاعة والالتزام بقوانين السماء.

ولاتتوقف الوظيفة النفسية على ما تعمله من ضبط للانفعال النفسي بل الى ما تحدثه من استعداد نفسي من توجه نحو الخير والصلاح واجتناب الفواحش والمنكرات، في قوله تعالى ((وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[١٢٣].

وقد نلحظ ان العامل النفسي كان له الاثر في رسم صورة الحكم الشرعي، كما في اية الخوف في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[١٢٤] .

---

(١٢١) في تفسير آيات الأحكام: ١٠٥/١، الايرواني.

(١٢٢) سورة البقرة: ٤٥.

(١٢٣) سورة العنكبوت: ٤٥.

(١٢٤) سورة البقرة: ٢٣٩.

وقد نلحظ عنصر الترغيب في اعقاب آيات العبادة في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[125] و ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[126] وتكرار هذا الاسلوب مرده الى احداث استجابة ملائمة حيال العمل العبادي، فكلمة (لعل) توحي بالتمني في صورة الممكن القريب الحصول، وذلك لكمال العناية به والتشوق اليه والاشعار بعظمة المُتَمنَّى[127] وهو الفوز برضا الله والجنة.

ومن ثم فإن البعد النفسي لفرائض العبادات هي ضبط النفس والتمكن من تحديد سلوكها ومسيرتها لدى الانسان وجعلها طوع قواه العقلية من خلال الالتزام بشروط العبادة، واذا نظرنا الى تفاصيل الصلاة في الالتزام المكاني والزماني وهيأة المُصلي وكذلك عنصر الخشوع ندرك ان هذه العملية العبادية، لاتتحقق على اكمل وجه ما لم تُضبَط قوى النفس الفكرية والشعورية وتوجيهها توجيها خالصا لله تعالى.

وفي الصوم والحج كل واحدة من تلك الفرائض تتطلب استعدادا نفسيا كي يقبل العمل العبادي، فان تعطيل حاجات الانسان الحيوية من اكل وشرب ومباشرة، محفز ودافع في تهذيب النفس وكبح الشهوات المفرطة وتعديل السلوك ولفت النظر الى حقيقة الجوع والعطش لدى الفقراء وحقيقة المعاناة والمكابدة التي تصاحب تلك الفريضة، من شأنها ان تحدث التوازن النفسي المرتجى.

كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾[128].

إنّ هذه الفريضة تسهم في تدريب الشخصية على تأجيل اشباعاتها وفي

---

(125) سورة النور: ٥٦.

(126) سورة الجمعة: ١٠.

(127) ينظر: البلاغة الواضحة: ٢٧.

(128) سورة البقرة: ١٨٧.

تدريبها ومن ثمة على تعلم السلوك السوي[١٢٩].

ويمكننا ملاحظة هذا التأكيد على البُعد النفسي للفريضة وارتباط ذلك بعمليات التأجيل للشهوات أي التأجيل النفسي، وليس تأجيل الطعام فقط، مما يعني ان عمليات التدريب تنصب على ما هو نفسي أي على ما هو مخالف لهوى النفس[١٣٠].

وقد نلحظ انعكاس العمليات النفسية على مفهوم السلوك السوي عباديا ونفسيا في آيات الحج التي تحث الانسان على الانضباط بمباديء اخلاقية (لارفث ولافسوق ولاجدال في الحج) وكذلك جزئيات الفريضة وتفاصيلها الشاقة، هي واحدة من تلك التدريبات النفسية على الالتزام بطاعة الله تعالى ومن ثمَّ توجيه النفس الى اختيار الجانب الايجابي وسيطرة الانسان على نفسه تكون اسهل وايسر بفعل خضوع الاهواء والعواطف الى ادراك الوعي العقلي

وكما في تأجيل الصيد حال الاحرام في قوله تعالى﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ ﴾[١٣١].

هذا القانون القرآني في التدرج لايبتعد عن اختبار الانسان وقابليته على التحكم بعواطفه ونزعاته، وكيفية السيطرة على قواه الشعورية.

ونخلص الى ان آيات العبادة، كانت السمة البارزة للدلالة النفسية هي عملية ضبط لقوى النفس، وتمكينها من السيطرة على انفعال الانسان وتسليط الوعي للسيطرة على المدركات الشهوية، وتفعيل قوى العقل في التحكم والارادة.

ثانيا: آيات الحدود، يتجلى البعد النفسي في هذه الآيات الكريمة في اتجاهين: الاول، الكشف عن العمليات النفسية والاخر معالجة السلوك الشاذ والنفس المريضة.

---

(١٢٩) ينظر: الاسلام وعلم النفس: ٢٩٦.

(١٣٠) ان نقص الطعام يؤدي الى سلوك استكشافي يتوقف على اثر استهلاك الطعام، وهكذا تتحقق الانضباطية الذاتية للجسم: علم النفس التجريبي: ١٤٦.

(١٣١) سورة المائدة: ٩٤.

وذلك ما نلحظه في الآيات المتعلقة بجرائم القتل، في قوله تعالى﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١٣٢] .

تنطوي هذه الاية على ملاحظة نفسية قد أخذت بعين الاعتبار وهـي ان عملية القصاص تكون استجابة لمثير وهوالقتل العمد؛ وبهذا يكون القاتل ذا سلوك منحرف شـاذ قد هان في نفسه حياة الانسان وقد فَقَدَ الاحساس ببشاعة القتل وقبحه وهـذا فـارق بينـه وبين من قتل بــ (الخطأ) وقد اطلق النص كلمة (خطأ) كي تثبت الدية فيه دون القصاص في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾[١٣٣].

وفي القتل العمد جعل النص الكريم حالتين الاولى هي القـصاص والثانيـة الحث على العفو والتنازل، وعد ذلك نحوا من التصدق والاحسان وموجبـا للاجـر العظيم موحيا بذلك الى ان القصاص حينما شُرِّع ليس للانتقام والثأر بل جاء رادعا نفسيا لبيقة افراد المجمتع ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾[١٣٤].

هذا داعٍ الى العفو وفيه استشعار نفسي الى ان القتل لا يقطع اخوة الايمـان التي رسَّخها الاسلام.

فضلا عن تحقيق العدالة المتمثلة في قوله تعـالى: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ

---

[١٣٢] سورة البقرة: ١٧٨.

[١٣٣] سورة النساء: ٩٢.

[١٣٤] سورة البقرة: ١٧٨.

﴿وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى﴾[١٣٥]؛ وبهذا بعث على اطمئنان النفوس بان ارواحهم مصانة وحياتهم مأمونة ما دام هناك رادع ومعالج لهذه الانفس الشاذة، كما في ذيل الاية الكريمة ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١٣٦] وقد نلمس المعالجات النفسية في آية المحارب قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١٣٧] .

ذلك التصوير المرعب في الحياة الدنيا والخزي والعذاب في الاخرة لإثارة العواطف والبعث على القلق النفسي لاحداث السلوك العكسي لدى المنحرف.

وبعد هذا التهديد والترهيب في الحد نجد النص يفتح على الانفس باب ينقذها من الهلكة وهو باب التوبة، باعثا الامل من جديد ومطهرا للنفوس في قوله تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٣٨] .

وبهذا التعقيب احدث النص توازنا للعنصر النفسي بين الخوف والرحمة او بين العقاب والمغفرة.

أمّا في آيات جريمة الزنا فنجد ان النص الكريم قد كشف عن خبايا الضمائر من خلال قوله تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾[١٣٩].

---

[١٣٥] سورة البقرة: ١٧٨.

[١٣٦] سورة البقرة: ١٧٩.

[١٣٧] سورة المائدة: ٣٣.

[١٣٨] سورة المائدة: ٣٤.

[١٣٩] سورة الاسراء: ٣٢.

وإنّ الاقتراب ما هو إلا محادثة للنفس والتفكير فيه وهو تعبير جيد عن تلوث جو النفس في التفكير بالحرام فقد تسلك النفس طريقا سلبيا شاذا وذلك في التفكير في الحرام وهذا ما يسلب النفس مناعتها وتمكن الاهواء والفتن من استدراج الانسان الى المعاصي.

ثم يشرع النص الكريم حكم الحد للجريمة في قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٤٠].

فقد ابتدأ النص بذكر لفظة التشنيع وذلك لما اقتضت حكمة الله تعالى ان يفاجيء السامعين بهاتين اللفظتين الشنيعتين مبالغة في التقبيح والتنفير ثم يتركهم ينتظرون الحكم عن هذا الجرم الفضيع فيجيء الحكم له وقع في النفوس[١٤١].

أمّا المقطع الثاني من الاية الكريمة وهو الحكم بمائة جلدة، والجلد على ما فيه من وجع وألم شديدين واذلال واهانة للمحدود.

ثم يعقب ذلك مقطع ثالث وهو الامر بعدم الرأفة والشفقة بالمحدود لما في قلب المؤمن من رفقة وذلك ربما يحمله على تخفيف العقوبة فاراد الله تعالى ان ينفذ عليه العذاب كاملا ليرتدع الجاني وغيره.

أمّا المقطع الاخير فهو الحكم العلني وذلك اخزى للمحدود واكثر ايلاما للنفس وهو اردع لنفوس الناس واكثر تخويفا لهم ليتجنبوا الفعل، ويكون العفاف طبعا لهم،ونلحظ في كل من المقاطع الاربعة بعدا نفسيا يثير العواطف ويحرك النفوس نحو النفور من ذلك الجرم.

وقد يسوقنا هذا الموضوع الى اخر قريب منه وذا بعد نفسي وهو يخص العلاقة الجنسية فقد كشف النص الكريم ضمنا عن المؤثرات في نفوس الناس تجاه

---

[١٤٠] سورة النور: ٢.

[١٤١] ينظر: في رحاب القرآن: ٢٦٨، الشيخ بيوّض.

الجنس الاخر معالجا تلك المؤثرات من خلال تشريع الأحكام مباشرة.

ففي قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[١٤٢].

ونحو قوله تعالى:﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾[١٤٣] وقوله تعالى: ﴿وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾[١٤٤] وقوله تعالى: ﴿فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾[١٤٥].

ومن خلال تلك الاوامر والنواهي نجد ان للنظر والصوت والمحادثة حافزاً له اثره في استمالة النفوس وايقاظ الهوى فيما يخص الرجل.

ولابد من الاشارة الى ان النص القرآني حرص الى الايماء الى هذه المؤثرات لان الهدف هو تجنيب المسلم والمسلمة الوقوع فيما نهى الله تعالى عنه فاكتفى بذكر غض البصر بما يترتب على ذلك من انقياد نحو المعصية وقد تساوى المؤمن والمؤمنة في الاية.فجاءت هذه النواهي كابحا للمنبهات الداخلية في تأثيرها النفسي في سلوك الفرد.

ثالثاً: آيات الانفاق، تظهر الوظيفة النفسية بشكل واضح في تلك الآيات فيلاحق النص الكريم النفس الانسانية ليصلحها من افراطها وتفريطها، فقد وردت آيات في اصل الانفاق والحث عليه فقد حبب النص الانفاق ورغب فيه، وهو عامل مهم في اثارة الانفعالات نحو تهذيب النفوس من الطمع، وترقيق الطباع من الشح، ونحو ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ

---

[١٤٢] سورة النور: ٣٠- ٣١.

[١٤٣] سورة النور: ٣١.

[١٤٤] سورة النور: ٣١.

[١٤٥] سورة الاحزاب: ٣٢، وصرّح بالأنفس المريضة التي تستجيب لترقيق الصوت.

﴿خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[146].

وهو تسخير الطبائع والنفوس للانفاق،ويقف النص امام خبايا النفوس المريضة كاشفا عن ايثار الفرد نفسه وحبه لذاته واعدا بعدم نيل البر، حتى يكون الانفاق مما ترتضيه النفس لها مذكرا ان الله تعالى عليم بالاسرار والاعلان وذلك في قوله تعالى:﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[147].

وأمراض النفس لاتقف عند ايثار النفس او الاغماض في الانفاق بل هناك الانفس المنانة التي لا تنفق إلا منا أو اذى لتعلو على رقاب الناس، وهذا في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾[148] .

وقد نلحظ الرابط النفسي في طبيعة الانفاق في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[149]، فهذه الاية قائمة على ثلاثة مقاطع مترابطة فيما بينها الاول، هو الامر بالانفاق في سبيل الله، والمقطع الثاني النهي عن القاء النفس في التهلكة، والاخير هو الاحسان وحب الله تعالى لمن يحسن.

ان الدلالة النفسية في الاية جاءت في توجيه النفس الى الانفاق المتزن من خلال دلالة (وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) وهو نهي زاجر منفر، لما توحيه الجملة من البخل الموصل الى التهلكة او الاسراف المؤدي الى التهلكة فجاء المقطع الاخير ليرجح الانفاق بالاحسان محدثا اتزانا نفسيا بين البخل والاسراف.

رابعاً: الآيات التربوية، فقد حددت الآيات الكريمة مستويات السلوك بنمطية

---

(١٤٦) سورة البقرة: ٢٧١.

(١٤٧) سورة آل عمران: ٩٢.

(١٤٨) سورة البقرة: ٢٦٤.

(١٤٩) سورة البقرة: ١٩٥.

(السوي/ والشاذ) وذلك ما نلحظه من تضاعيف الآيات.

إنّ أظهر مستويات السلوك السوي في النصوص الكريمة هي التقوى، فقد امر النص الكريم بالالتزام بها في اكثر من موضع وموضوع يقول الله تعالى:﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾(١٥٠)، ويقول تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾(١٥١) وقوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾(١٥٢) وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾(١٥٣).

ان التقوى من اقوى العوازل النفسية التي تحمي الانسان من الاهواء والفتن، وهي تمنح صاحبها قدرة على الانتباه المبكر، فالتقوى تقوم على قوة التذكر والبصيرة لحدود الله، والالتزام بالمباديء القرآنية وتحصين النفس من الاهواء والهواجس الضالة، لقدرة هذا العنصر على المواجهة .

وبالمقابل نجد ان الهوى، هو العقدة النفسية التي يعاني منها الانسان وهي تتسلط عليه في مختلف المواقف والظروف، إذن تمثل المستوى السلوكي الشاذ للفرد، وهذا في قوله تعالى:﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾(١٥٤)؛ ذلك بأن سلطان الهوى على النفوس شديد.

وعلى اساس ذلك يكون الرياء والحسد والكذب والاسراف والبخل، وبخس الميزان، ولمز الناس، والنميمة والغيبة، وكثير من الاثام مردها اتباع الاهواء، وبهذا

---

(١٥٠) سورة آل عمران: ١٠٢.
(١٥١) سورة التغابن: ١٦.
(١٥٢) سورة المائدة: ٢.
(١٥٣) سورة الاحزاب: ٧٠.
(١٥٤) سورة الشورى: ١٥.

حدد النص الكريم السلوك الشاذ[155].

وبالمقابل وعلى اساس التقوى، تكون التوبة، والعدل، والاحسان، والانفـــاق، والبر، والامر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والوفاء، واداء الامانة، هو مستويات السلوك السوي[156].

---

[155] ينظر: سورة النساء: ١٤٢، سورة الماعون:٦، سورة النحل: ١٠٥، سورة غافر: ٢٨، سورة الحديد:٢٤، ســـورة الـــشعراء: ١٥، سورة هود: ٨٤– ٨٥، سورة الحجرات: ١٢، سورة القلم: ١١.

[156] ينظر: سورة التحريم: ٨، سورة النور: ٣١، سورة الانفال: ١، سورة الاســـراء: ٢٣، ســـورة الاعـــراف: ١٩٩، ســـورة آل عمران: ١٠٤.

المبحث الثالث

الوظيفة الاخلاقية

إنَّ المعرفة الاخلاقية على نمطين ما كان نظرة وصفية للاخلاق باعتبار ان موضوعها هو تحديد القواعد التي يسلك الانسان بمقتضاها في الواقع[١٥٧]، فهي مجموعة القواعد السلوكية التي تعارف عليها مجتمع في حقبة من التاريخ[١٥٨]، وعلى هذا يكون علم الاخلاق وثيق الصلة بعلم النفس؛ لانه مقدمة لعلم الاخلاق[١٥٩].

ذلك بأنّ المفهوم الاخلاقي يخالجنا من الداخل على شكل مشاعر، ويخالجنا من الخارج تحت ضغط الاخلاق حينما تكون مقابلة بين الخير والشر[١٦٠]، فيكون وثيق الصلة بعلم الاجتماع، اذ ان دراسة السلوك من اعمال الانسان الارادية وهي موضوع الاخلاق التي تحتم على دراسة الحياة الاجتماعية التي هي موضوع علم الاجتماع[١٦١].

وتأتي النظرة الفلسفية، التي تجعل علم الاخلاق فرعا من فروع الفلسفة[١٦٢]، في حين أن موضوعه هو فرض القواعد التي ينبغي ان يحتذيها الانسان في سلوكه أي يعدونه علما معيارياً، يقوم على الأحكام التقويمية وان موضوعه هو قيمة الخير والشر، لان مهمة الاخلاق، انما تنحصر في وصف المثل الاعلى وبيان الكمال الاخلاقي او تشريع القانون الاخلاقي والحجة في ذلك ان الاخلاق علم عقلي يدرس ما ينبغي ان يكون، فهي ليست دراسة تقريرية للعادات والسنن والطبائع الخلقية بين الناس؛ بل هي دراسة معيارية للخير والشر، اذ اصبحت الاخلاق عند الفلاسفة

---

(١٥٧) الاخلاق والمجتمع: ٣.

(١٥٨) م.ن: ٣.

(١٥٩) الاخلاق: ١٧.

(١٦٠) المذاهب الاخلاقية الكبرى: ٦.

(١٦١) الاخلاق: ١٧.

(١٦٢) م.ن: ١٦.

نظرية المثل الاعلى[١٦٣].غير ان المفهوم العام يثير العديد من الصعوبات ما ان يتناوله التفكير اذ تتحدد المشكلة الاخلاقية عندما توافق الحدث الاخلاقي[١٦٤].

ويظهر ذلك من خلال الذات والزمان والمكان اذ ان وجود مفاهيم اخلاقية لدى شعوب او جماعات تختلف بصورة كاملة عن مفاهيم غيرها، وغريبة عنها كل الغرابة، وللازمان مفاهيمها وقيمها التي تخالف ازمان اخرى[١٦٥]، إلا انه لايعدم هناك قواعد اساسية والتي لايمكن لمجموعة انسانية الاستمرار بها او من دونها.وعليه تبين هذه التناقضات وجود مشكلة، يدركها من يمتلك عمقا عقليا أن يفهم فكرة الاخلاقية وان يوحدها وان ينسقها.

ويرى بعضهم انه ليس يسيراً تعريف المواقف الاخلاقية الاساسية ((ولعل من الافضل بوجه من اوجه الاعتبار ان نجهلها ما دامت لا شعورية دوما، فالافعال وحدها هي الجديرة بالعناية ... فمن المشروع اعتبار الفعل مركز الحياة الاخلاقية))[١٦٦].

وعلى وفق هذه الرؤية شهدت الازمنة نتاجات فكرية في الاخلاق متمثلة بمذاهب اخلاقية، غايتها انشاء اخلاقية عقلانية، ولهذا يرى هيغل: ((ان البناء الاخلاقي؛ أي بناء اخلاقي شأنه شأن أي حدث تاريخي، واية نظرية فلسفية او اية ظاهرة انسانية فهو يشكل مرحلة ضرورية من مراحل تطور الانسانية))[١٦٧].

اما الوجه الاسلامية للاخلاق فلها بعد اخر، فهي قائمة على الشريعة الاسلامية التي دعت الى الاعتقاد بان الله (عز وجل) مصدر كل شيء في العالم وواضع النظام والطريق الذي يسير عليه الانسان، ومشرّع القوانين والأحكام التي

---

(١٦٣) الاخلاق والمجتمع: ٤، الاخلاق والحياة الاقتصادية: ٥، ان الاعتقاد الاخلاقي هي تجربة المثل الاعلى وهي ليست تجربة حادث بل هي مستمدة من الحقيقة الموضوعية.

(١٦٤) المذاهب الاخلاقية الكبرى: ٧.

(١٦٥)م.ن: ٨.

ان المشكلة الاخلاقية هي فقدان اليقين الاخلاقي، واليقين الاخلاقي هو احساس ذاتي في الفرد بانه يملك حقيقة ما هو فاضل ورذيل وطيب وخبيث، فهو قاعدة للافعال الانسانية؛ اذ ان السلوك ينبني على اساس القناعات الاخلاقية التي يحملها الفرد،ظ: دراسة في الاسس العلمية للفلسفة الاخلاقية عند سبينوزا، زيد عباس كريم.،رسالة دكتوراه: ٢٢.

(١٦٦) المواقف الاخلاقية: ٥.

(١٦٧) المذاهب الاخلاقية الكبرى: ١٤.

يجازي عليها في الدنيا والاخرة، وان الله تعالى لم يأمر وينهى اعتباطا، بل انه عز وجل جعل صلاح الدنيا وانتظام شؤونها يتوقف على قيم اخلاقية فأمر بها وجعل فسادها باضدادها فنهى عنها(١٦٨).

ولذلك كان الدين عماد كثير من النظريات الفكرية لدى علماء الاسلام، وهذا ما اوقفهم عن البحث في اساس الخير والشر ذلك بان تعاليم القرآن، ليست مجرد مجموعة من الطقوس والعبادات وانما هو نظام شامل للحياة المدنية والاخلاقية، لا لما ينطوي على مباديء غيبية، بل للحلول التي قدمها لمشكلات الانسان الاخلاقية(١٦٩).

وهذا ما جعل للنص سلطة واضحة المعالم ومطلقة الفعالية في الكشف عن الحقائق الكلية.

فالغزالي يرى ان علم الاخلاق هو تكييف النفس وردها الى ما رسمته الشريعة وخطّه رجال المكاشفة من علماء الاسلام، ومن سبقهم من الانبياء والصديقين والشهداء(١٧٠).

وقد عرف الخلق بانه ((عبارة عن هيأة في النفس راسخة عنها تصدر الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فإن كانت الهيأة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيأة خلقا حسنا، وان كانت تصدر عنها الافعال القبيحة سميت الهيأة التي هي المصدر خلقا سيئا))(١٧١).فاذن الخلق عنده هو عبارة عن هيأة النفوس وصورتها الباطنة.

وذهب الى تعريف الخلق الحسن بانه اصلاح القوى الثلاثة: قوة الفكر، وقوة الشهوة، وقوة الغضب(١٧٢).

---

(١٦٨) الاخلاق: ١٣٦.

(١٦٩) الاخلاق عند فلاسفة المغرب العربي: (رسالة دكتوراه): ٢٠.

(١٧٠) احياء علوم الدين:الغزالي: ٥٣/٣.

(١٧١)احياء علوم الدين،الغزالي: ٥٦/٣.

(١٧٢) الاخلاق عند الغزالي: ١١٥.

أمّا الفارابي فقد ركز على مفهوم السعادة وهي في نظره الغاية القصوى للانسان، وهي تنال بممارسة الاعمال المحمودة عن الارادة والارادة عنده دعامة الاخلاق[١٧٣].

ومن خلال البحوث الاسلامية في الاخلاق تحدد مقدمة مهمة تتضح بموجبها نتائج البحث الاخلاقي الاسلامي، وهي ان علم الاخلاق هو علم السلوك لتشخيص الصالح عن الشائن، ولما كان علم التشريع (الفقه) المنبثق عن آيات الأحكام القرآنية يمثل العدل الالهي، وان العدل جزء من الاخلاق، اذ ان قضيته الرئيسة هي ادراك حسن العدل وقبح الظلم، كان علم التشريع كله ناشئا من منشأ اخلاقي[١٧٤].

ومن جانب اخر ان التشريع وجد من اجل ايجاد السلوك الصالح وعلم الاخلاق علم السلوك فكان الالتقاء والتداخل بين العلمين الى ((حد يكاد يكون احدهما عين الاخر))[١٧٥].

وان كان اهتمام المتشرعة الى ما تؤول اليه الأحكام من ثواب وعقاب وطاعة ومعصية إلا انه كان من صميم السلوك الاخلاقي العام، وهو مقدمة للاخلاق العليا بل انه مقدمة للفرد السالك في مدارج الكمال، مهما كان مرتفعا اذ ان ((جميع العلوم الشرعية مقدمة لمعرفة الله تبارك وتعالى ولحصول حقيقة التوحيد في القلب، فعلم الفقه مقدمة للعمل، والاعمال العبادية هي بنفسها مقدمة لحصول المعارف وتحصيل التوحيد والتجريد، ان أديت بآدابها الشرعية القلبية والقالبية والظاهرية والباطنية))[١٧٦].

وبالنتيجة ان مقصد القرآن الكريم هو تصفية العقول وتزكية النفوس لحصول المقصد الاعلى وهو التوحيد[١٧٧].

---

(١٧٣) تحصيل السعادة: ٣٢.

(١٧٤) فقه الاخلاق: ٥.

(١٧٥) م.ن: ٢٧.

(١٧٦) جنود العقل والجهل: ٩.

(١٧٧) م.ن: ١٠.

فالتشريع في القرآن، هو تنظيم للعلاقات الدنيوية وهي من ثم تمهيد للصلات الروحية بين الانسان والله الكبير المتعال، ذلك بان سياق القرآن كله يتجه وجهة روحية ويذكر الانسان بالله تعالى خالقه مخوفا اياه من بطشه ومطمعا في جزيل ثوابه للصالحين(١٧٨).

وعلى هذا الاساس يكون علم الاخلاق، على نمطين: الاول، هو الجانب الظاهري من الشريعة وهو السلوك الحسن ومعاملة الاخرين ويخص العامة من الناس، وبذلك تُحَدَّد بالتكاليف العامة من الواجبات والمحرمات أي الجانب الالزامي في الشريعة.

اما الثاني فهو الجانب الباطني ويقصد به السلوك الاخلاقي العرفاني الذي يمثل العمق الاخلاقي، وهو يخص الخاصة من الناس القادرين على بلوغ ذلك العمق وهذه التكاليف المعَمَّقة تشمل المستحبات والمكروهات وهي غير الزامية في الشريعة، فتكون أحكاماً اخلاقية بطبيعتها فهي تربي الفرد من خطوة اعلى من مجرد الالتزام بما هو الزامي في الشريعة.

وهي تعد اولى الخطوات نحو الكمال الاخلاقي اللائق والعالي تتبعها مستويات ورياضات من التعاليم المُعَمَّقَة للسلوك الاخلاقي العالي، الذي يختص بالقلة من الافراد ممن يتحملونه وهم اهل العرفان والتصوف.

ان هذا المستوى العالي من الاخلاق يبدأ من ادنى مستويات الفرد ويتدرج به الى الكمال، وان اولى الخطوات في ذلك هو الالتزام بالشريعة الظاهرية حتى ما اذا حصل ذلك بالاخلاص كان الفرد مستحقا للخطوة الثانية في طريق الكمال(١٧٩).

وفي ضوء ما تقدم تنقسم الشخصية الانسانية إلى شخصية مادية وشخصية روحية فالاولى هي الشخصية التي تتأدب بالقانون أي التي يخص الجانب الالزامي (الواجبات والمحرمات) والثانية هي الشخصية التي تتأدب بفضل الروح أي الجانب

---

(١٧٨) التصوف الاسلامي: ٢/ ٦– ٨.

(١٧٩) ينظر: فقه الاخلاق: ١/١٠– ١١.

غير الالزامي من الشريعة(١٨٠).

واذا نظرنا الى تلك الرؤية في علم الاخلاق والمشاكل عند الفلاسفة وعلماء الاخلاق نجد ان قيمة المعرفة الاخلاقية تتجلى من خلال الكيفية التي ساق بها الله سبحانه وتعالى الأحكام فالقرآن الكريم حدد المفاهيم الاخلاقية، حينما ربطها بتفاصيل الأحكام وهذا الاخير مرتبط بتفاصيل افعال الانسان العبادية والعملية.

وانتقالا الى التطبيق الاجرائي تتجلى الاخلاق المثالية من خلال توظيف القيم داخل النص الكريم، في الاتي:

اولاً: في آيات العبادة، بعد اخلاقي وهذا ما نلحظه من خلال التركيز على اقامة الصلاة فهي نوع من الانضباط للاوامر الالهية وطاعة له، والتزاما بما اقره، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ﴾(١٨١)، وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(١٨٢) .

فالصلاة قيام بين يدي الله (عزوجل)، يكبح غرور الانسان ويأخذه بالخشوع والتواضع امام عظمته وقدرته وجلال خلقه آخذةً بالنفس المريضة الاثمة المنّاعة، نحو الصلاح وسمو الروح مرهفة النفس نحو تزكية الطباع وتهذيب السريرة عن الفحش والمنكر كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾(١٨٣).

وحين لا تؤدي الصلاة غايتها من النهي عن الفحشاء والمنكر، فانها تعود

---

(١٨٠) التصوف الاسلامي: ٢/٤.

(١٨١) سورة الانعام: ٧٢.

(١٨٢) سورة النور: ٥٦.

(١٨٣) سورة العنكبوت: ٤٥.

بذلك طقوسا شكلية وحركات آلية مجردة عن معناها وحكمتها.

والنص الكريم لايقبل ان تكون الفرائض فارغة من مضمونها؛ بل يتجه بالعبادات الى ان تكون تهذيبا للنفس ورياضة للضمير وهداية الى خير الفردوالجماعة[(١٨٤)]، وهذا ما توضحه الاية الكريمة في قوله تعالى:﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[(١٨٥)].

في هذه الكتلة السياقية تكثيف واختزال لمكارم الاخلاق وفضائل الاعمال تبدأ من التوحيد بالله الى الصبر في البأساء[(١٨٦)].

وقد استثمر النص الاسلوب الايحائي الذي تمركز في كلمة (البر) وانتهى بالصورة الوصفية لاولئك الصادقين والمتقين لتحقيق غاية اخلاقية.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[(١٨٧)].

إنّ اظهار فرائض العبادة لها دلالة اخلاقية من حيث اظهار العمل الصالح المتحقق في تادية الصلاة ومن ثمة الاقتداء به.

---

(١٨٤) التفسير البياني للقرآن الكريم/بنت الشاطيء: ٢/١٩١.

(١٨٥) سورة البقرة: ١٧٧.

(١٨٦) التوحيد غاية الاخلاق عند الصوفية، والصبر احد مقاماتهم، ينظر: مجلة المبين/ع٢/٢٠٠٥م/ سير السلوك في فكر اهل العرفان دراسة اخلاقية/د. نعمة ابراهيم.

(١٨٧) سورة طه: ١٣٢.

ولابد من ملاحظة القيمة التربوية للاية حيث انها تـأمر النبـي k وغيـره بالصبر على الصلاة وعدم الانشغال عن وقتها بالرزق، فالله تعالى تكفل به، فالتفرغ للعبادة وقت الصلاة له قيمة تربوية في البناء الروحي للمجتمع الاسلامي.

وتتعدى الوظيفة الاخلاقية الى اجزاء الصلاة اذ يُلمح البعـد الاخلاقـي فـي زمانها ومكانها وفي الستر ، والذكر، والتعوذ، والطهارة، والخشوع[١٨٨].

ففي قوله تعـالى:﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[١٨٩] .

إنّ لتقارب أاوقات الصلاة وظيفة اخلاقية، في كونها تضيق الوقت علـى المرء في ارتكاب الفواحش والالتزام في النهي عن المنكر، فالـصلاة معـراج المؤمن فلا ينبغي له ان يعرج بنفس خبيثة، وصفات دنيئة؛ بل لايمكن ذلك على الاطلاق، فحقيقة الصلاة تتناقض وتتقاطع مع اتيان الفواحش والمنكر، اذن هي تقييد للسلوك الاخلاقي السلبي وقتيا.فضلا عن ذلك ان الله سبحانه وتعالى اختار للصلوات اليومية افضل الاوقات دنيويـا ودينيـا[١٩٠]، بلحـاظ قولـه تعـالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾[١٩١] وقوله تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾[١٩٢] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾[١٩٣].

اما من الناحية الدنيوية فان اوقات الصلاة اليومية هي ليست وقت عمل عادة او هي وقت راحة وهدوء وفيها يكون المرء في توجه لله سبحانه باعثا على الخشوع

---

[١٨٨] ينظر: موسوعة اخلاق القرآن: ٣/ ٥٦٢.، ١٥٤، ١٤٢، ينظر: فقه الاخلاق: ٥٧/١، ١٨٧.

[١٨٩] سورة هود: ١١٤.

[١٩٠] ينظر: فقه الاخلاق: ١٧١/١

[١٩١] سورة الاسراء: ٧٨.

[١٩٢] سورة آل عمران: ١٧.

[١٩٣] سورة المزمل: ٦.

والخضوع والتضرع[194].

وللمكان بعد اخلاقي اذ لايمكن ان تقام الصلاة في مكان مغصوب او غير طاهر، وقد نتلمس الايماءات الاخلاقية في استحباب تأديتها في المساجد فالمسجد هو مكان مشاع للجميع فضلا عن مدح المصلين فيه بالطهارة ونهي المشركين من الاقتراب منه لقوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[195].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾[196].

إنّ المساجد ذات تأثير وضعي او موضوعي في زيادة التقرب المعنوي الى الله تعالى والخشوع له والتضرع اليه وقد تكون القبلة الى بيت الله احدى هذه العبر الاخلاقية التعبدية[197]، فضلا عن ذلك يعد المسجد مدرسة تربوية متكاملة لبناء اواصر المحبة بين الناس لاجتماع المؤمنين فيه لطاعة الله تعالى لذلك نهى من اقتراب المشركين اليه كي لا يفسدوا تلك الروح الجماعية السامية.

وهكذا ان معظم تعاليم الشرع وما افترض من فرائض يتعلق بالظاهر ولكن الدين يدعو الى الاعمال الباطنية، أي ان للشريعة حكما على المُكلّفين من حيث ظاهر اعمالهم، وحكما عليهم من حيث باطن اعمالهم.

ففي الصلاة معانٍ باطنة ما أن يستقبل المُكَلف القبلة فقد وجب ان يصرف قلبه عن سائر الامور إلا الله سبحانه ،وحركات الصلاة ليست إلا لتحريك الباطن

---

(194) فقه الاخلاق: ١/١٧٢.

(195) سورة التوبة: ١٠٨.

(196) سورة التوبة: ٢٨.

(197) ينظر: فقه الاخلاق: ١/١٧٣– ١٧٤.

وضبط الجوارح[198]، بل ان النية [199] في بدء الصلاة تعني عــزم الانــسان على الامتثال لله تعالى والكف عن المعاصي، وهكذا في كل جزئية مغزى اخلاقــي يحث المرء على لزومه .

وقد يلحظ البُعد الاخلاقي بشكل كبير في النصوص الكريمة التي تحث علــى (الطهارة) فهي في اللغة النظافة والتنزه عن الادناس، وفي الشرع هي رفع الحــدث وازالة النجاسة او ما في معناهما.

والطهارة في النص القرآني ضربان طهارة حسية وطهارة معنوية، واغلــب الآيات التي جاء فيها ذكر التطهر لاتخرج عن ذلك كما فــي قولــه تعــالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾[200].

أي ينزل عليكم ماءً طاهراً مطهراً، فالماء للطهارة الحسية.

وفي الوقت نفسه ترتكز هذه الطهارة على معنى اخلاقي؛ اذ ان القصد من الطهــارة تطهير السرائر؛ اذ يبعد ان يكون المراد مجرد نظافة الظاهر بالمــاء، مــع خبــث الباطن.

فالغرض من التطهير تعمير القلب بالاخلاق المحمودة والعقائد المــشروعة، وذلك يقتضي تطهُّره من نقائضها من الرذائل الممقوتة والعقائد الفاســدة، وغــرس الاخلاق الفاضلة، وقد صرح النص الكريم بالطهارة الاخلاقية او الوجدانية[201]، في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ﴾[202]، وكذلك نجد المعنــى

---

[198] ينظر: الفلسفة الاخلاقية في الفكر الاسلامي: ٢٨٨.

[199] ينظر: فقه الاخلاق: ١/ ١٩.

[200] سورة الانفال: ١١.

[201] الفلسفة الاخلاقية في الفكر الاسلامي: ٢٨٨.

[202] سورة التوبة: ١٠٣.

الاخلاقي في قوله تعالى:﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾(٢٠٣)،أي ذلك خير لكم وافضل وأطهر لقلوبكم من الريبة، نحو قوله تعالى:﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾(٢٠٤)،أي احفظ لقلوبكم وقلوبهن من الشك وخواطر السوء فدل على معنى اخلاقي كريم في العفة والتصوّن عن ارتكاب الفاحشة .

وعلى هذا الاساس استنبط اهل الباطن (الصوفية) من ظواهر الاوامر التعبدية معانيا خلقية غاية ما افترض على المسلم من فرائض، وهم يعدون ان الباطن اصل الظاهر فقد ذهبوا الى طرق في المقابلة بين طهارة الحس وطهارة النفس(٢٠٥).

إنّ الغاية الاخلاقية الظاهرة ترتكز في غرس بذور الاخلاق الفاضلة في نفوس المصلين منمية روح البر والألفة في اعماقهم،ولذلك حذر النص القرآني من (الرياء) في اداء العبادة، فالمصلون الذين يؤدونها اداءً شكليا يراؤن بها غافلين عن حكمة اقامتها وهي مراءاة وتظاهر بالعبادة والتقوى، قصدا الى جلب منفعة او دفع اذى .

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ

(٢٠٣) سورة البقرة: ٢٣٢.
(٢٠٤) سورة الاحزاب: ٥٣.
(٢٠٥) ينظر: موسوعة اخلاق القرآن: ٦٦/٣.

قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً﴾[٢٠٦].

وفي موضع اخر ينذر بالويل (للمصلين)[٢٠٧] الساهون، وهو بهذا يقرر صفة اخلاقية ذميمة مقابل تلك الفضيلة المخلصة لله تعالى، فالمراءاة ان يُظهر الانسان خلاف ما يُبطِن، فهو يُري الناس ظاهرا محمودا، وهو يضمر ما ينقضه، فهو للنفاق اقرب الذي يكتم الكفر ويظهر الاسلام.

ولا نعدم البُعد الاخلاقي في فريضة الصوم ما دام المرء يدأب في تحصيل فضل الله تعالى ويسعى الى رضوانه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ... شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٢٠٨].

تدلّ الآيات الكريمة على تشريع الصوم في حق المؤمنين وانه ثابت عليهم كما هو ثابت على الامم السالفة.

وان اختيار فريضة الصوم لشهر رمضان فيه فضيلة زمانية، فهو افضل الاوقات دينيا لما اشار اليه النص في نزول القرآن وهذا له مردود اخلاقي في وصول المرء الى عدة مستويات[٢٠٩]، من عمق درجة الايمان وصفاء القلب ولما

---

[٢٠٦] سورة النساء: ١٤٢.

[٢٠٧] ينظر: سورة الماعون: ٦.

[٢٠٨] سورة البقرة: ١٨٣، ١٨٥.

[٢٠٩] ينظر: فقه الاخلاق: ٣١٧/١.

كان الصوم يقصد القربة الى الله تعالى؛ يعني رمزية واضحة عن الامساك من اللذائذ المحرمة والاندفاعات النفسية والكف عنها، والصبر على تركها، حيث ان المعنى اللغوي للصوم الامساك عمّا تنازع اليه النفس، وفي الشرع الامساك عن المفطرات، فالمراد هنا – والله اعلم– المعنى اللغوي والشرعي، ويكون في تركها تكاملا معنويا مرضيا لله سبحانه، وهذا ما اشار اليه النص الكريم في ذيل الاية في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾[٢١٠].

وقد سبق ذلك مطلب في جملة ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾[٢١١]، فالصوم سواء أكان واجبا أم مستحبا (فمن تطوع) لاترجع فائدته الى الله سبحانه؛ بل ترجع اليكم ايضا مادامت الاية الكريمة مجملة من هذه الناحية.

ونخلص الى الدلالة الاخلاقية التي اشارت اليها الاية من ابعادها المصلحية هو التذكير بجوع يوم القيامة وعطشه والتذكير بجوع الفقراء والمعوزين، وهو من ثم تحريك عاطفة الشفقة.

إنّ عاطفة الشفقة لاتأتي إلا لبث معنى التضامن الانساني، وفي الوقت ذاته نداء للعاطفة ووضع المرء وجها لوجه امام الواقع، وانعاش الارادة الاخلاقية، وايقاض الفكر العملي[٢١٢]،فضلا عن تعويد الفرد على قوة الارادة والتحمل والصبر، وتوجيه تلك الارادة للخير، ولذلك كان الصوم تطهيرا للقلب وصفاء للنفس.

أمّا الدلالة الاخلاقية في الزكاة فهي أوضح من سائر البعادات فان المعنى الاصطلاحي او الشرعي للزكاة منحدر عن المعنى اللغوي؛ الذي يعني النمو او

---

[٢١٠] سورة البقرة: ١٨٥.

[٢١١] سورة البقرة: ٨٤.

[٢١٢] الاخلاق والحياة الاقتصادية: ٧.

بمعنى طاب، ويستعمل في المعنويات بملحظ من الخير والبركة .

ومنه قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾[٢١٣].

فالتزكية هنا بمعنى التهذيب والتطهير اما في الشرع فهي تخص ما يدفعه المؤمن من ماله فريضة، فيزكو المال ببركة الله تعالى وثوابه، وان ارتباط (تطهرهم وتزكيهم) جاء اوثق للمعنى الاخلاقي في ان البذل للمال لم يكن عن قصد جزاء لاحد او من احد، وانما هو خالص لله سبحانه، وقوله (خذ من اموالهم) أي بعض من اموال الاغنياء لتطهرهم من الخصال المذمومة كـ (البخل، والتعلق بالدنيا)، وتحليهم بالصفات الحميدة التي تشعرهم بوجوب مساعدة الضعفاء.

ثانياً: آيات التعامل الاجتماعي، تبرز اهمية الوظيفة الاخلاقية من خلال اهتمام النص القرآني في الحث على الاخلاق الحسنة في التعامل بين الانسان والاخر حيث يدعو بشكل صريح الى التمسك بالاخلاق الفاضلة التي تطهر النفس وتحذره من الاخلاق السيئة، وقد هيّأ الله سبحانه وتعالى حججا باطنة وظاهرة تعرف المرء بالحسن والقبيح، او الخير والشر، ونستظهر القيم الانسانية العليا التي أمر الله تعالى بها في كتابه الكريم من خلال النصوص المباركة الاتية في قوله تعالى: ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢١٤].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ* وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢١٥]،وقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا

---

[٢١٣] سورة التوبة: ١٠٣.

[٢١٤] سورة الحجر: ٨٨.

[٢١٥] سورة الشعراء: ٢١٤- ٢١٥.

رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾[٢١٦] .

انبثقت عن جملة (خفض الجناح) دلالة اخلاقية اكد النص المبـارك عليهـا، واوضح قيمتها حينما وجه الخطاب الى الرسول (صلى الله عليه وآله وسـلم) فـي النص الاول والثاني اما النص الثالث فكان فيه المعنى يدور حول شخصيتين يعلـو حقهما على حقوق سواهما .

ويلحظ من اسلوب الامر والطلب العناية القرآنية بهذه الفضيلة ليدل على علو مكانة هذه الفضيلة الاخلاقية القرآنية وتشريفا لهذه المعاملة الانسانية عـن طريـق مطالبة الرسول k بها اكثر من موضع؛ ليكون خير اسوة للناس في الالتـزام بهـذا الخلق القرآني .

ففي النص الاول تواضع ولين عام شامل لكل المؤمنين والرفق بهم والحلـم عليهم، اما في النص الثاني بدأ الاية بالانذار وفيه شدة وصلابة، ثم ذكـر خفـض الجناح وفيه رفق ولين وتواضع، فالنص يحدد آليات المعاملة على وفـق مقتـضى المقام، فاستعمل اللين في مواطنه، والرفق في مواضعه، والانذار والحزم في حاله.

أمّا في النص الثالث فهو تواضع للوالدين فوق طاعتهما وحفـظ حقوقهمـا، بلحاظ جعل للذل جناح مبالغة في التذلل والتواضع لهما والرحمة.

ومن الملاحظ في هذه النصوص الكريمة استثمار جمال التصوير الاستعاري في (خفض الجناح) للتعبير عن الوظيفة الاخلاقية .

واذا كان لـ(خفض الجناح) مدلول اخلاقي في آيات الأحكام نجـد ان كلمـة (المعروف) تأخذ بعدا اخلاقيا واثرا كبيرا في سياقات النص القرآني واستعمالاته في كثير من المواضع المتباينة الأحكام بنفس قوة الدلالة وفاعلية المعنى.

و(المعروف) لفظة مأخوذ من مادة (المعرفة) وهي ادراك الشيء بتفكر وتدبر

---

[٢١٦] سورة الاسراء: ٤٤.

لاثره، ثم استعمل هذا اللفظ في الامر المستحسن الذي هو ضد المنكر، فـــالمعروف اسم لكل فعل يعرف الانسان حسنه في العقل او الشرع[٢١٧].

وتتحدد الوظيفة الاخلاقية لفضيلة (المعروف) في المصاحبة او المعاشرة مع الوالدين وهي تلزم الولـــد نحـــو والديـــه فـــي قولـــه تعـــالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾[٢١٨].

وتأتي المصاحبة بالمعروف او المعاشرة بالمعروف بين الزوجين فقد وصف النص القرآني الزوجة بــــ (صـــاحب بالجنـــب) فـــي قولـــه تعـــالى: ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾[٢١٩]، وفي قولـــه تعـــالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾[٢٢٠].

أي الاحسان في عشرة النساء والمصاحبة بالذي تعرفه وتالفه طبائعهن والذي لايستنكر شرعا ولاعرفا ولامروءة.

ومن براعة التعبير القرآني في استعماله للفظة (المعروف) قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ

---

(٢١٧) ينظر: لسان العرب،مادة(عرف: ١١٢/١٠، وهو اسم جامع لكل ما عرف من الله والتقرب اليه والاحسان الى الناس وكـــل مـــا ندب اليه الشرع.

ينظر: معجم مفردات الفاظ القرآن: ٣٤٣.

(٢١٨) سورة لقمان: ١٥.

(٢١٩) سورة النساء: ٣٦، يقول ابن كثير في تفسيره: ((هي المرأة او الرفيق في السفراو الرفيق الصالح او جليـــسك فـــي الحـــضر ورفيقك في السفر)).

وفي تفسير فتح القدير: ((جليسك في الحضر ورفيقك في السفر)).

وفي مجمع البيان اربعة اقوال: ١- الجار ٢- الزوجة ٣- الخادم الذي يخدمك ٤- المنقطع الذي يرجوك: ٤٦/٣.

(٢٢٠) سورة النساء: ١٩.

﴿مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[٢٢١].

يحدد النص توازنا في المعاملة الزوجية من خلال الاسلوب الوصفي الموحي لتلك الموازنة في جميع الشؤون والاحوال أي ان الحقوق بينهما متبادلة وانهما اكفاء وكما انهما متماثلان في الذات والاحساس والادراك، كانا ايضا متماثلين في الواجبات.

ويصل كرم الاخلاق القرآنية حدا يفوق كل تصور في الحث على حُسن المعاشرة للزوجة حتى في حال الطلاق في قوله تعالى:﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[٢٢٢].

ويعود النص في السورة نفسها فيقول سبحانه وتعالى:﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[٢٢٣].

فالنص القرآني تضمن الامر بحسن العشرة فاما تخلية من غير ضرار، واما قيام بحق المعاشرة على الحسنى والوفاء.

ويلحظ في النص التعبير بالسراح مكان الفراق ويبدو ان القصد من ذلك ان لفظة (الفراق) اقرب الى الاساءة منه الى الاحسان فاراد النص تحسين العبارة مع تحصيل المقصد فاستعمل لفظة (التسريح).

وتأتي الدلالة الاخلاقية في معرض الحديث عن السفهاء الذين لايحسنون

---

[٢٢١] سورة البقرة: ٢٢٨.

[٢٢٢] سورة البقرة: ٢٢٩.

[٢٢٣] سورة البقرة: ٢٣١.

التصرف في اموالهم وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾[٢٢٤].

إن القول الطيب يدل على حسن المعاملة والتوجيه والارشاد الى الخير ومن الواجب الانفاق عليهم من اموالهم في حدود حاجتهم ومصلحتهم، فالكلمة الطيبة يعدها النص الكريم نوعا من انواع المعاملة الحسنة والاخلاق الفاضلة وذلك في قوله تعالى:﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذىً وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾[٢٢٥] .

فللقول صدى مؤثر على النفس في بعض الاحيان واشد وقعا من الفعل اذا كان طيبا حميدا، وبخلافه يكون وقعه، فالقول افضل من العمل في هذه القضية (الصدقة) حصرا لما لها من ردود فعلية نفسية، فاذا كانت مع الغلظة او المن فقدت قيمتها العبادية والاخلاقية، وعاد القول بالمعروف عملا متساميا نبيلا.

وقد وجه النص الكريم الى اتباع طريق المعروف حتى في مواطن القصاص ومواقف الدية فيكون المقتص غير متجاوز حد العدل وذلك في قوله تعالى: ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾[٢٢٦].

ثالثاً: آيات المحادثة او فن الجدل:

ان عرض الافكار والمجادلة في الاحاديث امر في غاية الاهمية ولذلك جاءت النصوص المباركة واضعة ضوابط الكلام ولياقة الحديث في عرض الافكار وطرح الموضوعات.

---

[٢٢٤] سورة النساء: ٥.

[٢٢٥] سورة البقرة: ٣٦٣.

[٢٢٦] سورة البقرة: ١٧٨، ينظر: سورة الاسراء: ٣٣.

ونتلمس ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢٢٧]. وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٢٢٨].وفي قوله تعالى:﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوّاً مُبِيناً﴾[٢٢٩] .

حث النص المبارك على الدعوة الى الخير ولاتكون إلا بطيب الكلام واحسن القول والدعوة الى الخير فضيلة اخلاقية قرآنية تدعو الى الصلاح والاصلاح وتقوية الخير والبر، لما في الكلمة الطيبة من فعل في طمأنينة النفس وانشراح القلب.

ونلحظ السمة الاخلاقية في اصول المجادلة وذلك في قوله تعالى:﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٢٣٠].

يعين النص الكريم ثلاث مراتب للدعوة: فالاولى لاتكون إلا للحكماء واصحاب المعارف الحقيقة ولذلك جاءت الدعوة لهم على اساس مقامهم بالحكمة، وهي البراهين القطعية، اما المرتبة الثانية فتخص العوام من الناس وتكون بالموعظة الحسنة التي تألفه القلوب وتستهوي النفوس وهي الدلائل اليقينية الاقناعية، اما الجدل فيكون لاصحاب المخاصمة والمجادلة ولاتكون إلا بالاحسن والاكمل للانتهاء الى

---

[٢٢٧] سورة آل عمران: ١٠٤.
[٢٢٨] سورة فصلت: ٣٣.
[٢٢٩] سورة الاسراء: ٥٣.
[٢٣٠] سورة النحل: ١٢٥.

الخير والاهتداء الى الحق وهي المرتبة الاخيرة[٢٣١].

نحو قوله تعالى:﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٢٣٢].

إنّ منهج القرآن الكريم يحض على حسن الخلق؛ اذ يعد خير وسيلة للاقناع والهداية والارشاد، وان الخلاف في العقيدة والفكر ليس مدعاة الى اساءة الخلق فليس للجدل كثير نفع اذ ان الاحاسيس تتهيج في اثنائه وله الاثر السيء في قلب الخصم مما يحمله على الاصرار والعناد في مدعاه وحينئذ تكون الكلمة التي تؤدى بخشونة ان تقطع اواصر المحبة بين الطرفين[٢٣٣].

كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[٢٣٤].

فضلا على ذلك حرص النص الكريم على ادب الحديث وطيب القول وحسن الكلام عند مخاطبة الرسول k وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾[٢٣٥].

ولعظيم شأن الوالدين ورفع مكانتهما دعا النص المبارك الى التمسك بأدب القول عندهما ونهى من سوء الخطاب لهما وذلك في قوله تعالى:﴿فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا

---

[٢٣١] موسوعة اخلاق القرآن: ١٩٩/٣.

[٢٣٢] سورة العنكبوت: ٤٦.

[٢٣٣] دراسة في المشاكل الاخلاقية والنفسية: ١٩٤.

[٢٣٤] سورة آل عمران: ١٥٩.

[٢٣٥] سورة الحجرات: ٢.

تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾[٢٣٦].

فالآية الكريمة منعته من اظهار الضجر منهما بقوله (أفٍ) وهي اقل ما يصدر من الانسان من كلام للدلالة على ضجره، ثم ألزمه بالقول الكريم لهما.

وبجانب ذلك يحدد النص الكريم انحرافات اللسان الى ما لايليق من الكلام والاخلاق الفاضلة؛ بل يتعدى الى الاخلاق الذميمة من قول البهتان[٢٣٧] والغيبة[٢٣٨] والنميمة[٢٣٩] واللغو[٢٤٠] وفحش الكلام[٢٤١].

واذا استقرءنا آيات الاحكام نجد ان في كل منهما مغزى اخلاقي وتتجلى ابعاد القيم الاخلاقية بشكل اوضح في الآيات الامرة والناهية .

فكأن ما تخرج اليه من قيم اخلاقية امر الهي وما تنهى عنه نهي الهي، ليس في حدود النص وانما في حدود ما يخرج اليه النص بالدلالات التي تكفَّل المبحث باظهارها.

وبقيت قضية مهمة لابد من الاشارة اليها وهي اقرار الاسلام ما عند عرب الجاهلية من كريم الصفات وجميل الخِلال مثل الوفاء بالعهد، والصدق، ورد الامانة، والشجاعة، والكرم، والايثار، بعد ان شذّب بعضها فالشجاعة محمودة اذا كانت في سبيل الحق واعلاء كلمة الله تعالى، لافي سبيل طلب العلو على رقاب الناس ونشر الفساد، والكرم محمود ما دام في محله لا لطلب الرياء، واقر الاسلام اكرام الضيف وايثار الغير، وهي من ثم ابقت من عادات عرب الجاهلية ما كان صالحا منها ومتفقا مع قوانين السماء وألغت وشذَّبت ما كان فاسدا منها ولايتفق مع مباديء شريعة الله

---

[٢٣٦] سورة الاسراء: ٢٣.

[٢٣٧] ينظر: سورة النساء: ١١٢.

[٢٣٨] ينظر: سورة الحجرات: ١٢.

[٢٣٩] ينظر: سورة القلم: ١١- ١٣.

[٢٤٠] ينظر: المؤمنون: ٣١.

[٢٤١] ينظر: النساء: ١٤٨.

فاعطت للصالح حقه من الابقاء كما اعطت لطالح حقه من الالغاء[٢٤٢].

ونحو ذلك قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٢٤٣].

تدل الاية الكريمة على فضيلة الايثار، ورجحانه وان المؤمن يؤثر غيره على نفسه وهو في امس الحاجة.

وقوله تعالى :﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾[٢٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ

(٢٤٢) المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية: ٢٣- ٢٤ .

(٢٤٣) سورة الحشر: ٩.

(٢٤٤) سورة النحل: ٩١.

الفصل الثاني

الأداء البياني

المبحث الأول: الاستعمال المجازي.

المبحث الثاني: فن التشبيه.

المبحث الثالث: التصوير الاستعاري.

المبحث الرابع: التعبير الكنائي.

المبحث الأول

الاستعمال المجازي

إن الحد الاصطلاحي للمجاز[٢٤٥] متفرع من الأصل اللغوي[٢٤٦]، وذلك من خلال العلاقة القائمة بين وضعه اللغوي ومعناه الاصطلاحي في اشتقاق المجاز. والمجاز يوضع دائما في مقابل الحقيقة، وهذه الحقيقة هي اللفظ المستعمل فيما وضع له[٢٤٧] وقد تكون لغوية أو شرعية أو عرفية[٢٤٨].

وفي مقابل الدلالة الحقيقية للكلمة، هناك دلالة مجازية، ليست الأصل في الاستعمال وإنما هي الاستثناء.

ولما كان الكلام ((مبني على الفائدة في حقيقته ومجازه))[٢٤٩] فمتى تجرد عن هذه الفائدة، فلا يعدل من المجاز إلى الحقيقة، الا إذا كان فيه زيادة في الفائدة أو إضافة معنى جديد أو دلالة مستحدثة، تؤدي إلى استيعاب للمعنى الحقيقي[٢٥٠]. بيد أن هذه المقابلة بين الحقيقة والمجاز، أفرزت جدلا حول ارتباط المجاز بالكذب، الذي يقابل الحقيقة[٢٥١]، فكانت القرينة المانعة من إرادة المعنى الوضعي للكلمة،

---

[٢٤٥] ((المجاز مفصل من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه، وإذا أعدل اللفظ عما يوحيه أصل اللغة، وصف بانه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضوعه الأصلي أو جاز هو مكان الذي وضع فيه أولا)). أسرار البلاغة: ٣٦٥/١.

وذهب ابن الأثير إلى أن المجاز: ((ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة)). المثل السائر: ٥٨/١.

[٢٤٦] ينظر: لسان العرب: مادة (جوز). تعرض الخليل لمادة (جوز) حيث قال:

((جزتُ الطريق جوازا أو مجازا أو جوازا. والمجاز المصدر والموضوع جاوزته جوازا في المعنى جُزتــه)).

ينظر: كتاب العين: ١٦٥/٦١.

[٢٤٧] مناهج الوصول إلى علم الأصول: ٢٨.

[٢٤٨] الوجيز في أصول الفقه: ٢٧٠.

[٢٤٩] الموازنة بين الطائيين: ١٧٩.

[٢٥٠] ينظر: المثل السائر: ٦٣/١.

[٢٥١] الصورة والبناء الشعري: ١٣١.

أشبه بالاستدراك عليه لدفع ما يداخل الكلام المجازي منه، وقد فرقوا بين الكذب والمجاز بالتأويل، وهو إرادة خلاف الظاهر، وتنصب القرينة على أن الظاهر الذي هو المعنى الحقيقي غير مراد، فالتجوز مؤول لكلامه وناصب لقرينة تدل على أن الظاهر غير مراد، بخلاف الكاذب فانه يدعي الظاهر ويريده[٢٥٢].

ومما تقدم يتضح، أن ماهية المجاز تـُلحظ من خلال العلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى. ولما كان المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة بينهما وقرينة تمنع ارادة المعنى الحقيقي[٢٥٣]، ((فعلاقة اللفظ بالمعنى المجازي، علاقة ثانوية ناتجة عن علاقته اللغوية الأولية بالمعنى الموضوع له، لأنها تنبع عن الشبه القائم بين المعنى الموضوع له والمعنى المجازي))[٢٥٤].

أي أن وضع اللفظ لمعنى يصبح سببا لتصور المعنى، وتأتي عندئذ الاستفادة من هذه العلاقة اللغوية التي قامت بينهما.

وانتقال الذهن إلى المعنى عن طريق اللفظ بحكم علاقة سببية بينهما[٢٥٥]، ويقصد بالعلاقة الترابط الذهني الذي يقع في نفس السامع بين المعنى الحقيقي للفظة وبين المعنى المستعمل فيه.

ولعل، ذلك دفع إلى النظر من خلال دائرة الاستعمال[٢٥٦]، التي اعتمدها الأصوليون في النظر إلى المجاز، أي استعمال اللفظ داخل السياق أو التركيب الجملي، فهم يرون أن لعلاقة المفردات وصلاتها مع غيرها، منطقها الخاص الذي ينشئ دلالة تتعين من خلال ذلك الاستعمال في تلك العلاقات، وان الدلالة هي الأساس لديهم، وهو بتعبيرهم حديث لا يعدو عن المقاصد.

---

(٢٥٢) فلسفة المجاز: ١٦١ــ١٦٢.

(٢٥٣) الوجيز في أصول الفقه: ٢٦٩؛ أصول الفقه، ١٩.

(٢٥٤) دروس في علم الأصول: ٩٥.

(٢٥٥) م.ن: ٩٣.

(٢٥٦) ينظر: م.ن: ٩٥.

فهم لا ينظرون إليه بوصفه ظاهرة من ظواهر الرقي الفني أو عماد من أعمدة التعبير الذي يريد به مُنشئه، التأثير فنيا على المتلقي.بل هو من متعلقــات الخيــال، ولكن الخيال هنا، هو سبيل جلاء الحقيقة والبرهنة عليها على نحو ما، ولذلك بُحــث باسم الابتكار في الأسلوب[٢٥٧]، عند أرسطو.

ومن ذلك كله، فلم يكن بدّ من أن يكون للمجاز قيمته وفائدته، التي يُذهب إليها ويطلب بسببها.

ومن أهم أسرار الاســتعمال المجــازي، هــو ذلــك التكثيــف أو التركيــز والإطناب[٢٥٨]، فلا يُعد نوعا من الاقتصاد اللفظي، بل هــو الــسبيل إلــى حريــة التصوير، واتساع الدلالة، وهو من أحسن الوسائل البيانية التي تستخدم في إيــضاح المعاني، وإدراك أبعادها، للنفاذ إلى ما وراء المعاني الظاهرة، التي تعجز الحقيقــة عن النفاذ إليها. للتعبير عن مجالات أوسع ومديات أرحب في ابراز الصورة الفنية.

ومن جانب آخر، أدرك النقد المعاصر قيمة المجاز من خلال حالــة التــوازن والاعتدال النفسي التي تصاحب النتاج الادبي، التي تستعمل لغة مجازية[٢٥٩]، وذلك عبّر ((تجاوز حدود الصورة المحسوسة إلى حــدود المعــاني المجــردة))[٢٦٠]. أو الإيحاءات النفسية. ولهذا عُدّ المجاز وسيلة فنية دقيقة تناسب اتساع المعــاني التــي يحصل بها للنفس أريحية ومتعة، هي متعة الاكتشاف[٢٦١]، من خلال ازالة الرتابــة عن الأشياء، فضلا عن لطف التعبير وتوكيده فهو ابلغ من الحقيقة، وأوقع من اللفظ الظاهر[٢٦٢].

وذلك كله مرهون بجدة المجاز وخصوصيته، التي تطور دلالة اللفظ وتحملــه

---

[٢٥٧] **ينظر: النقد الأدبي الحديث: ٢٣٥.**

[٢٥٨] **الصورة والبناء الشعري: ١٢٧.**

[٢٥٩] **م.ن: ١٣٣.**

[٢٦٠] **اللغة الشاعرة: ٤٠.**

[٢٦١] **ينظر: كتاب الفوائد: ١١.**

[٢٦٢] **العمدة: ١/٢٦٦؛ دلائل الإعجاز: ٣٢٧؛ إعجاز القرآن،الباقلاني: ٢٨٥.**

من المعاني المستحدثة ما لا يستوعبه اللفظ نفسه في أصل وضعه.

وبعد هذا، لا بدّ من الوقوف عند قضية مهمة، وهي انكـــار بعــض العلمـــاء للمجاز في القرآن الكريم. فقد رفض الظاهرية وقوع المجاز في القـــرآن، وجـــانبهم بعض الشافعية، وقسم من المالكية، ومن المعتزلة، أبو مسلم الاصبهاني(٢٦٣)، وحجة هذا الفريق ((إن المجاز أخو الكذب، والقرآن منزه عنه، فان المتكلم لا يعدل إليه الا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير، وذلك محال على الله))(٢٦٤)،في حين ذهب الجمهور، والشيعة الأمامية، وأغلب المعتزلة ومن وافقهم من المتكلمين إلى ثبوت وقوعه فـــي القرآن(٢٦٥).

وعلق الزركشي(ت٧٩٤هـ) على منع استعمال المجاز في القـــرآن، بقولـــه: ((وهذا باطل. ولو وجب خلو القرآن من المجاز لوجب خلوه مـــن التوكيـــد وتثنيـــة القصص وغيره،ولو سقط المجاز من القرآن، سقط شطر الحسن))(٢٦٦).

والحق أن الاستعمال المجازي وقع، في النص القرآني، وهذا ما تعقبته الدراسة ولمسته في هذا المبحث، إن شاء الله.

---

(٢٦٣) البرهان، الزركشي: ٢/٢٥٥.

(٢٦٤) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (ت٩١١هـ): ٣/١٠٩؛ ينظر: المزهر في علوم اللغـــة، الـــسيوطي: ١/٣٦٥.

(٢٦٥) ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة: ٢٠؛ الحيوان: ١/٢١٢؛ الخصائص: ٢/٤٤٧ـ٤٥٧؛ تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي: ٣٥؛ أمالي المرتضى: ٤٥.

وقد رد المعتزلة على أهل الظاهر، بالتفرقة بين أمرين، وهو المتكلم نفسه والآخر، الكلام. ينظر: المغني فـــي أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار آيادي: ١٨٠.

(٢٦٦) البرهان، الزركشي: ٢/٢٥٥.

الاستعمال المجازي في آيات الأحكام:

استند النص القرآني في أبعاده الفنية والدلالية إلى الأساليب البيانية، ولاسيما المجاز، ذلك أن المجاز في قيمته الفنية والدلالية لا يختلف عن الحقيقة، في إثبات المعنى وتحقيق المقصد، ولذلك لا يعدل إلى المجاز الا إذا حقق فائدة، يعجز الاستعمال الحقيقي عن تحقيقها.

والمترصد للاستعمال المجازي في النص القرآني يلحظ فيه بعدين:

الأول: البعد الفني، فقد شكل رؤية متميزة في هيكل النص وصورته، ومثّلَ ظاهرة ملموسة في تركيبه، فضلا عن تطويره الدلالة التي أسهمت في تطور اللغة وتجديد معانيها.

وهذا التركيز حقق مهمة إيضاحية، تتمثل في تربص المعاني والكشف عن دلالات ورؤى بعيدة ومقاصد جديدة، والانتقال بالذهن من حالة إلى أخرى، من شانه أن يخلق صورا رائعة، ومشاهد مبتكرة.

أما البعد الآخر، هو الكشف عن كوامن النفس البشرية، من خلال الإشارة إلى الانفعالات الداخلية وكشف تلك الانفعالات، وانما يراد به، تهذيب النفس الإنسانية وخلق انموذج متكامل، ذلك أن الاستعمال المجازي، اداة نابضة تحرك العواطف وتثير الأحاسيس وتطلق الرؤى، بعد أن تصل إلى أعماق النفس الإنسانية.

أنواع المجاز:

انتهى البلاغيون، إلى أن المجاز على نوعين، مجاز يدرك من خلال المفردة أو من ذات اللفظة، وميدانه الاستعارة في نقل اللفظ، وهو المجاز اللغوي[٢٦٧]، أو المجاز المرسل، وهو ((استعمال اللفظ في غير معناه الأصلي، لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي))[٢٦٨]. وقد سمي مرسلا، لإرساله عن

---

[٢٦٧] **ينظر: أسرار لبلاغة: ٣٧٦.**

[٢٦٨] **أساليب البيان في القرآن الكريم: ٣٩١.**

التقييد بعلاقة واحدة[٢٦٩].

أما النوع الآخر، فيدرك عن طريق المعنى والمعقول، وهو المجاز العقلـــي أو الحكمي، على حدّ تعبير الجرجاني، وقد يسمى الاسنادي، لأن الجملة توصف به في التأليف والإسناد[٢٧٠].

ولا بدّ من النظر إلى الجملة من زاويتين، لإثبات المجاز العقلي فيهـــا وهـــي، النظر إلى ما وقع بها من اسناد في أصل موضعه، أما الآخر فالنظر إلـــى المعنـــى المسند[٢٧١].

وعلى غرار هذا التقسيم قسم السكاكي المجاز إلى عقلي ولغوي[٢٧٢].

أما المجاز في آيات الأحكام، فقد جاء بنوعيه حضورا ووفرة، ويمكن أجمالـــه فيما يأتي:

أولا: المجاز اللغوي (المجاز المرسل).

توافرت نماذجه في آيات الأحكام، كما استقرأناه، وكما نعرض له. فـــي قولـــه تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾[٢٧٣].

تدل الآية الكريمة على تشريع فريضة الخمس في الغنائم وتقسيمه إلـــى ســـتة أسهم، وهذا المقدار في الحكم واضح ولم يقع فيه خلاف، وإنما الخلاف وقـــع فـــي

---

[٢٦٩] م.ن: ٣٩١.

[٢٧٠] ينظر: اسرار البلاغة: ٣٧٦.

[٢٧١] م.ن: ٣٤٢.

[٢٧٢] ينظر: مفتاح العلوم: ١٩٤.

[٢٧٣] الانفال: ٤١.

المقصود من الغنائم[274].

والظاهر انه لم يقع خلاف بين العلماء في أن الغنيمة، لغة تعني مطلق الفائدة، فقال صاحب العين: ((الغنم الفوز بالشيء في غير مشقة))[275]. وفي لسان العـــرب ((الغنم الفوز بالشيء بلا مشقة))[276]. وقد ذهب المفسرون إلى أن ((الغنيمة ما اخذ من أموال أهل الحرب من الكفار بقتال، وهي هبة من الله تعالى للمسلمين، والفـــيء ما أخذ بغير قتال. وقال قوم: الفيء والغنيمة واحد))[277]. وقد ذهب آخرون إلى أن ((الغنم والغنيمة إصابة الفائدة من جهة تجارة أو حرب وينطبق بحسب مورد نـــزول الآية على غنيمة الحرب))[278]، أما الراغب الأصفهاني، فيجد أن الغنيمة ((إصـــابته والظفر به، ثم استعمل في كل مظفور به من جهة العدى وغيرهم))[279]، وحـــصر في الستة في الكنز والمعادن والغوص[280].

وعلى هذا ظهر رأيان في مدلول (غنمتم):

الأول: المراد من الغنائم، وهي خصوص غنائم الحرب، أي ((ما أخذ من دار الحرب بقتال))[281]. وحجة هذا الفريق، هو دلالة لفظ (غنمتم) أي حمل اللفظ على المدلول المجازي. من مطلق الفائدة، إلى الفائدة المستخلصة بالقتال. بقرينـــة ســـياق الآية، التي جاءت في سياق الجهاد.

والثاني: إن الغنيمة ليست مختصة بالمأخوذ من دار الحرب، بل هي أعم مـــن ذلك، فـــ((الغنائم كل ما استفيد بالحرب من الأموال وما استفيد من المعادن والغوص

---

[274] تفسير آيات الأحكام، الايرواني: ١/١٨٥؛ ينظر: دراسات عن سور القرآن: ١/٣٠٥ــ٣٠٨.

[275] كتاب العين: ٤/٤٢٦.

[276] لسان العرب: ١٠/١٣٣؛ القاموس المحيط: ٤/٢٢٢.

[277] تفسير التبيان: ٥/١٢٢؛ مجمع البيان: ٢/٥٤٣. ينظر: تهذيب الأحكام: ٤/١٣٣ــ٣٣٤؛ وأحكام القرآن، ابن العربي: ٢/٣٧٧.

[278] الميزان: ٥/٨٩.

[279] معجم مفردات ألفاظ القرآن: ٢١٥.

[280] الجوهر الثمين: ٣/٢٦؛ ينظر: فقه القرآن، الراوندي: ١/٤٠٩.

[281] تفسير آيات الأحكام، السايس: ٢/٦ــ٧

والكنوز والعنبر، وكلما فضل من أرباح التجارات والزراعات والصناعات من المؤنة والكفاية طول السنة على الاقتصاد))[٢٨٢].

والحجة في ذلك، أن عرف اللغة يطلق اسم الغنم والغنيمة على جميع ذلك.

ومن خلال ذلك، تتضح أن لفظة (غنمتم)، تأرجحت بين المجاز والحقيقة، وهذا الاختلاف ادى إلى اختلاف الحكم الشرعي، وأجد، أن الرأي الأول، اعتمد على سياق الآية قرينة، في تحديد دلالة اللفظة، و(أن السياق لا يصح لتخصيص المضمون بل يبقى على عمومه)[٢٨٣]. وان سياق الآية جاء استطرادا لما قبلها، ولا يعني تخصيصا لها، وهذا واضح في السياقات القرآنية.

أما الرأي الثاني، فاعتمد على الدلالة الحقيقية للفظة، وان الأصل في الاستعمال حمل اللفظ على حقيقته. ومن جهة أخرى إذا سلمنا باختصاص كلمة (غنمتم) بغنيمة الحرب، فلا تكون الا بحملها على الخصوص وايراد العموم، أي من باب اطلاق اسم الخاص على العام مجازا، بقرينة (من شيء) التي تردُّ المعنى إلى عمومه. و(((من شيء) بيانية، قيل من شيء حتى الخيط والمخيط))[٢٨٤]. ويترتب على ذلك

---

(٢٨٢) قلائد الدرر: ١٦٢/٢. ينظر: تذكرة الفقهاء: ٤١٠/٥ـ٤٢٠.

(٢٨٣) ينظر: تفسير آيات الأحكام، الايرواني: ١٨٦/١.

(أن الاداء الدلالي للسياق جاء على نظريتين، الأول: لا تراه قرينة فنية تحدد دلالة المفردة، أما الثاني: تراه اداة وقرينة فنية، فمقاصد المتكلم، وأرضية المتلقي تظهر في اختيار المتكلم لألفاظه ومنهم المتلقي لها). قضايا لغوية قرآنية: ١٩١.

وقد ذهب الباحث إلى مجانبة الرأي الثاني، وأجد أن السياق على أهميته، الا انه لا يكون حجة ودليل، في الكشف عن المعاني الاستعمالية. واجد أن مهمته هي اضاءة النص وتحديد مناخه. والدليل في ذلك أن كثير من الآيات لم يخصصها السياق، مثل آية التطهير، أو قوله تعالى: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾، الطلاق: ٧، وهي جاءت في سياق الارضاع. فضلا عن بعض المرويات في تعميم المذكور؛ ينظر: وسائل الشيعة: ٣٤٩/٦ الباب: ٨ ما يجب فيه الخمس الحديث: ٥.

(٢٨٤) الكشاف: ٤٠٩/٢؛ ينظر: كنز العرفان: ٣٦٧/١.وقد يرد سؤال أن العموم، قد يعني عموم ما يحصل عليه الإنسان من غنيمة الحرب بدلالة لفظ (من شيء) التي قد تعني الخيط والمخيط.وأجد أن العموم = = ما يقع في دار الحرب بقتال، لا يحتاج إلى تخصيص، إذ يتبادر للذهن أن كل ما يقع في أيدي المقاتلين هي غنيمة، وإنما الاختصاص في (من شيء) جاء لعموم (غنمتم).

ثبوت الخمس في مطلق الفوائد.

فقد استند من لا يقول بوجوب الخمس في غير غنائم الحرب إلى الكلمة نفسها، فكل من الفريقين انطلق إلى بيان ما يريد من كلمة (غنمتم)، وبذلك استطاعت هذه الكلمة (غنمتم) أن تثبت الحكم الشرعي، وتحقق انسجاما بين سياقات الآية دون الخروج عن نسيج سياق آية الجهاد.

وفي ضوء الفهم المجازي نجد ذلك في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٢٨٥].

هذه الآية جزء من آيات الصيام، التي تدل على تشريع الصوم في حق المؤمنين وانه ثابت عليهم، مبينة حكم صيام المسافر والمريض. وتظهر كلمة (شهد) على الصعيد المجازي، بالنسبة (للشهر) فالشهر لا يثبت له هذا الفعل، فهو لا يشاهد وإنما يشاهد الهلال الذي يظهر في أوله، والهلال سبب في وجود الشهر فاطلاق الشهر عليه مجازا علاقته سببية[٢٨٦].

ومن جانب آخر، ذهب بعض المفسرين إلى انها أي هذه الآية ناسخة لآية الانفال، والانفال هي الزيادة في أموال أهل الحرب من غير قتال، وهي للرسول Z دون أن يشاركه فيها أحد. ينظر: دراسات عن سور القرآن: ٣٠٦/١.

واعتقد أن هذا الايهام، ما هو الا أن (غنمتم) تجاوزت حدود غنائم الحرب. فضلا عن أن الشافعي أوجب الخمس في معدن الذهب والفضة دون باقي المعادن. كنز العرفان: ٣٦٦/١. أما أبو حنيفة، أوجبها في المنطبع خاصة: بدائع الصنائع: ٦٧/٢.

[٢٨٥] البقرة: ١٨٥.

[٢٨٦] أساليب البيان في القرآن:٣٩٢.

واختلف الفقهاء والمفسرون في كلمة (شهد): فقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، قيل معناه، من شاهد منكم الشهر مقيما، حاضرا غير مسافر ولا مريض أي الشهود الحضور مقابل الغيبة، والسفر[٢٨٧]. أي (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ المصر في الشَّهْرَ)[٢٨٨] أو (حضر موقع الاقامة من المصر في الشهر)[٢٨٩].

واستدلوا بذلك، على أن الشهر ينتصب على انه ظرف لا على انه مفعول به، لأنه لو كان مفعولا به للزم الصيام للمسافر، كما يلزم المقيم من حيث أن المسافر يشهد شهادة المقيم، فلما لم يلزم المسافر علمنا أن معناه فمن شهد منكم المصر في الشهر ولا يكون مفعولا به[٢٩٠].

أما صاحب الميزان فيرى أن الشهادة هي الحضور مع تحمل العلم من جهته، وشهادة الشهر انما هو ببلوغه والعلم به، أما كون المراد بشهود الشهر رؤية الهلال وكون الإنسان بالحضر مقابل السفر، فلا دليل عليه[٢٩١].

وقد ذهب السيد السبزواري إلى أن الشهود بمعنى الحضور، سواء كان بالبصر أو البصيرة، أو الواقع، فالكل شهود، وهو من الصفات ذات الاضافة، فكما أن الشاهد يشهد المشهود، فهو أيضا حاضر لدى الشاهد[٢٩٢].

وتدل هذه الجملة المركبة من (الشرط والجزاء)، على أن المناط هو ثبوت الشهر وحضوره حقيقة، وذلك برؤية الهلال، أو تقديرا في ماذا لم يمكن ذلك. ولو

---

(٢٨٧) التبيان: ٢/١٢٠؛ الجوهر الثمين: ١/١٨٧.

(٢٨٨) مجمع البيان: ١/٢٧٤.

(٢٨٩) مقتنيات الدرر: ٢/٢١.

(٢٩٠) مجمع البيان: ١/٢٧٤.

(٢٩١) الميزان: ٢/١٢.

(٢٩٢) مواهب الرحمن: ٢/١٦٠.

اريد من لفظ (شهد) الشهادة بمعنى الرؤية يستفاد الحضور بالملازمة أيضا(٢٩٣).

وكان الايرواني قريبا من هذا الرأي، ((انما المقصود من شهود الشهر حضور الشهر وادراكه ويتوقف تحققه على أمرين: **الأول**، بقاء الشخص حيا إلـــى الـــشهر (رمضان)، **والثاني**: رؤية الهـــلال، ليـــصدق بـــذلك تحقـــق الـــشهر والحـــضور عنده))(٢٩٤).

والثمرة من هذه الآراء تظهر. أن الشهود لم ينسب إلى البلد، بل إلى الـــشهر، ولما كان الشهر لا يشاهد (زمان)، وإنما الهلال الذي هو إمارة الشهر، ولما أثبـــت فقهيا أن شهود الشهر لا يعني رؤية الهلال بل هو الحضور. يتضح أمـــران: الأول، أن من غير الممكن إدراك الشهر، من غير دليل أو مصداق. ولما كان الهلال أقوى ادلة الشهر، عبر النص بـــ(شهد). ولما كانت رؤية الهـــلال قـــد تتعـــذر أو تثبـــت بالشهود أو بإكمال العدة عبر عنه بـــ(الشهر)، لأن الشهر أعم مـــن رؤيـــة الهـــلال وبذلك تتضح أهمية الاستعمال المجازي وفائدته.

الثاني: وأما كون الشخص مقيما غير مسافر، التي ذهب إليها الفقهاء، تـــدرك من خلال السياق (أو على سفر) التي دلت بوضوح على المقابلـــة بـــين الحـــضور والغيبة.

ويظهر مما تقدم في الاستعمال المجازي، صفة التشخيص للشهر، من خـــلال المشاهدة، وهي مرونة التعبير القرآني الذي أضـــفى عنـــصر التـــشخيص، لابـــداء الاهتمام بذلك الشهر. ومن خلال تلوين الخطاب في بسط الحكم الشرعي، فالغاية من الحكم هنا غاية شرعية ألبسها التعبير القرآني هذا الرداء الفني من التعبير.

وأما في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ

(٢٩٣) **مواهب الرحمن: ٢/١٦٤.**

(٢٩٤) **تفسير آيات الأحكام، الايرواني: ١/١٩٨.**

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢٩٥].

تشتمل هذه الآية على حكم حد السرقة. وهذا الحكم عام في كل سارق بغض النظر عن كمية ما سرقه ولكنه خصص، إذ لم يعرف فيه خلاف هو (قطع الأصابع الأربعة وترك الراحة والابهام)[٢٩٦]، وذهب المفسرون إلى ذلك أيضا[٢٩٧].

ولفظة (أيديهم). هنا مجاز مرسل علاقته كلية. أي ذكر الكل ويراد البعض، واليد هي (ما دون المنكب، والمراد بها في الآية اليمين، بتفسير السنة، ويصدق قطع اليد بفصل بعض اجزائها أو جميعها عن البدن بآلة قاطعة)[٢٩٨].

وقد اتفق غيرهم على قطع تمام الكف. واختلفوا في قطع ما زاد فقيل بالقطع من المنكب وقيل من المرفق[٢٩٩].

إن ذكر (اليد) هو اشد إيلاما وتخويفا لمن يريد السرقة بما تدل عليه هذه اللفظة من إهانة لمن يلتبس بجرم السرقة، فكأنه لا يستحق اللطف في التعبير، فاستحق ذكر اليد لهذه العلة.

فضلا عن أن اليد هي الجزء الذي حقق للنفس رغبتها بالسرقة، فوقع عليه القطع (الحد). وقد تكرم اليد في مواطن النفقه. ومن هنا يتضح أن ذكر الحكم الشرعي بهذه الصورة هو أكثر ايلاما لمن يقام عليه، وهو اشد تخويفا لمن يريد أن يسرق في المستقبل.

وفي ضوء اللفظة نفسها (اليد)، تظهر علاقة مجازية أخرى. نحو قوله تعالى:

---

[٢٩٥] المائدة: ٣٨.

[٢٩٦] جواهر الكلام: ٥٢٨/٤١؛ وسائل الشيعة: ٤٩٣/١٨.

[٢٩٧] تفسير التبيان: ٥١٤/٣؛ تفسير البرهان: ١٧٢/٢.

[٢٩٨] الميزان: ٣٥٧/٥.

[٢٩٩] أحكام القرآن، الجصاص: ٢٥٦/٦، تفسير القرطبي: ١٧١/٦.

﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٣٠٠].

هذه الآية ضمن آيات الجهاد، والمعنى (أمر الله تعالى جميع المكلفين المتمكنين من الانفاق في سبيل الله)[٣٠١]. وعدمه يؤدي إلى الهلاك والضياع، حيث يوجب ذهاب القدرة وهلاك الانفس، وظهور العدو، فلا بدّ للمؤمنين من الاستعداد للجهاد والا فقد القوا أنفسهم في التهلكة، وضيعوا الدين، ولا تختص التهلكة الدنيوية بل تشمل الأخروية[٣٠٢].

إن مادة (لقى)[٣٠٣] تأتي بمعنى مطلق الدرك، ولهذه المادة استعمالات كثيرة في القرآن الكريم، وتستعمل في المتعارف في كل طرح[٣٠٤].

أما كلمة (يد) تستعمل في الجارحة الخاصة، وقد استعملت مجازا مرسلا علاقته جزئية، أي لا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة. معبرا بالأيدي وهي الجزء. واراد الأنفس وهي الكل[٣٠٥]. أي (لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة معناه لا تطرحوا أنفسكم في الهلاك بان تفعلوا ما يؤدي اليه، وحقيقة الإلقاء القاء الشيء إلى جهة السفل وانما يقال، ألقى عليه مسألة مجازا)[٣٠٦]. والمراد من الايدي الأنفس، فان اليد لازم للنفس واكثر الأعمال يظهر بمباشرة اليد فكأنها هي العمدة[٣٠٧].

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن ((ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)) كناية عن النهي، وابطال القوة والاستطاعة والقدرة، فان اليد مظهر ذلك، أو يكنى بها عن ذات

---

[٣٠٠] البقرة: ١٩٥.

[٣٠١] التبيان: ١٥١/٢.

[٣٠٢] مواهب الرحمن: ١٤٥/٣.

[٣٠٣] لسان العرب،مادة(لقى).

[٣٠٤] مواهب الرحمن: ١٥٣/٣.

[٣٠٥] اساليب البيان في القرآن: ٣٩٩.

[٣٠٦] التبيان: ١٥١/٢؛ مجمع البيان: ٢٨٨/١؛ الجوهر الثمين: ٣٤/١.

[٣٠٧] مقتنيات الدرر: ٣٤/٢.

النفس[٣٠٨].والأرجح هي مجاز مرسل علاقته جزئية.

وتظهر بلاغة العلاقة الجزئية والكلية في التناوب بين الكليات والأجزاء وفـــي الوحدة العميقة بينهما ،فالكل مسؤول عن أجزائه وكل جزء مسؤول عن كلـــه مـــن خلال الآيتين المتقدمتين[٣٠٩].

وفي مضمار العلاقة الجزئية، نلحظ جملة من الآيـــات الكريمـــة،التي وظفـــت الاستعمال المجازي في اثبات الحكم الشرعي،كما في قوله تعـــالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣١٠].

استفاد العلماء من هذه الآية في جزئية الركوع والسجود للـــصلاة ووجوبهمـــا فيها.فقد استعمل الركوع والسجود. مجازا مرسلا بمعنى الصلاة، نفسها فالمقـــصود من الامر بالركوع والسجود، أمر بالصلاة لأن الركوع والسجود هما ركنان مهمـــان فيها (بيد أن هذا لا يؤثر على فهم جزئية الركوع والـــسجود للـــصلاة ووجوبهمـــا فيها)[٣١١].

وهذا ما ذهب اليه المفسرون. بمعنى اركعوا واسجدوا، أي صـــلوا علـــى مـــا أمرتكم من الركوع والسجود فيها، والصلاة هي مختصة بهـــذين الـــركنين، فكـــان ذكرهما جاريا مجرى الصلاة[٣١٢].

فضلا عن ذلك، هناك تلاوات وحركات عبادية تؤدي بوصـــفها جـــزءا مـــن الصلاة. منها القيام والتسبيح والذكر، فهذه الكلمات استعملت مجازا، بمعنى الـــصلاة نفسها.

---

[٣٠٨] **الميزان: ٦٤/٢؛ مواهب الرحمن: ١٤٥/٣.**

[٣٠٩] **ظ: أساليب البيان في القرآن:٤٠٢**

[٣١٠] **الحج: ٧٧.**

[٣١١] **تفسير آيات الأحكام، الايرواني: ١٣٤/١.**

[٣١٢] **التبيان: ٣٤٣/٧؛ الميزان: ٤٥١/١٤؛ مقتنيات الدرر: ٢٦٠/٧.**

كقوله تعالى ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٣١٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾[٣١٤].

وقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[٣١٥].

وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[٣١٦].

وفي قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[٣١٧].

استدل الفقهاء والمفسرون بذيل هذه الآية على وجوب القيام في الصلاة، حالة القنوت، وهي مجاز علاقته جزئية فذكر جزءا من الصلاة، ويراد الصلاة نفسها، وخص هذا الجزء بالذكر تعظيما لها، وتأكيدا لفضلها فمادة (قوم) فيه ((القَوْمة: ما بين الركعتين من القيام أصل الغداة قومتين والمغرب ثلاثة قومات وكذلك قال في الصلاة))[٣١٨].وتدل على الثبوت والعزم والاستقامة والرعاية والحفظ، والمراد به هنا ما يكون عن استقامة وتثبيت[٣١٩].

وأما مادة (قنت)، فقد وردت في القرآن بهيئات كثيرة، ومختلفة وأصلها (ينبئ عن الخضوع والخشوع مظهرا للعبودية، فهو الدعاء في الصلاة حال القيام)[٣٢٠]. وقد ذهبوا إلى انه الخضوع في الطاعة والسكوت والعبادة، وطول القيام، (كل ذلك من المصاديق لا أن تكون معاني مستقلة في حد نفسها)[٣٢١].

---

[٣١٣] المزمل: ٢.

[٣١٤] الإنسان: ٢٦.

[٣١٥] الاحزاب: ٤٢.

[٣١٦] الإنسان: ٢٥.

[٣١٧] البقرة: ٢٣٨.

[٣١٨] ينظر: لسان العرب: ٤٩٦/١٢.

[٣١٩] مواهب الرحمن: ٩٧/٢.

[٣٢٠] م.ن: ٩٧/٢.

[٣٢١] م.ن: ٩٧/٢.

أما في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[٣٢٢].

تدل الآية بوضوح على شرطية الوقت للصلاة، وعلى هذا فقد تعرضت الآية الكريمة إلى اوقات الصلاة الخمس، فأربع أشارت إليها بفقرة ﴿ **لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ**﴾، وواحدة هي الصلاة الفجر، أشارت إليها بفقرة ﴿**قُرْآنَ الْفَجْرِ**﴾.

وفي الآية الكريمة مجاز مرسل، وهو ﴿**قُرْآنَ الْفَجْرِ**﴾، للتعبير عن ركعتي الصبح التي لا تتم الا إذا كان وقتها هو طلوع الفجر، وجاءت ﴿**قُرْآنَ الْفَجْرِ**﴾ معطوف على الصلاة، دلالة على صلاة الصبح، لاشتمالها على قراءة القرآن من باب تسمية الشيء باسم جزئه[٣٢٣].

وقد أضيفت القراءة إلى الفجر، لتدل بذلك ((على أن الصلاة، لا تتم الا بالقراءة لأنه أمر بالقراءة واراد بها الصلاة لأنها لا تتم الا بها))[٣٢٤].

ومن هنا تظهر جمالية الاستعمال المجازي في اثبات وجوب القراءة، ومن جهة أخرى تحديد زمن الصلاة.

ومن خلال الاستعمال المجازي لهذه الآيات، تتضح عدة اعتبارات، منها تسليط الضوء على اجزاء الصلاة وشرائطها وأركانها، توقيتا لحقوقها ووجوبها، فضلا عن، إفهام المؤمنين وأشعارهم أن هذه الصلاة ليس معناها الدعاء وكذلك عبّر عن

---

(٣٢٢) الإسراء: ٧٨.

(٣٢٣) مجمع البيان: ٢٢٤/٦؛ الميزان:١٧١/١٣ـ١٨٦؛ تفسير البرهان: ٤٣٥/٣.

(٣٢٤) التبيان: ٥٠٨/٦؛ مقتنيات الدرر: ٢٥٨/٦.

ومن الملاحظ أن بقية الصلاة فيها قراءة أيضا، ولكن النص خص صلاة الصبح بالقراءة، مع تكرار العبارة ورفدها بعبارة (مشهود) والتي تخصها ايضا. ويبدو أن مرد ذلك هو ما جاء في موثق اسحاق بن عمار عن ابي عبد الله Δ، أن صلاة الصبح واقعة بين نهاية الليل وبداية النهار والتي تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار. ينظر: وسائل الشيعة:١٥٤/٣، الباب ٢٨ من ابواب المواقيت، الحديث١. ومن جانب آخر، لا نعدم أن من اسباب ذلك الاهتمام والتوكيد عليها هو لمشقة النهوض لصلاة الفجر.

هذه الأجزاء وذكرها، للاحتراز عن صلاة اليهود والنصارى.

وفي معرض الحديث عن المجاز المرسل، نرصد علاقات مجازية مختلفة كما في قوله تعالى: ﴿فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾[٣٢٥].

والرهن مصدر رهنت الشيء وارهنته، وربما يطلق على المال المرهون وهو الكثير، كما في الآية الشريفة، ومادة رهن، تأتي بمعنى الدوام والاحتباس منـــه[٣٢٦]. ورهان وهو في الأصل مصدر، ثم أطلق على المرهون من باب إطـــلاق المـــصدر على اسم المفعول.

وقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾[٣٢٧].

استعمل لفظ (صيد) استعمالا مجازيا والمراد بالصيد المـــصيد، وعلـــى هـــذه الشاكلة، في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾[٣٢٨].

هذه الآية تنص على قضية المكاتبة وتدل علـــى شـــرعيته، بـــل اســـتحبابها ورجحانها[٣٢٩]. واستعملت الصيغة المجازية في لفظ (الكتاب) والمراد المكاتبة.

وهي ابتغاء المكاتبة، أن يسال العبد مولاه أن يكاتبه على إيتائه المـــولى مـــالاً على أن يعتقه[٣٣٠].

---

(٣٢٥) البقرة: ٢٨٣.

(٣٢٦) مواهب الرحمن: ٤٩٣/٣.

(٣٢٧) المائدة: ٩٦.

(٣٢٨) النور: ٣٣.

(٣٢٩) تفسير آيات الأحكام، الايرواني: ٣١٩/١.

(٣٣٠) الميزان: ١٢٢/١٥.

نجد من خلال ما تقدم من الآيات الشريفة أن الدلالة المجازيـــة ســـاعدت فـــي تكثيف المعنى واختزاله في (رهان، صيد، كتاب) منبئة عن أهميـــة الحكـــم القـــائم بحقها.

ثانيا: المجاز العقلي:

وهذا النوع من المجاز لا يختلف عن السابق، وفرة وحضورا وتُرصد نماذجه في آيات الأحكام في مضمار ما نعرضه.

في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾[٣٣١].

تتعلق هذه الآية بحكم الصلاة حالة السكر، وقد نزل هذا الحكـــم قبـــل تحـــريم الخمر، وفي هذه الآية جملة من المجازات والصور الفنية.

فتبرز في هذه الآية جملة ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾، على صعيد الاستعمال المجـــازي العقلي، إذ أسندت الصلاة إلى الفعل قرب، وهو إضفاء الفعل الحسي علـــى الامـــر التعبدي، ويراد بها أداءها.

وقد وقف المفسرون، حيال هذه الآية على رأيين فالمراد من الصلاة أما نفسها أو مواضعها[٣٣٢].

إن الرأي الأول، يجد أن الصلاة ذات دلالة حقيقيـــة فـــي الأقـــوال والأفعـــال الخاصة، وحمل اللفظ على الحقيقة أولى من حمله على غيرها.بقرينة ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا

---

[٣٣١] **النساء: ٤٣.**

[٣٣٢] **تفسير آيات الأحكام، الايرواني: ٩٨/١.**

﴿تَقُولُونَ﴾، وهذا لا يتحقق الا بتأدية الصلاة نفسها[٣٣٣].

أما الرأي الآخر، فان المراد بـ(الصلاة) هنا المسجد، وهو مجاز مرسل هنا. والقرينة هي: ﴿إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ والعبور إنما يناسب المسجد لا اعمال الصلاة، وإنما عبر هنا عن المسجد بالصلاة لعلاقة حالية، فان المسجد محل الصلاة[٣٣٤].

وعلى هذا نحن أمام صورة فنية من نمط خاص ألا وهي الصورة الازدواجية[٣٣٥] أي أن (الصلاة) توحي بدلالتين: دلاله حقيقية ودلالة مجازية، قرينة الأولى: ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾، أما الثانية فهي بقرينة ﴿عَابِرِي سَبِيلٍ﴾، وكذلك لفظ ﴿لاَ تَقْرَبُوا﴾ فان (القرب) هو أقرب إلى المكان في الاسناد. وبهذا نكون أمام احد الأساليب البيانية التي تحقق الإثارة الفنية.

أما المقطع الثاني ﴿وَأَنتُمْ سُكَارَى﴾، السكر في اللغة: نقيض الصحو[٣٣٦]، وذهب المفسرون حيال هذا النص إلى رأيين: الأول، أن المراد من السكر، هو سكر الشراب، وبناء على هذا الرأي يكون الكلام حقيقيا.

---

(٣٣٣) ينظر: التبيان: ٢٠٥/٣؛ مجمع البيان: ٥٠/٢؛ احكام القرآن، الجصاص: ٢٠٥/٢.

(٣٣٤) الجوهر الثمين: ٤٨/٢؛ مقتنيات الدرر: ١٠٥/٣؛ الميزان: ٣٨٢/٤. ينظر: أحكام القرآن، الشافعي: ٢٠٢/٥.

(٣٣٥) ينظر: دراسات فنية في صور القرآن: ١٠١. ينظر: أثر الدلالة النحوية واللغوية: ٢٢٦.
وعلى وفق الرأيين، يكون النص قد حقق حكمين، نكاد أن نجزم، انهما المقصودان في النص، فقد استطاع أن يستثمر الاستعمال الحقيقي والمجازي، لتحقيق المقصد من جهة، وتحقيق غاية فنية اثارية من جهة أخرى. ينظر: الحكم الأول المترتب على الرأي الأول، اعراب القرآن، النحاس: ٤١٩/١. ينظر: للحكم الثاني المترتب على الرأي الثاني، الكشاف: ٣٦٥/١ـ٣٦٦.

(٣٣٦) ينظر: لسان العرب، مادة (سكر).

أما الثاني: فيرى أن المراد من السكر هو سكر النوم والنعاس[٣٣٧].

ومن الممكن أن يكون المقصود من السكر ما يشمل النوعين، سكر الشراب وسكر النوم. فالسكر بشقيه (الشراب والنوم) هو ((حالة عقلية يضطرب من خلالها عمل الذهن في صورته الاعتيادية))[٣٣٨]. ذلك أن الصحو محله العقل والسكر هو نقيضه. فان المراد بالسكر ((كل ما أذهب العقل وافقده))[٣٣٩]. وبهذا نصل إلى ازدواجية الصورة، من خلال الدلالة الحقيقية والمجازية للسكر، وهذا التعبير المزدوج، يشكل دون أدنى شك احد الاشكال الفنية التي تزيد وتثري وتعمق من إثارة المتلقي[٣٤٠].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٣٤١].

الأكل معروف هو انفاد ما يمكن أن يتغذى به بالتقامه وبلعه مثلا، ولما فيه من معنى التسلط والانفاد[٣٤٢].ويقال: أكل فلان المال أي تصرف فيه بالتسلط عليه، وذلك بعناية أن العمدة في تصرف الإنسان في الأشياء هو التغذي بها، لأنه أشد ما يحتاجه الإنسان في بقائه[٣٤٣].

و((لذلك سمي التصرف أكلا، لكن لا كل تصرف، بل التصرف عن التسلط

---

[٣٣٧] الميزان: ٣٨٢/٤؛ مقتنيات الدرر: ١٠٥/٣؛ تفسير البرهان: ٨٠/٢. أي من الممكن أن يتوجه المصلي إلى الصلاة وهو بحاجة إلى النوم بحيث ينعس خلال الصلاة أو تمارس مقاومة النعاس، ومن ثم لا تؤدي الصلاة بنحوها المطلوب: ينظر: دراسات فنية في صور القرآن: ١٠١.

[٣٣٨] دراسات فنية في صور القرآن: ١٠٢.

[٣٣٩] اثر الدلالة النحوية واللغوية: ٢٢٦.

[٣٤٠] دراسات فنية في صور القرآن: ١٠٢.

[٣٤١] البقرة: ١٨٨.

[٣٤٢] ينظر: لسان العرب، مادة (أكل)؛ مواهب الرحمن: ١٩٤/٢.

[٣٤٣] مواهب الرحمن: ١٩٥/٢.

يقطع تسلط الغير على المال بالتملك كما ينفد الاكل الغذاء بالاكل، والباطل من الافعال، ما لا يشتمل عليه غرض صحيح عقلائي))[٣٤٤].

والمراد بالاكل الاخذ أو مطلق التصرف، مجازا كون الاكل اقرب إلى الافعال الطبيعية التي يحتاج الإنسان إلى فعلها واقدمها. ذلك أن كل ما يفعله الإنسان بالمال ينتهي إلى الاكل، فلا مسوغ لأكل المال إذا كان لا يحصل منه لا على ما يدخل إلى بطنه، وكل ما عداه لا يؤول معه بعد موته.

وشبيه هذا الاستعمال، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣٤٥].

تشتمل هذه الآية على حكم الربا وتحريمه. متمثلة بعبارة ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا...﴾ فالأكل معروف، والمراد به هنا أخذ الربا وانتزاعه من مالكه وهو المدين. ومادة (ربو) تأتي بمعنى الزيادة والانتفاع ولها استعمالات كثيرة[٣٤٦]. اسند الربا إلى الأكل أي خلع على ممارسة الربا وهو (تعامل مالي) حالة (الأكل) وهي ممارسة حيوية (تناول الطعام)، مما يدلل عن بشاعة الفعل، وإظهار الميول النفسية[٣٤٧].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾[٣٤٨].

النقصان أخذ الشيء عن المقدار والزيادة أو ضم الشيء إلى المقدار، وقوله

---

[٣٤٤] الميزان: ٥١/٢.

[٣٤٥] البقرة: ٢٧٥.

[٣٤٦] ينظر: لسان العرب، مادة (ربو)؛ مواهب الرحمن: ١٧٠/٣.

[٣٤٧] دراسات فنية في صور القرآن: ٦٨.

[٣٤٨] هود: ٨٤.

تعالى: ﴿وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾، فكانوا مع شركهم ينقصون حقوق الناس بالتطفيف. والمكيال والميزان، اسما آلة، بمعنى ما يكال به وما يوزن به، ولا يوصفان بالنقصان وإنما يوصف بالنقص والزيادة والمساواة المكيل والموزون، فنسبة النقص إلى المكيال والميزان من المجاز العقلي[٣٤٩].

إن إسناد النقص إلى المكيال والميزان يعني فيما يعنيه، انهما إذا انتقصا لم يعودا كما كانا أول مرة، وبالتالي لا يؤديان وظيفتهما المرجوة منهما، فلا قيمة له إذا. وتتوقف معاملات البيع والشراء دون الميزان والمكيال.

فلا بد إذا من الوفاء بحق الميزان حتى تستقيم الحياة، فصار النقص من المكيال والميزان هو اضطراب في الحياة لا يرضاه الله تعالى، ومن هنا تأتي أهمية هذه الإشارة. ومن جانب آخر، أن نسبة النقص إلى المكيال والميزان، قد تعني، أن المكيل والموزون قد يكون لمرة واحدة وينتهي، وقد لا يتكرر، ولكن إذا نسب النقص إلى المكيال والميزان، صار النقص ملازما للآلة، وهذا أبشع في إظهار هذه الحالة.

وفي المضمار نفسه قوله تعالى: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾[٣٥٠]. الإيفاء إتمام الشيء الى حد الحق فيه،والكيل تقدير الشيء بالمكيال حتى يظهر مقداره[٣٥١]. واسند الكيل والميزان إلى الإيفاء من باب المجاز العقلي علاقته مسببية.

أن ربط الوفاء بالكيل والميزان، يحرك في نفس العربي قيمة الوفاء، فان لم يلتزم بذلك صار عدم الوفاء غدرا بالكيل والميزان، ومن ثم فهو غدر بالناس.

ومن هنا ينفر الناس من هذه القضية، ويبتعدوا عنها فتؤدي الآية الغاية التي

---

(٣٤٩) الميزان: ١٠/ ٣٧٩ــ ٣٧٧؛ التبيان: ٤٧/٦.

(٣٥٠) الاعراف: ٨٥.

(٣٥١) التبيان: ٤٦١/٤.

يشير القرآن إليها.

ونلحظ في الآية الأولى مجازا عقليا علاقته زمانية، في قوله تعالى: ﴿يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾[٣٥٢]. يعني يوم القيامة، لأن عذابه يحيط بجميع الكفار، فوصف اليوم بالإحاطة، وهو من نعت العذاب في الحقيقة، لأن اليوم محيط بعذابه، وذلك اظهر في الوصف وأهول في النفس أي لا يفلت منه احد منكم ووصف اليوم به، وهو وصف العذاب لوقوعه فيه[٣٥٣]. فالله سبحانه وتعالى يظهر هنا هول يوم القيامة، ومن ثم هول العذاب الذي ينتظر الكفار فيه.

وفي سياق العلاقة الزمانية، نلحظ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[٣٥٤].

اسند (المصدر) إلى اليوم ﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ وهو زمانه، وهو ليس بفاعل، وإنما زمن وقوعه والفاعل هو في ذلك اليوم، من إيتاء الحق أي حق الزرع. وهذا الحق فيه قولان:

انه زكاة العشر. والآخر هو ما ينثر مما يعطي المساكين، وكانت للمفسرين استدلالات روائية ونحوية، فذهب فريق إلى أن المراد منه هو وقت إخراج زكاة ما يخرج من الأرض، وأما الفريق الآخر فذهب إلى أن المراد هو حق مغاير

---

(٣٥٢) هود: ٨٤.

(٣٥٣) التبيان: ٤٧/٦؛ الميزان: ٣٣٧/١٠.

(٣٥٤) الانعام: ١٤١.

للزكاة[٣٥٥].

إن قوله تعالى ﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ ظرف زمان متعلق بـــ(آتوا) فيكون يوم الحـــصاد ظرفا لإعطاء حق الزرع من الزكاة. وقد علق بعـــضهم الظـــرف بقولـــه تعـــالى ﴿حَقَّهُ﴾[٣٥٦].

وكان لكلا الفريقين حجتهم الروائية والنحوية، والمتأمل لهذا النص يجد أن ذيل الآية، تحدد أن المراد من ﴿حَقَّهُ﴾ هو ليس الزكاة، فقوله تعالى: ﴿وَلاَ تُسْرِفُوا﴾ دالـــة على أن الحق ليس ملزما بل يدفع ويعطى للمساكين الحاضرين وقت الحصاد عـــن طوع، وان الزكاة فريضة محددة بعشر المال الخاضع للزكاة.

وفي قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[٣٥٧].

هذه الآية جاءت في معرض الحديث عن إحكام الوصية. وفيها مجاز عقلـــي، فقد اسند الموت إلى الحضور، والموت لا يحضر بل تظهر إمارتـــه مـــن مـــرض وغيرها ولم يرد إذا عاين البأس وملك الموت، لأن تلك الحالة تشغل عن الوصـــية، وهناك رأي آخر، قيل عليكم الوصية في حال الصحة، أن تقولوا إذا حضرنا الموت فافعلوا كذا[٣٥٨].

الا أن المسلم ينتظر حضور الموت في أية لحظة، ونسبة الحضور إلى الموت

---

[٣٥٥] التبيان: ٢٩٣/٤؛ مجمع البيان: ٣٧٤/٢؛ تفسير آيات الأحكام، الايرواني: ٢٩٥.

[٣٥٦] التبيان: ٢٩٣/٤.

[٣٥٧] البقرة: ١٨٠.

[٣٥٨] التبيان: ١٠٧/٢؛ مجمع البيان: ٢٦٦/١١.

هي من ثوابت العقيدة، ولكن الذي يحضر هو ملك الموت الموكل بقبض الروح، فالموت إذاً حضوره معنوي مجازي، أما حضور ملك الموت حضور حقيقي. ومن هنا استطاع التصوير المجازي أن يخلق للموت صورة، أرادها النص أن ترسخ في أذهان المتلقين، لأهمية حالة الموت وما يترتب عليها، فجاءت الصورة بتلك الإيحاءات عن عظمة الموت وهوله. من خلال اضفاء الفعل الحسي على الامر المعنوي.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[٣٥٩].

هذه الآية تتحدث عن أحكام الرهان، وفي معرضها كتمان الشهادة. وان كتمان الشهادة من الكبائر، وقبحه العقلي ثابت عند كل احد فان فيه وقوع الظلم، وتضيعُ للحقوق. ومن ذلك أضاف الإثم للقلب وان كان الإثم هو الجملة، لأن اكتساب الإثم بكتمان الشهادة يقع بالقلب، لان العزم على الكتمان انما في القلب، لأن إضافة الإثم إلى القلب ابلغ في الذم، وقيل اسند اليه لأنه رئيس الاعضاء كأنه قيل تمكن الإثم في النفس وملك اشرف اعضائه، والمعنى أن الكاتم يأثم قلبه، وقلبه فاعل آثم، ذلك أن كتمان الشهادة هو أن يضمرها ويسترها في قلبه ولا يتكلم بها، ولهذا اسند الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها ابلغ[٣٦٠].

ويذهب السيد السبزواري إلى أن هذه الآية من بديع البيان الذي يكشف عن الضمير الإنساني بعد ارتكابه الإثم والموبقات[٣٦١].

---

[٣٥٩] البقرة: ٢٨٣.

[٣٦٠] مقتنيات الدرر: ٢/١٤٧؛ الجوهر الثمين: ١/٢٨٩.

[٣٦١] مواهب الرحمن: ٤/٤٩٦.

وعلى شاكلة هذا الاستعمال نرصد آية أخرى، جعلت من القلب ارادة يستطيع أن يتصرف. كما في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[٣٦٢].

جاءت هذه الآية في معرض احكام اليمين وكفارته، وهي تخص يمين اللغو الذي يجري على اللسان من دون أن يقصد به القسم الحقيقي، والذي لا يترتب عليه اثم.

وان اللغو من الافعال التي لا تستبعد أثرا، أما اليمين فله أثر، ومن دلالة هذه الالفاظ تتضح عبارة: ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾. وهي مجاز عقلي. فالمؤاخذة على ما كسبته القلوب، وخاصة من حيث اليمين تدل على أن المراد باللغو هو اليمين الذي لا يؤثر في قصد الحالف.

والكسب هو اجتلاب المنافع المادية، ثم استعير إلى كل ما يجتلبه الإنسان بعمل من اعماله مادية كانت أم معنوية. والمراد بالقلب هو الإنسان بمعنى النفس والروح، فان التعقل والتفكير والحب والبغض وأمثال ذلك تنسب إلى القلب باعتقاد انه العضو المدرك في البدن على اعتقاد العامة[٣٦٣]. والمراد من كسبت في المقام القصد الجدي والنية والعزم أي يؤاخذكم بما نوت قلوبكم في الإيمان من المخالفة العمدية.

إن الكسب في قضية اليمين لا يمكن أن يسند لغير القلب لأنه يتصل بعمل لم يطلع عليه الا الله تعالى والفاعل. وفعل الفاعل هو كسب القلب، فاذا أدى اليمين فقد

---

(٣٦٢) البقرة: ٢٢٥.

(٣٦٣) الميزان: ٢/٢٣٣؛ مقتنيات الدرر: ٢/٦٧؛ مجمع البيان: ١/٢٢٣.

وللسيد السبزواري بحث فلسفي وعرفاني في لفظة (القلب) واسنادها إلى الكسب، فيرى أن القلب، قلبان الأول، هو العضو المعروف من جسم الإنسان، والثاني يسميه، اللطيفة الربانية أو العقل العملي أو النفس الناطقة الإلهية. ولعل اطلاق القلب وارادة الروح أو النفس في بعض الآيات لأجل انه مبدأ الروح وبتلفه يتلف الحيوان. مواهب الرحمن: ٣/٤٠٦.

يبرأ من الفعل حتى ولو كان فاعلا.

أما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[٣٦٤].

في هذا النص نهي للرسول k ، والمراد به جميع المكلفين عن أن يمدوا أعينهم إلى ما متع الله تعالى الكفار من نعيم الدينا ولـذاتها.واسـتعملت ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ مجازا عقليا، حيث اسند للعين المدّ، وجعلها متحركة، والعين هي الباصرة، والمراد أي لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له[٣٦٥].ويعني في مد العين مد نظرها واطالته، ثم مد النظر واطالته إلى الشيء كناية عن التعلق به وحبه[٣٦٦].

وذهب الدكتور محمود البستاني إلى أن هذه الفقرة فيها اسـتعارة[٣٦٧]، الا أن اسناد العين إلى الفعل، يبقيها في حيز المجاز العقلي.

ولوحظ أن دلالة (مد) تعني تركيز النظر وإطالته، مما تخرج النظر العادي إلى النظر الذي يستتبع حسرة وتطلعا بالشيء. وبالتالي تكون هذه النظرة الجسر الـرابط بين الناظر والمنظور اليه. ومن ثمّ التعلق بالنعيم الدنيوي.

وفي قولـه تعـالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾[٣٦٨].

---

[٣٦٤] طه: ١٣١.

[٣٦٥] الكشاف: ٥٤٩/٢.

[٣٦٦] الميزان: ٢٥٨/١٤.

[٣٦٧] دراسات فنية في صورة القرآن: ٤٥١.

[٣٦٨] الانفال: ١١.

استدل في هذه الآية على مطهرية الماء من الحدث والخبث والغشيان لباس الشيء ما يتصل به، فكان النعاس قد لا بسهم بمخالطته إياهم، والنعاس ابتداء حال النوم قبل الاستثقال به، والأمنة الدعة التي تنافي المخافة، وقوله تعالى: ﴿أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ لأن الخائف لا ينام فامنهم الله تعالى، بزوال الرعب عن قلوبهم، وهنا اسند الأمن إلى النعاس إسنادا مجازيا وهو لأصحاب النعاس على الحقيقة(٣٦٩).

ويبقى أن نشير إلى استعمال المجاز، في تكثيف دلالة المعنى وإيجاز الألفاظ، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ﴾(٣٧٠). الجهر والاخفات، وصفان متضائفان يتصف بها الأصوات، فيكون الجهر هو المبالغة في رفع الصوت، والاخفات هو المبالغة في خفضه وما بينهما هو الاعتدال، ولقد اسند الجهر والاخفات للصلاة، وحقها أن تستند إلى الصوت، وقد حذف الصوت ايجازا ،ذلك أن الجهر والاخفاء يتبادر إليهما الذهن، وان الصلاة إذا أريد بها الدعاء، أو اريد بها الصلاة الفعلية فكلتاهما تقترن بالقراءة(٣٧١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾(٣٧٢).

اللغو(٣٧٣) ما لا يعتد به من الأفعال والأقوال لعدم، اشتماله على الغرض العقلائي، والمراد بالمرور باللغو، المرور بأهل اللغو وهم مشتغلون به، من قبيل اطلاق المسببية والمعنى، واذا مروا بأهل اللغو وهم يلغون مروا معرضين عنهم منزهين أنفسهم عن الدخول فيهم والاختلاط بهم ومجالستهم.

إنّ فائدة المجاز هنا التركيز على اللغو، لأن المسلم ليس له موقف معادٍ لمسلم

---

(٣٦٩) التبيان: ٥/٨٥.

(٣٧٠) الاسراء: ١١٠.

(٣٧١) الميزان: ٢٣٨/١٣؛ مقتنيات الدرر: ٢٧٧/٦؛ تفسير البرهان: ٤٥٣/٣.

(٣٧٢) الفرقان: ٧٢.

(٣٧٣) لسان العرب، مادة(لغو).

مثله في هذا الموطن. الا إذا كان من أهل اللغو. فيكون في المجاز تبشيع لـــصورة اللغو ونهي عنه. فالأصل هو ما يتحدث به أهل اللغو، فالحديث شـــيء والمتحـــدث شيء آخر، على الرغم من صدور ذاك عن هذا.

المبحث الثاني

فــن التشــبيه

لم يبتعد الحد الاصطلاحي[٣٧٤]. عن المعنى اللغوي[٣٧٥]، في تحديد دلالته فهو تدرج عن الأصل الوضعي له، بلحاظ اتحاد المعنى والمدلول.

بيد أن المعنى اللغوي وقف عند معنى التمثيل والمماثلة والمساواة والتلبس، فقد فطن اليه البلاغيون في تحديد تعريفاتهم لفن التشبيه، فالمماثلة تكون بين أمرين، قــد تتفاوت قوة وضعفا في حد الالتحام أو الاتحاد فيما بينهما.

ومن هنا احترز البلاغيون من أن جمع أمرين في صفة دون الصفات الأخرى، قد تخرجه من حيز التمثيل المطابق للشبه إلى الشبه البلاغي[٣٧٦]. وهذا ما أكدوه في أن الصورة التشبيهية لا تكون في الجهات كلها وفــي جميــع الــصفات بــل فــي بعضها[٣٧٧].

واذا ما استعرضنا آراء البلاغيين في فن التشبيه، نجد أن القدر الجامع بيــنهم يدور في ثلاثة محاور أساسية، تحدد خصائص هذا الفن.

الأول اثره في الصورة أو (الشكل).فهو يعد من أهم وسائل التصوير البيــاني، ومن الظواهر الصياغية المشاعة في انتاج التعبير الفني، حيث تتجلى مقــدرة فــن التشبيه على انتزاع صور تشبيهية من خلال ادراك المحسوسات المحيطــة بالعمــل

---

[٣٧٤] هو عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر بــاداة لغــرض يقــصده المــتكلم. أساليب البيان في القرآن: ٢٠٥.

أو هو ((مشاركة امر لآخر في المعنى)).الإيضاح: ٢١؛التلخيص:٢٣٨ أو هو((وصف الــشيء بمــا يقاربــه وشاكله من جهة واحدة لا من جميع جهاته)).العمدة: ٢/٢٩٤.ينظر:نقد الشعر:٦٥،وكتاب الصناعتين: ٢٤٥.

[٣٧٥] ينظر: لسان العرب، مادة (شبه)، وهو التمثيل أو المماثلة، يقال شبهت هذا بهذا تشبيها أي مثلت بــه. ينظر: القاموس المحيط، مادة (شبه).

[٣٧٦] ينظر: كتاب الصناعتين: ٢٣٩.

[٣٧٧] ينظر: الحيوان: ١٣٩/٢.

الادبي وايضاحها عن طريق عقد موازنة بين أمرين يشتركان في معنى، أو مقابلة مع صورة أخرى من خلال أدوات توصيلية بين الصورتين اللتين تختلفان جوهريا وتتحدان في مواضع ظاهرية، وهذه تعتمد على اللغة المجازية في تشكيلها للصورة التشبيهية، التي ترتقي باللغة المباشرة إلى لغة الإبداع والجمال وإحداث التأثير المطلوب تحقيقه، وهي بذلك تعمق الرؤى إلى الموجودات وتحفز الذهن إلى التطلع إلى الأشياء والاستغراق في تحسسها.

أما المحور الثاني فأثر التشبيه في المضمون أو المعنى.

إن للتشبيه أثرا فنيا يفرضه السياق وهذا يقود إلى التأثير في صياغة المعنى وأثراء الدلالة. ذلك أن من أهم خصائص التشبيه قدرته على تكييف النص الادبي لاستقبال المعنى المراد اثباته، على وفق التصور المطلوب إمضاؤها، دون اخلال في البنى اللغوية، أو قطع في الصياغة البيانية. ولهذا يعد رقي النص الفني، منصبا على الحاجة الفنية التي تبنى عليها الضرورة التركيبية للجملة.

ومن هنا يعد التشبيه حاجة أدائية لإتمام المعنى وتحقيقه في كافة أوجهه، فضلا على اكساب النص الإطار الفني، رونقا واعتدالا وتحقيق فائدة وتقريب فهم.

أما المحور الثالث: فينصب في اثر التشبيه في النفس.

فقد تعمق البلاغيون القدامى في البحث البلاغي، حتى ادركوا أن ثمة ترابطا وثيقا بين التشبيه وبين نفسية الإنسان ومزاجه، فقد يكون التشبيه بديعا في زمان ومكان، وتنفر منه الأسماع وتنبو عنه الطباع في زمان ومكان آخرين[٣٧٨].

وقد عقد الجرجاني فصلا بيّن فيه مواقع التمثيل وتأثيره في النفس[٣٧٩]. وقد ارجع تأثير التشبيه في النفس إلى علل وأسباب ((وأول ذلك واظهره أن أنس النفوس موقوف على تخرجها من خفي إلى جلي، وتأتيها بصريح بعد مكنى...))[٣٨٠]. ودعا

---

[٣٧٨] **العمدة: ٢/٢٩٤.**

[٣٧٩] **اسرار البلاغة: ٧٣.**

[٣٨٠] **اسرار البلاغة: ٧٣.**

إلى توفير الانسجام النفسي في التشبيه وإشاعة وحدة عاطفية ملائمة لخلق التجاوب الشعوري مع النص الادبي.

إنّ الاثر النفسي المحدث من قبل التشبيه في تخيل الصورة في النفس واثارة الانفعالات، قائم على الارتباط بالحس العاطفي، حيث أشار إلى ذلك أرسطو حينما جعل التشبيه مثيرا للذة في النفس[٣٨١].

وعلى هذا الأساس يتحقق للتشبيه هدفان، هدف نفسي، من خلال التأثير والتأثر. وهدف عقلي، من خلال الافهام والابانة، وذلك للقدرة التي يمتلكها هذا الفن على التخطي، بالفرد عوالم مختلفة، وآفاق متنوعة ومن هنا يكون الحكم الشرعي قائما على الاقناع العقلي من خلال التأثير النفسي على المتلقي الذي يظل مشدودا إلى هذا النص الكريم، بما يثيره في نفسه من انبهار بهذا التاثير، ومن ثم يقتنع تماما بالحكم الشرعي المترتب على هذا النص، لأنه يفهم اسرار لغته وجمالها بعد أن جاء الحكم في أعلى مراتب التشكيل اللغوي.

فن التشبيه في آيات الأحكام:

يدخل فن التشبيه في النص القرآني الكريم. عنصرا أساسيا في النسيج التركيبي للنص، وتكمن فائدته في إبراز المعنى بصورة جلية وتمام مؤدى ولا يقصد في النص القرآني إلى التشبيه قصدا لذاته، بل بوصفه حاجة فنية، وضرورة بيانية، تقوم عليها ضرورة الصياغة والتركيب، ومهمة أدائية لبيان المعنى القرآني بشكل تام كامل من جميع الوجوه، مما يكسب النص حلاوة التعبير. واستقامة المعنى وتقريب الفهم.

وينشط التشبيه داخل النص القرآني لآيات الأحكام حيث تتولد وظيفة افهامية وتأثيرية، مما يكسب النص طاقة تعبيرية فائقة ويتضح ذلك عبر التطبيق الإجرائي لدالة التشبيه.

---

[٣٨١] **ينظر: الخطابة، لأرسطو: ٢١٢.**

ولما كان التشبيه ينقسم إلى تشبيه مرسل وتشبيه مؤكد بحسب الأداة. فقد توافر النوعان في آيات الأحكام بنسب متفاوتة، وهذا التباين في النسب، مرده إلى حاجة معنوية أو فنية، داخل الكتل السياقية التي يتشكل منها الخطاب القرآني.

ففي القسم الأول: نستطيع أن نتلمس الحاجة الفنية له، في النص القرآني ودلالة الصورة التشبيهية في افادة المعنى الافهامي للنص، من خلال الادوات التي استعملت فقد استخدمت أدوات التشبيه (الكاف، مثل، كأن) في آيات الأحكام بتفاوت ملحوظ، حيث روعي في هذا الاستخدام الفوارق الفنية بين كل أداة وعلى النحو الآتي: الكاف في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾[٣٨٢].

إن الكاف في الاستعمال التشبيهي، هو الأصل لبساطته والملاحظ في النص المذكور، أن أداة الشبه (الكاف) أحدثت توازنا بين طرفي التشبيه فالطرف الأول، تمثل بأمر المكلف بان يذكر الله تعالى، موازيا للذكر في الطرف الآخر، أي أن يكون ذكر الله تعالى، مكان ذكرهم لآبائهم وأجدادهم حيث كان العرب، إذا فرغوا من الحج مكثوا في منى يتفاخرون بالإباء، وبلحاظ هذه الآية، أن الله سبحانه وتعالى، بدل ذلك الذكر، بذكر نعمه والشكر له، ووجه الشبة في ذلك أن ذكر الله تعالى، أولى وتعداد نعمه وشكره على تلك النعم اوجب لأن الآباء وان كانت لهم عليهم اياد ونعم، الا أن نعم الله تعالى عليهم أعظم، من تلك الروابط الاجتماعية والعوالق الذاتية. ويلاحظ أن التركيز، هنا وقع على المشبه حيث ينطوي المشبه به. (كذكرهم آباءهم) تحت جناح المشبه، ولذا ينشغل الذهن هنا بالمشبه أكثر من انشغاله بالمشبه به، وهذه مفارقة فنية جميلة.

---

[٣٨٢] البقرة: ٢٠٠.

وهنا أسهمت الدلالة التشبيهية على إثراء الدلالة، وبث حياة جديدة، للمسلمين من خلال التخلص من النزعة الجاهلية في المفاخرة وذكر الإباء والاستعاضة عنها بذكر الله تعالى حيث تتسرب دلالة المشبه إلى نفس المتلقي من الوهلة الأولى.

ونلمح آية أخرى تقترب من مضمون المعنى التشبيهي للآية الاولى، وهي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾[٣٨٣].

إذ حققت الأداة التوازن المطلوب بين (الذكر والهداية)، فوجه الشبه المحصل من الدلالة التشبيهية هو أن الذكر بالشكر والثناء، يجب أن يكون حسب الانعام، والهداية على عظم منزلتها من بين النعم، فاستوجب الشكر على عظم تلك المنزلة.

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾[٣٨٤].

التشبيه هنا، معقود بين جهر المسلمين للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وجهرهم لبعضهم، فأحدثت الأداة ذلك التوازن بين الجهرين، لأن الصورة منتزعة من واقعهم، أي أن خطاب بعضكم لبعض، ما هو الا خطاب عامة الناس، فاقد لمعنى التعظيم أما خطاب العظماء، فيكون من التعظيم أن يكون صوت المتكلم أخفض من صوت مخاطبه، فمطلق الجهر بالقول فاقد لمعنى التعظيم.

أي أن رفع الصوت فوق صوت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يتناسب مع مقام النبي k، وهو خلاف التعظيم والتوقير المأمور به.

---

[٣٨٣] البقرة: ١٩٨.

[٣٨٤] الحجرات: ٢٠.

وهذا التشبيه حقق أمرين، الأول عدم الجهر للنبي k والثاني حِليّة جهر المسلمين لبعضهم. فجمع بين الجواز وعدمه من خلال التشبيه، وهذا يكشف لنا قابلية التشبيه القرآني على إيصال المعنى بأبرع الصور.

ونلحظ في آية أخرى قدرة الأداة فنيا على إحداث علاقة بين طرفي الصورة في اتمام المعنى، وتحقيق عنصر التأثير.

ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[٣٨٥].

نهى الله في هذه الآية الكريمة، أن يكون خروج المؤمنين، مماثلا خروج قريش، لما خرجت تحمي قوافلها، فلما نجت وأرسل إليهم، أبو سفيان يخبرهم بذلك، أصروا على ورود آبار بدر، ليراهم أهل الحجاز، بطرا ورياءً.

ووجه الشبه، هو الصدّ عن سبيل الله تعالى، ما اوجب النهي عن التشبيه بهم، واتخاذ طريقتهم، بدلالة سياق الآية، أي أن تحقق الطرف الآخر موازي لتحقق الطرف الأول.

ويلحظ أن دلالة الطلب (ولا تكونوا) ساعدت على انصراف الذهن إلى صورة المشبه به، أكثر من المشبه، بخلاف الآية السابقة (كذكركم آباءكم).

لأن الفعل بما اقترن من نهي حتما يلفت النظر إلى هذه الصورة التشبيهية التي تكفل المشبه به ببسطها.

أما الأداة (مثل) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي

---

[٣٨٥] الانفال: ٤٧.

يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾[٣٨٦].

قبل الوقوف عند الأداة (مثل) نلحظ في هذه الآية تشبيه بالأداة (كاف) وهنا أدى النفي ما أداه النهي في الآية السابقة، من حيث التركيز على صورة التشبيه به. ويبدو أن هذا يقترن بالاداة (الكاف).

أما التشبيه بالاداة (مثل) في هذه الآية، فان الملاحظة الأولى في هذا الشبه هو انه تشبيه مقلوب، حيث أن الأصل فيه (أن الربا مثل البيع) الا انهم جعلوا الربا، أصلا وقاسوا به البيع، أو للمبالغة في الامر. لأن الكلام هنا على لسان الذين يأكلون الربا، فجاءت اداة التشبيه (مثل) لتحقق المثلية التامة بين البيع والربا، بحسب ما يريد هؤلاء، وكأنهم يسعون من خلال الأداة إلى الابهام والتعمية على من يعترض على الربا، من خلال تأكيد شبهه للبيع.

الا أن الأداة (مثل) حققت درجة عالية من التشابه بين الربا والبيع، مجارات مع من شبه الربا بالبيع ليكون الأصل الذي قاسوا عليه.

ولذلك جاء العقاب لهم بسبب قولهم (انما البيع مثل الربا)، حيث انزلوا الربا منزلة البيع، فكان الرد، أن البيع حلال، والربا حرام، للتفريق وعدم المماثلة بينهما.

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ﴾[٣٨٧].

تحدث الفقهاء في هذه الآية عن المماثلة للصيد في الحجم، أو القيمة، نظرا لما تحققه الأداة من درجة عالية في التشابه، بلحاظ الأداة من جهة. والحكم بالمثلية من جهة أخرى ذلك أن الآية ناظرة إلى الواجب في الجزاء المماثل فالأداة (مثل) حققت

---

[٣٨٦] البقرة: ٢٧٥.

[٣٨٧] المائدة: ٩٥.

هنا توافقا تاما بين المشبه والمشبه به، لأنه هو المراد في التشريع.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾(٣٨٨).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾(٣٨٩).

قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾(٣٩٠).

تشترك هذه الآيات في دلالة تشبيهية تكاد تكون واحدة، وهي في معرض الحديث عن القصاص، فان مضمون هذه الآيات واحد، وهو جواز المواجهة عند الاعتداء بالمثل، ودلالة (مثل) تشير إلى درجة عالية من التشابه بين طرفي التشبيه دون ترجيح احدهما على الآخر، وهو في معرض اثبات حكم القصاص بالعدل، وهنا العدل الذي يتحقق بتنفيذ الحكم الوارد بهذه الآيات، يتطلب هذه المماثلة التي حققتها الأداة (مثل) ولا يمكن أن تنهض اداة أخرى بما تنهض به هذه الأداة.

أما الأداة (كأن) وذلك في قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾(٣٩١).

حيث شبه من قتل نفسا واحدة، بالذي قتل الناس جميعا، والاداة في هذه الآية استخدمت لرصد التشابه بين الحالة الفردية للقتل، والقتل الجماعي، وان كانت هذه الأداة تستخدم بين طرفين مختلفين جوهريا في الشبه، الا أن في هذه الآية يلاحظ أن طرفي التشبيه من مادة واحدة ومصرح بها وهي (القتل)، ولهذا نجد أن السياق قد

---

(٣٨٨) الحج: ٦٠.

(٣٨٩) النحل: ١٢٦.

(٣٩٠) الشورى: ٤٣.

(٣٩١) المائدة: ٣٢.

حدد درجة التشابه وساعدت الأداة على تقوية الشبه بين الطرفين حتى لا يكاد المتلقي يشك في قوة التماثل بين المشبه والمشبه به.

وقد أدى التشبيه بهذه الأداة إلى بيان حرمة قتل النفس وتهويلها فقتلها كأنما يعدل قتل الناس جميعا.

وعلى هذا الأساس نستطيع أن نرصد تباين النسب بين كل اداة في علاقات الشبه، والمعروف أن نسبة الشبه التي تجسدها (مثل) هي الدرجة العالية، و(الكاف) الدرجة المتوسطة، و(كأن) النسبة الدنيا.

وما لوحظ في بحثنا لآيات الأحكام، أن النسبة العالية في رصد علاقة الشبه تمثلت في الأداة (مثل)، أما (الكاف) جسدت نسبة متوسطة في علاقات التشابه، ذلك انها تمثل درجة متوقعة من التشابه.

أما الأداة (كأن) فكانت نسبة الشبه لديها عالية، وفي ضوء هذه الدلالات تتضح أن الأداة كانت عاملا مساعدا أو ضرورة فنية، فالسياق بطبيعة الحال هو الذي يحدد هذه النسب. حيث أن الهدف من عقد العلاقة بين طرفي الصورة، ما هو الا لتحقيق الإفهام والاثارة والتأثير، فان نسبة التماثل علوا ودنوا ليست هي الهدف.

ومن جانب آخر، أن القرآن الكريم جاء بأدوات التشبيه هذه في آيات الأحكام بحسب ما يقتضيه السياق، والحكم الشرعي الذي تتضمنه الآية ولا يمكن أن تستبدل اداة باداة أخرى. لأن تغيير الأداة ربما يقود إلى عدم بيان الحكم الشرعي، ومن هنا يتبين لنا العمق الدلالي في استثمار القرآن الكريم لطاقات أدوات التشبيه بشكل خاص والتشبيه بشكل عام.

أما القسم الثاني من التشبيه هو التشبيه المؤكد، وهو ما حذفت منه الأداة وذكر وجه الشبه. ويعد التشبيه في هذا النوع اقوى في التأثير واشد في المبالغة، لأن وجود الأداة يوحي بوجود طرفين متماثلين، أما هذا النوع (محذوف الأداة) فيوحي بأن الطرفين شيء واحد، لشدة المشابهة بينهما.

فقد يستفاد من التشبيه المؤكد في خلق حالة من الاندماج بين المشبه والمشبه به لأن اسقاط الأداة من النص التشبيهي يتجاوز حال الموازنة التي تتجسد في التـشبيه بالاداة، مما يجعله اوجز وابلغ وأشد وقعا في الـنفس بطيّـه ركـن مـن اركانـه، وتصويره المشبه في صورة المشبه به، مما يترتب عليه أثرا في النفس. وزاد علـى تلك الخصائص ابقاءه على وجه الشبه لجعل شدة المشابهة محصورة في هذا الوجه دون سواه. وهو بذلك يحقق غرضا لغويا وفنيا وشعوريا.

وهذا ما نلحظه في التطبيق الإجرائي لآيات الأحكام نحو قوله تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣٩٢].

شبه الخمر والميسر والانصاب والازلام، بالرجس على طريق التشبيه المؤكد. وسمى الاوثان رجسا أي انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبوه فعلـيكم أن تنفروا عن هذه الاشياء، مثل تلك النفرة، ونبه على هـذا المعنـى بقولـه ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾، وجعل العلة في اجتنابه وهو وجه الشبه[٣٩٣].

وتأسيسا على ما تقدم من مفهوم التشبيه المؤكـد، يكـون الخمـر والميـسر والأنصاب والازلام باندماج تام مع الرجس الذي يصدر عن الشيطان، فلا موازنـة هنا بين طرفي التشبيه، وانما هي حالة واحدة، أفضى إليها النص بفعل حذف الأداة.

وفـي قولـه تعـالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ

---

[٣٩٢] المائدة: ٩٠.

[٣٩٣] ينظر: الكشاف: ١٥٦/٣.

﴿كَفُورًا﴾[٣٩٤].

والحال نفسه في هذه الآية المباركة من حيث خلق اندماج تـام بـين المـشبه والمشبه به، فان المراد من هذه الاخوة، هو التشبه بهم في الفعل القبيح فـي الـدنيا والاخرة.

والشيطان نزل منزلة الاخ بالنسبة لهم، بإتباعهم آثاره وجريهم على سنته فمن يبذر ماله يكون كهؤلاء، ولا يخفى ما في الصورة من بشاعة إذا شعر المبذر انه أخ للشيطان، فآنذاك يستمد التبذير بشاعته من هذا الإحساس الذي وفره توكيد التـشبيه بحذف أداته.

ويلحق بهذا النوع نوع آخر هو (التشبيه البليغ أي المؤكد المجمـل). والمـراد بالبليغ، هو ما ذكر فيه المشبه والمشبه به، مع حذف الأداة ووجه الشبه، والغـرض منه التشديد في المبالغة والتأكيد في تقريب المشبه من المشبه به، لأن حـذف الأداة، يوهم بتساوي الطرفين في القوة، وعدم تفاضلهما، وحذف الوجـه، يـوحي بانهمـا متشابهان في جميع الوجوه، مما يفسح للخيال تصور تلك الوجوه، وهو بذلك يكـون رائدا في الجدة والبراعة.

ومن خلاله نستطيع أن نستجلي طاقات النص، كما في قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ...﴾[٣٩٥].

شبه النص القرآني، زوجات الرسول Z بالامهات في بعض الأحكام، كتحـريم نكاحهن وحذفت الأداة ووجه الشبه، لتنزل منزلة أزواج النبي Z منزلـة الامهـات بدون تفاوت في الحرمة.

---

[٣٩٤] الاسراء: ٢٧.

[٣٩٥] الاحزاب: ٦.

إنّ حذف وجه الشبه هنا لا يقتصر على التوحيد بين المشبه والمشبه به، وإنما يتيح المجال لفكر الإنسان كي يلحق في متابعة النص للوقوف علــى وجــه الــشبه وتحديده. فأزواج النبي Z أمهات للمؤمنين ليس فقط بتحريم نكاحهن، وانما يجب أن ينظر إليهن بما تعنيه كلمة الام من احترامهن وتعظيمهن وتبجيلهن. وكل هذا تعظيم لرسول الله Z لأنهن أخذن هذه المكانة من مكانته Z.

وفي قولــه تعــالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٣٩٦].الآية الكريمة، في معرض احكام الجهاد وهــي مــن قبيــل التــشبيه البليغ[٣٩٧]، جاءت استئناف مؤكد لما تقدم من الإصلاح بين الطائفتين المتقاتلتين من المؤمنين، وقصر النسبة بين المؤمنين في نسبة الأخوة مقدمة وممهدة لتعليل ما فــي قوله: فاصفحوا بين اخويكم، من حكم الصلح، فقيد الطــائفتين المتقــاتلتين بوجــود الاخوة بينهما، وعليه يجب أن يستقر الصلح، والمصلحون لكونهم أخــوة للمقــاتلين أيضا، فيجب أن يسعوا في الاصلاح[٣٩٨].

واذا تركنا اداة التشبيه، ووجه الشبه واثرهما في الدلالة الفنية للشبه، فلا بدّ من الوقوف عند طرفي التشبيه (المشبه والمشبه به)، ويقسم إلى أربعة أقسام:

الأول: أن يكون الطرفان حسيين: أي أن كل طرف من الطرفين يدركا باحدى الحواس الخمس، والأمثلة في آيات الأحكام كثيرة، ويمكن رصد بعضها، كمــا فــي قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾[٣٩٩].

فالمشبه هو (النساء) والمشبه به (الحرث)، وهما حسيان.

---

[٣٩٦] **الحجرات**: ١٠.

[٣٩٧] **مقتنيات الدرر**: ١٩٦/١.

[٣٩٨] **الميزان**: ٣٤٣/١٨.

[٣٩٩] **البقرة**: ٢٢٣.

وفي قوله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[٤٠٠].وقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[٤٠١].

شبه النص القرآني كل من الرجل والمرأة، باللباس وهو أمر حسي. أن الأهمية البلاغية للتشبيه الحسي، في تلك الآيات تكمن في عقد شبه بين المحسوس بالمحسوس. للدلالة على وضوح الصورة وجلائها، حيث ((أن ما تقع عليه الحاسة أوضح في الجملة مما لا تقع عليه الحاسة))[٤٠٢].

فالصورة الحسية اقرب إلى توضيح الحقائق لأذهان المخاطبين والحقيقة والوضوح تتأكدان وتتجليان بالحس[٤٠٣].

والتصور بالمحسوس في آيات الأحكام، ارتبط بالحالات النفسية في تركيب التشبيه، ذلك أن القرآن يهدف إلى رصف صور كما تحس بها النفس.

الثاني: أن يكون الطرفان عقليين:والمراد بالطرفيين العقليين ما يدركان بالعقل لا الحس، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾[٤٠٤].

---

[٤٠٠] لقمان١٩.

[٤٠١] البقرة:١٨٧.

[٤٠٢] العمدة: ٤٨٩/١.

[٤٠٣] علم اساليب البيان، د. غازي يموت: ١٠٢.

[٤٠٤] البقرة: ١٩٨.

فالذكر، يدرك بالوجدان وهو الشكر والثناء. والهداية أمر وجداني وعقلي، فان هذا التشبيه اقرب إلى اليقين، كون سياق الآية منصب في امر عبادي وهو مـرتبط بوجدان المرء وعقله، أكثر من حواسه.

والذي يستشف من سياق الآية الكريمة، أن عرفات والمزدلفة من شـعائر الله في الحج، وذكر الله في هذين الموطنين، يعني أن المسلم سار على طريق الهدايـة، فهو يذكر الله تعالى بوصف الذكر جزءا من شعائر هذين الموضعين المقدسين، ثـم يلتفت إلى هداية الله تعالى له فيذكره أيضا لهذه الهداية فيـزداد ذكـره بـل يكـون مضاعفا، بل يكاد لسانه لا يقف عن ذكر الله تعالى.

الثالث: المشبه عقلي والمشبه به حسي: إنّ تشبيه المعقول بالمحسوس، ما هو الا توضيح الأمر المعنوي الذي يتصف بالكلية وعدم التحديد بالحسي الواقعي الـذي يتصف بالجزئية.

ويرصد ذلك فـي قولـه تعـالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾(٤٠٥).

في هذه الآية الشبه قائم بين ناقض العهد وهو امر عقلي، وبين نقض الغـزل، وهو امر حسي، وجمال هذا الضرب من التشبيه راجع إلى قدرته التصويرية علـى تقديم المعنى الكلي، امام الأعين باخراجه من خفي إلى جلي. وبنقله من العقل إلـى الإحساس، بشكل ممتع ونابض((وبدقة بالغة في ادراك الحقائق الادبية بل الحقـائق النفسية، إذ تنبه إلى أن الإنسان يتمثل الحسيات، باقوى مما يتمثل العقليات لتقـدمها في مدركاته))(٤٠٦). فضلا عن أن انتقاء المشبه به جاء من محيط المتلقي، إذ طالمـا يشاهد المتلقون صورة الغزل وما يبذل فيه من جهد، فـاذا تـم واكتمـل فنقـضته

---

(٤٠٥) **النحل: ٩٢.**

(٤٠٦) **اسرار البلاغة: ١٠٤.**

صاحبته. مما يدفعهم هذا التصوير إلى التفكر بما سيؤول اليه مصيرهم.

الرابع: المشبه حسي والمشبه به عقلي:ذهب بعض الباحثين إلى أن هذا الضرب من التشبيه لم يقع في القرآن، وذهب الرازي إلى ذلك المعنى من قبل، بحجة أن العقل مستفاد من الحس، فيقول تشبيه المحسوس بالمعقول غير جائز(٤٠٧).

الا أن المتأمل في آيات الأحكام، يستطيع أن يرصد بعض الصور التشبيهية. المبنية. على ذلك الضرب من الشبه، نحو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾(٤٠٨).

إذ شبه النص القرآني المرابي وهو طرف حسي بالذي يتخبطه الشيطان من المس، أي صورة مركبة عقليا منتزعة من مركب خيالي لان هذا الوصف لا يدرك الا بالذهن والعقل(٤٠٩).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾(٤١٠).

فالطرف الأول في هذا التشبيه هو حسي، تمثل في (المبذرين)، والطرف

---

(٤٠٧) نهاية الايجاز: ١٩٠، ينظر: أساليب البيان في القرآن: ٢٨٣؛ والصور الفنية في المثل القرآني: ١٨٧.

(٤٠٨) البقرة: ٢٧٥.

(٤٠٩) يدخل البلاغيون في التشبيه العقلي ما يسمونه بالتشبيه (الوهمي)، وهو ما ليس مدركا باحدى الحواس الخمس الظاهرة، ولكنه لو وجد فأدرك لكان مدركا بها كما في قوله تعالى في شجرة الزقوم التي تخرج في أصل الجحيم: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾، الصافات: ٦٥.

ويدخل في العقلي أيضا ما يدرك بالوجدان، كاللذة والالم، أي هو ما يدرك بالقوى الباطنية، وقد سميت عقلية لخفائها وعدم ادراكها بالحواس الظاهرة.

علم البيان، د. عبد العزيز عتيق: ٤٦ــ٤٧؛ ينظر: علم البيان، د. بسيوني عبد الفتاح: ٣٠.

(٤١٠) الاسراء: ٢٧.

الآخر، عقلي تمثل بـ(إخوان الشياطين)، وهذه من المعاني الوهمية التي لا دخل للحس في ادراكها وقد استثمرت هذه الصورة. لتبعث في النفس كراهة وبغض.

إن بلاغة هذا الضرب من التشبيه مبني على جمال الاسلوب السياقي في طرح المعقول محسوسا وجعله كالاصل في ذلك المحسوس على طريق المبالغة استغلال المعاني الوهمية والصور الخيالية في إبراز المعنى المقصود، ومن ثم توظيفها في تحريك النفوس.

مصادر التصوير الفني في تشبيهات آيات الأحكام:

إنّ روافد الصورة الفنية للتشبيهات القرآنية متعددة، منها ما يتصل بالطبيعة وظواهرها ومنها ما استقي من واقع الحياة والتقاليد الاجتماعية، ومنها ما عمد إلى التصوير الخيالي.

وهي بذلك تستقطب مدارك الإنسان بحواسه وخياله، حيث سبك ذلك في قوالب صياغية، غايتها تقديم القدوة الحسنة للأنموذج الإنساني، ولذلك نلمح الاداء الفني العالي واللمحات المبتكرة في تلك التشبيهات.

فالتشبيه كما لمسناه، متعدد المشارب وهي في جدٍّ لتقريب الاشياء واظهار الحقائق واستخلاص القوانين والأحكام والتشريعات وبسطها بهيأة مقنعة ومؤثرة.

أولا: مصادر الطبيعة:

في قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤١١].

أن معرض الآية الكريمة، جاءت في احكام النكاح والذي يهمنا من هذه الآية هو الصورة التشبيهية التي وظفها النص، لإثبات الحكم الالهي، وهي تشبيه النساء

---

[٤١١] البقرة: ٢٢٣.

بالحرث، وهو تشبيه حذف فيه الأداة ووجه الشبه حتى انزلت النساء منزلة (الحرث) على وفق التشبيه البليغ.

إن المتأمل لكلمة (حرث) في سياق الآية يستطيع أن يستظهر دلالتهـا الفنيـة فالاصل اللغوي لـ(حرث) ينطوي على معنى (الزرع) و(الارض)[٤١٢]، وعلى هذا الأساس تظهر علة التشبيه، فكما الارض تعد للزرع لتثمر الثمر، وهي ثمار تتوقف عليها حياة الإنسان من حيث كونها غذاء لا بدّ منه كذلك أن النتائج المترتبـة علـى العلاقة الزوجية، تثمر الاولاد الذي يشكل مادة حيويـة لأجـل اسـتمرار التناسـل البشري، فكما أن ثمر المزروعات لا بدّ منه، لإدامة حياة الإنسان، فان ثمر الزواج لا بدّ لاستمرار وجود الإنسان والنوع البشري.

وبالتالي استطاعة الآية، أن توظف البيئة الطبيعية المحيطة بالانسان في تحديد ماهية العلاقة الزوجية في اطار الحكم المثبت.

والنص لم يتوقف عند هذا الجانب بل التفت إلى جانب تعبدي، بدلالـة سـياق النص الذي أعقب الشبه جملة من العلاقات تحمل ابعادا عبادية للعلاقـة الزوجيـة، وهي الغاية التي خلق الله سبحانه وتعالى، الإنسان من أجلها وهي خلافة الإنسان في الارض واستيلاد افراد جدد، وانشاء افراد صالحين للابقاء على ذكر الله جل شـأنه، ببقاء النوع البشري والذي يترتب على اتقاء الله سبحانه، مما يستوجب لقـاءه عـز وجل في اليوم الآخر، ثم المصير إلى الجنة والتي عبر عنها بالبشرى.

أما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾[٤١٣].

---

[٤١٢] فالحرث، مصدر الزراعة، ويطلق كالزراعة على الارض التي يعمل فيها الحرث. ينظر: لـسان العـرب: مادة (حرث) والميزان: ٢٢٢/٢.

[٤١٣] البقرة: ١٩٨.

أي أفضتم[٤١٤] من عرفات، دفعتم من عرفة إلى المزدلفة عن اجتماع. ويستفاد من موارد استعمال لفظ (الإفاضة)، توظيف صورة فيضان الماء، وتدفقه عن حد الامتلاء، مشاكلة لما عليه الحجيج حال وقوفهم في عرفات ونفرتهم منه، وهم من الكثرة ما تشبه تلك الصورة الهادرة بانسيابية ووفرة وهي من جهة أخرى تدل على أن الله سبحانه أمرهم بالإفاضة التي يريدها، من نبذ الحركة التي تتعارض مع مظاهر الخضوع والخشوع لله تعالى.

ونحو قوله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[٤١٥].

إنّ الصورة منتزعة من البيئة المحيطة بالانسان فالآية الكريمة تدل على رجحان خفض الصوت إلى حد معتدل لئلا يزعج بذلك الإنسان نفسه والآخرين، أي أن أقبح الأصوات (صوت الحمير)، أوله زفير وآخره شهيق، وشبههم بالحمير، كما شبههم بالانعام وهو مثال في الذم[٤١٦]. ومن جانب آخر، لاشك أن الإنسان إذا لم يغض صوته سيجهد نفسه وتتغير سمته وتظهر صورة أخرى لوجهه تكون غريبة، فأراد الله تعالى أن يبشع هذه الصورة فقرنها بصوت الحمير.

---

[٤١٤] افضتم: دفعتم بكثرة وهو إفاضة الماء. الكشاف: ١/٢٧٣؛ ينظر: التبيان: ١/٢٩٤ ومادة (فيض) تأتي بمعنى سيلان الماء مع الكثرة؛ مواهب الرحمن: ٣/١٧٩.

[٤١٥] لقمان: ١٩.

[٤١٦] ينظر: الجوهر الثمين: ٥/١٠٧.

ثانيا: التقاليد:

لا بدّ أن ننظر إلى الصورة المستوحاة من التقاليد والعادات في البيئة الجاهلية فهي مؤثرة ومعروفة لدى الجميع، وهنا نشير إلى التشبيهات التي طبعت بطابع العرف والتقاليد، والامثال.

فجاء النص القرآني. موظفا تلك الصورة الواقعية، التي عرفت عندهم وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾[٤١٧].

الآية من احكام اليمين تدل على حرمة نقض اليمين وحرمة اتخاذ اليمين وسيلة للخديعة مع إضمار النقض. والصورة التشبيهية جاءت لتدعم ذلك الحكم وتصور أن ناقض اليمين، كامرأة قريش الحمقاء واسمها (ريطة) كانت تغزل ثم تآمر بنقض ما غزلته، وكانت تسمى بخرقاء مكة، والمعنى الا تكونوا كخرقاء قريش، تؤكدون اليمين وتعقدونه ثم تخونون بنقضه[٤١٨].

إنّ الصورة التشبيهية جاءت توظيفا فنيا لأحكام الوفاء باليمين وما يترتب على نقض العهد، ونلمح في طرفي التشبيه، مستويات الأول، هو الوفاء بعهد الله والآخر الالتزام باليمين الذي جعل الله كفيلا، والمستوى الأخير، نقض اليمين واتخاذه دخلا، هذه المستويات هي الحقيقة التي أراد النص إمضاءها.

ومن جانب آخر، للنص ركنان هما، الحلف بالله تعالى المقترن بالعهد، والثاني الالتزام بالعهد المبرم مع الآخرين، وبهذا حقق النص درجة عالية من الالتزام الذي يجب عدم نقضه.

أمّا الطرف الآخر، من التشبيه، هي صورة نقض الغزل، والناقضة له امرأة

---

[٤١٧] **النحل: ٩٣.**

[٤١٨] **ينظر: تفسير آيات الأحكام، الايرواني: ٤٥٥/١.**

معروفة لدى السامع في ذلك العصر، والمتأمل لهذه الصورة انهـا صـرفت جهـدا ملحوظا وأضاعت وقتا وهي لا تدرك ماذا تفعله بالنقض، وهذا مؤشر أن النـاقض للعهد، فاقد للإدراك، لا يدرك معنى ابرام العهد ثم نقضه.

إلا أن النص القرآني، أشار إلى نمطٍ من الناس، يتـسمون بطـابع المكيـدة، والخداع، بمعنى أنهم حينما يبرمون عهدا، إنما يبرمونه مكرا وخديعة وهذا يوضـح تداعيات الصورة، التي تظل تفرض فاعليتها، مما يكشف أهمية التـشبيه المرشـح. وهو من ثم، ينظر إلى نتيجة واحدة، تفضي إلى الجزاء المترتب على ذلك النقض.

أما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾[٤١٩]. ابرز الـنص القرآنـي صورة مستقاة من معتقدات العرب وهي صورة الشياطين فلطالمـا كـان العـرب يخشون من الجن والشياطين ويستبشعون ما ينتظم في سلك ذلك الاعتقاد، وأن مـس الشياطين معروف عند العرب وجار في كلامهم.

فان مادة الصورة قائمة على الـ(ربا)، وتأتي بمعنى الزيادة ولها اسـتعمالات كثيرة في القرآن الكريم. والمراد في هذا النص هو ذلك التعامل المالي بين النـاس هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن مادة (خبط) تأتي بمعنى المشي على غير استواء ومحلها هنا، يتخبطه الشيطان من المس، تتابع سقوطه بحيث فقد رشده، أما (القيـام) هو خلاف القعود. ونلحظ في هذا المقام أن (القيام) عند العلماء، على صنفين[٤٢٠].

الأول: هو القيام في عرصات يوم القيامة فيكون المرابي علـى هـذه الهيـأة ويعرف على رؤوس الخلائق بهذه الصفة.

أما الآخر، هو أن لا يقوم في أمور المعاش والحياة بالوجه الـصحيح والـنهج

---

[٤١٩] **البقرة: ٢٧٥.**

[٤٢٠] **ينظر: الجوهر الثمين: ٢٧٩/١؛ مجمع البيان: ٣٨٨/١؛ وتفسير التبيان: ٣٥٩/٢.**

القويم ذلك أن الله تعالى أودع في الإنسان قوة، يميز بها الخير من الشر وبها ينظم شؤون حياته باتساق وانتظام، فإذا اختلت هذه القوة الداركة المميزة اختلت أفعاله وحركاته، كالمصروع الذي فقد التمييز.

وبهذا يكون مس الشيطان موحيا لاختلال نظمه وخبطه في جميع أموره. وهذه الصورة تظهر جلية يراها الناس جميعهم في يوم القيامة،لأنه عالم الظهور وكشف الحقائق فيحشر المرابي كالمصروع[٤٢١].

فان المرابي في أخذه الربا، من الأفعال التي ليس فيها خير أو نفع وهو خلاف ما تدعو إليه الفطرة المستقيمة والعقل، لذلك جاء هذا التشبيه متناسبا مع الفعل.

وللنص دلالة أخرى، ذلك أن الآية بدأت باستعارة، متمثلة في احد أطراف التشبيه وهي (أكل الربا) وان عملية اكل الأموال الفاسدة من شأنها، أن تحدث فسادا في جسم الآكل لها مما يؤدي إلى فساد أفعاله، ومن ثم تنعكس على سلوكه الخارجي.

الا أن المحصلة لهذه الصورة بدلالاتها هي اثرها على المتلقي لما تثيره من اشمئزاز وسخرية وإشفاق لهذه الحالة العشوائية التي تصيب الإنسان (المرابي)[٤٢٢].

ثالثا: الخيال:

إن للخيال قدرة فاعلة في توليد الصور ورصد المشاهد، وله اثر كبير في الابداع والخلق، وفي جمال التصوير وفنيته، فهو وسيلة مهمة من وسائل التصوير الفني في تخطي حدود الواقع وانشاء العلاقات الجديدة بين الاشياء ومن هنا تتميز ذاتية الخيال.

وفي آيات الأحكام، نرصد صورا خيالية، على سبيل المثال، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

---

[٤٢١] ينظر: مواهب الرحمن: ٤/٤٣٦.

[٤٢٢] ينظر: دراسات فنية في صور القرآن: ٦٧.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾(٤٢٣).

الآية الكريمة تنصب في الحديث عن الغيبة وتجنبها (فالغيبة) كما هــو معــروف سلوك عدواني. يتخذ من الاداء اللفظي آلة للتعبير عن ذلك السلوك والنزعــة الــسلبية، متجسدة في الإساءة إلى شخص غائب عن المجلس الذي اغتيب فيه.

والملاحظ أن دلالة لفظة (الغيبة) داخل السياق، لها مفهومان، المفهــوم الأول هي النزعة العدوانية، أما المفهوم الثاني: هي إشاعة الشر من خلال فضح الآخرين وتحطيم أواصر المحبة والتسامح.

وإذا تأملنا التشبيه، تتضح العناصر الفنية المنتخبة في الصياغة الصورية وهي (الأكل، اللحم، الميت، الأخ).

فالأكل هو إشباع لأهم حاجة حيوية عند الإنسان، وان انتخاب (اللحم) لكونــه الاشهى، ثم تتحول هذه العملية إلى ابشع صورة من خلال أن اللحم لــ(ميت) وتزداد بشاعة كونه لــ(أخ). ودلالة الاخير جاء لإلقاء الضوء على أن المجروح والجارح. داخل اطار اجتماعي يتصف بالإخوة.

فقد تدرجت الصورة في منازل البشاعة حتى وصلت إلــى ذروة الاشــمئزاز والقرف بعد أن تكاملت الصورة بلحاظ (فكر هتموه).

ونلمح أهمية الصورة التشبيهية التي نسجها النص بالوقوف عند أعلى درجات الاشمئزاز التي تصيب الشخص. ومن ثم تحفيز حواس المتلقي إزاء ذلــك المنظــر المرعب، فقد وجه النص المخيلة، لإثارة اشد درجات النفور والكراهــة لممارســة الغيبة.

---

(٤٢٣) الحجرات: ١٤.

وفـــي قولـــه تعـــالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾[٤٢٤].

نقف عند هذه الآية الكريمة مرة أخرى. وفيها ضرب من التشبيه البليغ الذي عمد النص على إيراده في إثبات قبح المبذر واسراف أمواله، وإتلافها في غير وجه حق.

إن الصورة التشبيهية المتمثلة بـ(إخوان الشياطين) هي من ضروب الخيال، أو غير الواقع، وان تآخي الإنسان مع الشيطان من قبيل المذمة بل غاية الاستهجان فالصورة منتزعة من مصدر وهمي أو خيالي قصد إلى تشبيه المبذر بها وهو حقيقة وواقع.

و(أخوان الشياطين) لدى المفسرين، يعني أنهم في حكمهم إذ المبذر ساع في الفساد كالشيطان وقالوا انهم قرناؤهم في الدنيا والآخرة[٤٢٥].

ومن ذلك كله، نخلص إلى أن الغرض من التشبيه بوصفه العام، هو الإيضاح والبيان مع الإيجاز والإثارة.

والملاحظ من استقراء النصوص القرآنية لآيات الأحكام والتأمل فيها، أن التشبيه لم يكن يقصد اليه بوصفه فنا بيانيا، بل بوصفه حاجة ادائية لإتمام المعنى وعنصرا أساسيا لإكمال التركيب الصياغي ووسيلة شعورية فاعلة لأحداث الإثارة.

كما هو في بعدها التبليغي، فان المتتبع لهذه النصوص، يلحظ الصورة التشبيهية وهي مقترنة بإشارات فنية في ميدان صياغة الصورة وتشخيص نمطها.

ولا تقف عند تلك الصياغات الفنية، بل تتعدى إلى هدف تبليغي هو الاسمى والمراد تحقيقه، والذي يسعى من وراء التشبيه إلى اثباته والمتمثل في اقرار حكم شرعي، أو إثبات قانون سماوي.

---

[٤٢٤] **الاسراء: ٢٧.**

[٤٢٥] **ينظر: تفسير القرطبي: ١/٢٤٧.**

فالتشبيه استطاع أن يحقق تلك الغاية، من خلال طرفي التشبيه أو مـــن خـــلال وجه الشبه، أو بواسطة اداة الشبه[٤٢٦].

وأيضا نلمس البعد الاحتجاجي في بعض الآيات، يطغى على الجانب التشبيهي، فقد وظف التشبيه توظيفا استدلاليا، عقليا، لسن القوانين والإحكام الإلهية، وتتجـــسد الأهمية الفنية للعنصر الاستدلالي كونه يقوم على المحاججة العقلية التي تعتمد ما هو حسي أو عقلي من الظواهر والأفكار، فالصورة الاستدلالية تعتمد على احداث علاقة بين طرفين يستدل باحدهما على الآخر.

وتتضخم الأهمية الفنية، لفن التشبيه، حينما يقترن بـــأدوات أخـــرى أظهرهـــا عنصر الترغيب والتنفير، لما لهما من أثر على الانفعالات النفسية للإنـــسان، فـــان الولوج من خلال نافذة التأثير النفسي، يحقق المطلوب من دون عناء[٤٢٧].

---

[٤٢٦] نلمح لهذا الغرض نماذج موفورة، نحو قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنْ النَّعَمِ﴾. المائدة: ٩٥.

[٤٢٧] وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنْ النِّسَاءِ﴾. الاحزاب: ٣٢.

المبحث الثالث

التصوير الاستعاري

إن الحد الاستعاري ومفهومه ورد عند البلاغيين عدة تعريفات للدلالة الاســتعارية، أو المصطلح الاستعاري[٤٢٨]، تجاه الدلالة اللغوية[٤٢٩].لتميزها بمفهوم خاص يحــدد فــن الاستعارة، متجلية في ثلاثة اعتبارات، الأول مزج بــين الوضــع اللغــوي، والمــدلول الاصطلاحي[٤٣٠]، أما الثاني فقد فصل بين الوضع اللغوي، والمدلول الاصطلاحي[٤٣١]، أما الثالث فقد وقفت عند الصيغة الاصطلاحية فحسب[٤٣٢].

يبدو أن فن الاستعارة لم يأخذ دلالته الاصطلاحية، ولم يكتسب صيغته النهائية، الا بعد أن تجاوز به العلماء مراحل، وهو في طريق الاصطلاح. وقد تبين من تعقب هذا الفن، أن المصطلح تطور بشكل تصاعدي على أيدي البلاغيين، مما نظر لهــذا الفن منحى خاص يسير وفق البيان البلاغي، باتجاه قويم يعطي ذائقة لغوية، وميــزة فنية، تسجل له.

إنّ المشترك الذي يجمع آراء العلماء، هو توليد دلالة جديدة لم تجعل في أصل

---

[٤٢٨] **الاستعارة هي: استعمال لفظة في غير ما وضعت له في الأصل لعلاقة قائمــة بــين المعنيــين الاصــلي والمجازي، هي علاقة المشابهة مع قرينة ملفوظة او ملحوظة تمنع ارادة المعنى الحقيقي الذي وضع اللفــظ له: أساليب البيان في القرآن: ٤٥٩.**

[٤٢٩] **الاستعارة مأخوذة من العارية، وهو اسم من الاعارة، أي نقل الشيء من شخص إلى آخر لتصبح تلــك العارية. ينظر: مادة (عور) في لسان العرب، والقاموس المحيط، والصحاح.**

[٤٣٠] **ونلحظ ذلك جليا في تعريف الجاحظ، (ت٢٢٥هــ)، أن الاستعارة هي تسمية الشيء باسم غيره إذا قــام مقامه. البيان والتبيين: ١/١٥٣.**

[٤٣١] **ونلمح ذلك عند ابن قتيبة (ت٢٧٦هــ). تأويل مشكل القرآن: ١٠٤؛ وكذلك عند ثعلب، (ت٢٩١هــــ)، هو أن يستعار للشيء اسم غيره أو معنى سواه. قواعد الشعر: ٤٦.**

[٤٣٢] **ويلاحظ ذلك عند الجرجاني(ت٣٦٦هت)، فيقول: ((الاستعارة ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل، ونقلت العبارة وجعلت في مكان غيرها، وملاكها تقريب الشبه)) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٤١. وهــو بهذا التعريف اكثر دقة وشمولا، من غيره وتعامل مع هذا الفن بشكل واسع ومفصل. ينظر: دلائل الاعجــاز: ١٣٦ــ١٣٧؛ ينظر: اسرار البلاغة: ٥٠ــ٥١.**

اللغة من خلال نقل المعنى من لفظ إلى لفظ آخر، واستحداث مدلول جديد في اللفظ غاية هذه الصياغة، هو الإبانة والظهور والتوسع في استعمال الألفاظ والمبالغة في أداء المضمون.

وعلى الرغم من كثرة تعريفات الاستعارة الا انها تدور، حول استعمال اللفظ في غير ما وضع له. لوجود علاقة مشابهة بين المعنيين.

فالاستعارة تقوم على التخييل، ومن هنا فإنها لا تخضع لمنطق العقل البحت.

فهي من الوسائل المهمة في التصوير البياني، لأنها تقوم على الانتقال الدلالي بين الألفاظ، أو الركون إلى لغة الإيحاء بعد أن تتجاوز لغة الدلالة، فهي أعلى مرتبة من التشبيه، وأقوى أثرا[٤٣٣].

وبهذه المجازية في الاستعمال، يتهيأ للمتلقي مجال أرحب في المعرفة والتأثير والانتقال إلى دلالات أوسع، تظهر من خلالها براعة المنتج ومهارته. وقوة مخيلته على تشكيل الصور الأكثر نضجا وتفننا، والتي تتعدى بها إطار المألوف. وهذا ما أدركه عبد القاهر بقوله: ((وانك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد حتى تراها مكررة في موضع، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد وشرف منفرد))[٤٣٤].

ويبدو أن عملية تشكل الصور الاستعارية، (عمل مركب فيه تعقيد)[٤٣٥]، يسعى المنشئ عن طريق الموجودات والمدركات الحسية إلى خلق علاقات صورية مخيلة بعيدة عن خاطر المتلقي، تتحقق بها الغاية الجمالية والتأثيرية.

فالاستعارة الحسنة، هي ما اشتملت ((على الإدراك الحدسي، لسر التجانس في الأشياء غير المتجانسة))[٤٣٦].

---

[٤٣٣] **دراسات في النقد الأدبي: ٢٠.**

[٤٣٤] **أسرار البلاغة: ٤١.**

[٤٣٥] **أدب العرب في عصر الجاهلية: ٧٩.**

[٤٣٦] **الشعر والتجربة: ٩٧.**

ومن خلال هذا المركب، امتلكت الاستعارة مقدرة على توليد معان جديدة تتجاوز الواقع، إذ تعتمد على قوة التصور والخيال البعيد. نظير وجوه البلاغة المختلفة. التي تعد ((من وسائل الإيحاء بالحقيقة عن طريق الخيال، فهي نوع من البراهين التي تلقى قبولا عاما))[٤٣٧].

ومن هنا تتبلور غاية الصياغة الاستعارية في تأكيد المنشأ للمعنى المراد إيصاله إلى المتلقي واحداث الاستجابة الملائمة، عن ((طريق المبالغة في اثبات تحقيق الصفة فيه))[٤٣٨]، إذ أن الاستعارة لا تكون الا للمبالغة والا فهي حقيقة.

التصوير الاستعاري في آيات الأحكام:

تـُعد الاستعارة من أظهر وسائل البيان العربي في مجال التصوير الفني لقابليتها الخاصة على التوفيق بين الأضداد والجمع بين المتخالفين، والكشف عن مداليل جديدة في سياق التعبير القولي، لا يدركها ذهن السامع في الاستعمال الحقيقي أو الأسلوب المباشر التقريري.

ويبدو أن النصوص القرآنية، كشفت عن قيمة هذا الفن وأصالته في جملة السياقات القرآنية للصياغة الاستعارية، الذي اكسب النص قوة فنية ومتانة في التعبير، لا تقوم مقامها صياغة أخرى ولا يشاكلها تعبير مماثل.

فان استعمال الاستعارة بمفهومها، في آيات الأحكام، يجسد حقيقة الإعجاز القرآني، فلا تضاد ولا تناقض بين العلاقات الجديدة بين الألفاظ في الاستعارة وبين الحكم الشرعي، الذي يريده الله تعالى، فالاستعارة تسبغ على ذلك الحكم وشاحا فنيا من الجمال والتأثير.

ويكشف الاستقراء الاجرائي للنصوص القرآنية، لآيات الأحكام، حضور الصور الاستعارية، إذ أمد التصوير الاستعاري النص بصياغة فنية فريدة، ومشاهد

---

[٤٣٧] **النقد الأدبي الحديث: ١٢٨.**

[٤٣٨] **الاسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ٢٢٠.**

مبتكرة، وصور جمالية، أسهمت في توسيع لغة النص، معربة عن معـــانٍ ودلالات متنوعة وجديدة، مستثمرة هذا الفن، استثمارا خاصا في منح النص امكانيـــة علـــى التأثير والتفاعل بدرجة عالية.

أولى الظواهر التي يلمحها الباحث في التصوير الاستعاري، تنوع مآخذ الـــشبه الاستعاري، التي ألقت بظلالها على المعنى العام لسياق الآية ويمكن تجـــسيده فـــي الأمثلة التالية:

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٤٣٩].

هذه الآية من الواجبات في كتاب الله عز وجل، دالة على لزوم الاعتصام بحبل الله تعالى[٤٤٠]، فقد تضمنت الآية المباركة رؤية فنية في إطار الوظيفة الافهاميـــة أو التبليغية، دفعت بها دلالة الاستعارة التصريحية في هذه الآية[٤٤١].

ونستوضح ذلك من تتبعنا للفظة (الحبل) داخل سياق الآية، فهذه اللفظة واضحة المعنى، إلا أنها انطوت على أسرار فنية، فقد ترشحت منهـــا عـــدة دلالات، حيـــث استعار النص عبارة (الحبل) لله سبحانه وتعالى، ليشير بها إلى مبادئه.

إنّ العلاقات الجديدة بين الألفاظ في الاستعارة تسمح بتوسيع الدلالـــة وتكـــسب الألفاظ قدرة هائلة على الإيحاء بالمعاني الجديدة، ومن هنا فان (حبل الله) الوارد في

---

(٤٣٩) آل عمران: ١٠٣.

(٤٤٠) ينظر: تفسير آيات الأحكام، الايرواني: ٨٥٧/٢.

(٤٤١) الاستعارة: هي احد أقسام الاستعارة من جهة حذف احد طرفي الاستعارة فتقسم إلى قسمين التـــصريحية والمكنية، فالتصريحية التي يصرح بها بلفظ المشبه به دون المشبه. ينظر: أساليب البيان في القرآن: ٥٢٦.

الآية، سمح للمفسرين توسيع دلالته بين القرآن ومبادئ الله[٤٤٢].

فالحبل[٤٤٣] هو الأداة التي تشد بها الشيء أو يربط بشيء ما. للمحافظة عليه من الضياع، ومن جهة أخرى. أن هذه الاستعارة ترسم صورة في الذهن، فكان التمسك بهذا الحبل الوثيق المأمون الانقطاع هو المنجي، وان انقطاعه من مكان التدلي هو سبب التهلكة والموت.

ومن ثم نقل النص هذه الصورة الاستعارية إلى ظاهرة اجتماعية غايتها حفظ الصف المسلم وعدم تفرقته.وأيا كان الفهم (لحبل الله)، فالكل يقود إلى التوحيد دينيا واجتماعيا، وبهذا تكون الاستعارة هي التي يسرت هذه المعاني في هذه الجزئية من النص.

لم يتوقف النص عند هذه الظاهرة، بل تعدى إلى دلالة أوسع، تتعلق بمصير المؤمنين دنيويا وأخرويا، من خلال تتبعنا للكتلة السياقية لموضوع الآية.

فقد بنيت موضوعاتها على اساس هذه الاستعارة، وهي نعمة الله، وكنتم أعداء، فألف بين قلوبكم، اخوانا، شفا حفرة من النار، فأنقذكم.

هذه الموضوعات تتحدث عن حالتين هما قبل الإسلام وبعده. فالحالة الأولى، أشارت إلى العداء بين الناس قبل الاسلام[٤٤٤]، إذ كان يحارب بعضهم بعض، وهو بذلك يشير إلى انعدام الامن والفوضى التي تعم الجميع، نتيجة لانعدام التشريعات والاحكام التي تنظم حياتهم، ومن جهة أخرى، لم يشر النص إلى مدعاة العداوة. فهي مطلقة وان اطلاق العداوة هو الذي، جعل عبارة (الحبل) في بداية الآية تكون متعددة

---

[٤٤٢] اختلفت الروايات والتفسيرات الواردة حيال (حبال الله)، مثل المقصود القرآن وهو جزء من مبادئ الله أو الشريعة الإسلامية، أو التمسك باهل البيت Δ، أو مجموعة الكتاب والسنة. ينظر: تفسير آيات الأحكام، الايرواني: ٨٩٧/٢.

[٤٤٣] ينظر: لسان العرب: مادة(حبل).

[٤٤٤] هذا النص يعود بالمتلقي، إلى طبيعة حياة العرب قبل الإسلام. حيث الغزو والغارات فضلا عن أساليب نظامهم الاجتماعي الذي يقوم على القبيلة وما تفرزه من عصبية. ينظر: مقدمة ابن خلدون: ١٢٥؛ ينظر: تفسير المنار: ٤٥/٥؛ الاوضاع التشريعية: ٤٤؛ ومدخل لدراسة الشريعة الإسلامية: ١٦ــ١٧.

الدلالات لتوافق العداء الذي كان بينهم.

أمّا الحالة الثانية: هي مجيء الإسلام، وهي نعمة الله على عباده، حيث جمع القلوب، وجعلهم أخوة، وهي إشارة إلى الإخوة الإسلامية التي يجب أن تكون ركنا في قوام المجتمع الصحيح.

ومن هذا نلحظ أن هذه المواضيع لم تنفك عن الاستعارة التي شكلت النقطة المحورية للآية.

ويبدو للباحث، أن النص القرآني في هذه الآية الكريمة، بدأ بأمر الله سبحانه وتعالى، بـ(الاعتصام بحبله) ثم انتهاءً بـ(الإنقاذ) الإلهي، وهو تأكيد على فضل الله أولا وأخرا.

فبدأ النص بتسلسل موضوعي، فالأصل هو التمسك بحبل الله، ثم بين الله تعالى، بعضا من نعم التمسك بهذا الحبل، ومنها الالفة بين قلوب المسلمين والأخوة والنجاة من النار.

واحسب، أن لهذا التركيب دلالة فنية وقيمة معنوية تكشف عن رصانة في البناء الهندسي للمضمون وتكثيف للمعنى والهدف المطلوب.

لم يتوقف النص عند هذه الاستعارة، بل نجده قد أردف الكتلة التعبيرية للآية، باستعارة أخرى متمثلة في قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾،فقد شبه العداوة، بشفا حفرة من النار. فاستعير لفظ المشبه به (شفا حفرة) للمشبه (العداوة)، على سبيل الاستعارة التصريحية.

والاستعارة هنا أبلغ، لأنه اعتمد على الإيحاء بالإشارة إلى العداوة، (فشفا حفرة النار) هو الذي يوقع المخافة من النفس أكثر مما توقعه لفظة العداوة، فالتعبير بهذا اللفظ تأكيد للهلاك الذي لا يوفره اللفظ الحقيقي.

واجد أن هذه الاستعارة مرتبطة فنيا وموضوعيا، بالأولى حيث أن (الحبل)

يكون مأمونا متى ما تمسك به المؤمنون في جنب الله تعالى، وإذا انقطــع بتفــرقهم فيكون في النار.

فهناك علاقة بين استعارة (الحبل) و(النار) التـــي أنقــذ الله تعــالى المــؤمنين وبالتالي نجد أن الدلالة الاستعارية، قد منحت النص فعلا وحركة، الأمر الــذي أدى وظيفة تأثيرية لدى المتلقي.

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٤٤٥].

الآية الكريمة من آيات أحكام العهد، وتدل الآية على وجوب الوفــاء بـــه[٤٤٦]. والذي يهمنا هنا، هو التعرض للاستعارة المكنية[٤٤٧]، في هذه الآية الكريمـــة، فقــد سيقت هذه الآية عقب كتلة سياقية جاءت لبيان ما استنكره الجهلـــة والــسفهاء مـــن الكفار، واستغربوه، من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبا بها المثل[٤٤٨]، ثـــم أعقب هذا السياق، بالآية التي نحن بصددها، فوصف المنـــافقين[٤٤٩]، بـــــ(الــذين ينقضون عهد الله) على سبيل الاستعارة، فجاءت لكشف المعنى وبيان الغاية.

فـــ(النقض) هو الفسخ، وفك التركيب. وقد ساغ استعمال هذا اللفــظ لإبطـــال العهد، فدلالة النقض تدل على أن العهد هو (الحبل) جاء على سبيل الاستعارة، فقــد سكت النص عن ذكر الشيء المستعار (الحبل) وأشار اليه بذكر شيء من لوازمه أو

---

[٤٤٥] **البقرة: ٢٧.**

[٤٤٦] **في تفسير آيات الأحكام: ٤٦٢/١.**

[٤٤٧] **الاستعارة المكنية: هي ما حذف فيها المشبه به. ورمز له بشيء من لوازمه، وذلك بان يستعار اولا لفظ المشبه به، ثم يحذف ويرمز اليه بشيء من لوازمه وهو ما يسمى بالاستعارة المكنية. أســاليب البيــان فـــي القرآن: ٥٣٤.**

[٤٤٨] **الكشاف: ١٣٩/١.**

[٤٤٩] **ينظر: مقتنيات الدرر: ١٠٣/١.**

روافده (النقض) لينبه الذهن على وجوده[٤٥٠]،

إذن الدلالة المستوحاة من التصوير الاستعاري في هذه الآية، هـي أن إبـرام العهد بين اثنين لا يتم حتى يستوثق كل منهما الآخر. ويحكمان عهدهما كما الحبـل لما فيه من ثبات الوصلة بين تراكيبه ونسجه، فيربط بعض أجزاء الحبـل بـبعض، كذلك المتعاهدين تأكيدا للأمر وتشبيها له[٤٥١].

ويظهر للباحثة أن لفظة (حبل) على اختلاف دلالتها في الاستعمال سواء صرح بها. كما في الآية السابقة، أو رمز لها في هذه الآية.

يوجد فيها رابط معنوي يكمن وراء هذه اللفظة في الاستعمال القرآنـي، وهـو (القوة) فالقوة التي تظهر من تمسك المؤمنين (بحبل الله، والاعتصام به، هي نفـسها التي تظهر هنا في (عهد الله)، ونقض هذه القوة سيقود حتما إلى أن يصبح الناقضون خاسرين، كما ورد في ذيل الآية المباركة.

ويلاحظ أن تآزر مفردات سياق الآية الكريمة، بين لنا عمق المعنى الذي يريده القرآن، فقامت الاستعارة بتوكيد المعنى توكيدا، نحس به من خلال هـذه العلاقـات التي قامت بين الألفاظ.

وأحسب أن التأكيد على (الحبل) هو لترابط نسجه والتحام تراكيبه، والتي تنـسحب على المعنى العقلي (الوفاء) به، وهو بذلك يومئ إلى قوة ربط هذا الحبل، كقوة العهـود، والعقود، والنذور، والإيمان وفك ترابطه هو ضعفه، وأعطال فائدته كآلةٍ.

ومن ثم استطاع التصوير الاستعاري، أن يرفع الحجاب عن الغرض المطلوب في الالتزام بالعهود.

لم تتوقف الآية عند هذا الحد في التوظيف الاستعاري، بل نجد أن هناك صورة استعارية أخرى، تؤدي الغرض نفسه والكشف عن المحتوى التبليغي، متمـثلا فـي

---

[٤٥٠] **ينظر: الإشارة إلى الإيجاز: ٦٩؛ ينظر: أساليب البيان في القرآن: ٥٠٧.**

[٤٥١] **ينظر: البرهان، الزركشي: ٤٣٩/٣.**

(القطع والوصل)، فقد استعير القطع وهو معنى حسي، إلى ترك البر وهو معنى عقلي، وهنا تكون الاستعارة أبلغ، لأن ما يقع عليه الحس أقوى أثرا وتوكيدا، لما لم يقع عليه الحس، فصار إثبات الأمر العقلي من طريق الحواس، بفعل الاستعارة التي استثمرت هنا.

والقطع، هو الفصل بين الشيئين واصل ذلك في الاجسام[٤٥٢]، واستعيرت هنا، ((لقطع ما أمر الله به أن يوصل، أي يقطعون ما أمر الله بوصله، وهو يشمل كل قطيعة لا ترضي الله))[٤٥٣].

والوصل هو الجمع بين الشيئين من غير حاجز[٤٥٤]، وعلى هذا تتحقق الصور، الاستعارية من خلال الدلالة المجازية، لكل من القطع والوصول، فاستعيرت من المحسوس، لإثبات امر عقلي، موظف الدلالة الفنية، في التعبير عن اعمال البر، وهي تشمل كل ما يرضي الله وصونها.

واحسب، أن ثمة تلازما بين الاستعارتين، أو رابطا بينهما حرص النص على انسيابية المعنى وتوافق الصور الفنية، فكما (الحبل) بنقضه يحوله إلى أجزاء، كذلك قطع أي شيء يجزئه، وهو الخسران بعينه والعكس صحيح.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٤٥٥].

الآية الكريمة من إحكام العهد، والوفاء به وبالإيمان[٤٥٦]. في هذا النص الشريف، استعارة تصريحية. في لفظة (يشترون) أي الذين يستبدلون (بعهد الله)، أي

---

[٤٥٢] ينظر: مجمع البيان: ٦٩/١.

[٤٥٣] ينظر: مقتنيات الدرر: ١٠٣/١.

[٤٥٤] التبيان: ١١٩/١.

[٤٥٥] آل عمران: ٧٧.

[٤٥٦] تفسير آيات الأحكام، الايرواني: ٤٥٣/١.

امر الله عز وجل. وما يلزمهم الوفاء به في الحياة الدنيا بالآخرة[٤٥٧].

فقد استعير الشراء للاستبدال، بجامع الحصول على أفضل الفائدة، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الأصلي وهي (عهد الله) لفظية[٤٥٨]. وقد قرنت هذه الاستعارة بما يلائم المستعار منه وهو الشراء، من الثمن القليل.

إنّ التصوير الاستعاري في هذا النص، اتسم بالوضوح، فقد استعار من إحدى المعاملات التجارية، صفة(البيع والشراء) وخلعها على ظاهرة معنوية، تتصل بالوفاء بالعهد وعدم الكذب بالأيمان.

والقيمة الفنية لهذا النص تلحظ من خلال الاستعارة المشار إليها في سياقه فجاءت تبين لما كان عليه النص.

وردا على أولئك الذين يظنون أن سلوكهم الاجتماعي السلبي قد ربح الموقف وحقق الغاية(باستبدالهم الوفاء بالعهد بالكذب بالأيمان) في الحياة الدنيا،وهو ثمن قليل من حطام الدنيا، فخسرت صفقتهم ولم تربح تجارتهم فجاءت الاستعارة متناسبة مع عملية البيع والشراء وحسابات الربح المترتب عليها لدى هؤلاء،وبين الوفاء بالعهد وحفظ الأيمان.

فالعمل التجاري يستهدف كسب الإرباح وإشباع الحاجة لدى البائع والمشتري،إلا أنهم أخطأوا الحساب،لأن غاية الربح هو عقب الدار وطريقة الوفاء بعهد الله،في حين أنهم اشتروا حطام الدنيا،وهذا منتهى الخسارة.

ذلك أن الربح هو قيمة ما يحصل عليه الإنسان في النهاية،وليس الربح الآتي لضرب واحد من البيع والشراء،فالحياة لا تنهض وحدها،وإنما لا بد من الحياة الآخرة التي يعرف بها ربح الدنيا وخسارتها، وهنا تظهر الخسارة الحقيقة لمن يشتري بعهد الله الحياة الدنيا، ثم بين الله تعالى بعضا من وجوه تلك الخسارة،فضلا عن الثمن القليل المشار إليه، فلا خلاق لهم،وهي إحدى المداليل التي تؤكد مستوى

---

[٤٥٧] **ينظر: الميزان: ٢٩٩/٣، مقتنيات الدرر: ٢٢١/٢؛ تفسير البرهان: ٦٤٢/١.**

[٤٥٨] **ينظر: الكشاف: ٥٦٥/١؛ الجوهر الثمين: ٣٣٩/١؛ التبيان: ٥٠٦/٢.**

الخسارة التي تصيب هؤلاء،أي لا نصيب لهم،وقد قدمت هذه العبارة على غيرها لتناسبها مع دلالة الاستعارة.

وفي قوله تعالى:﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾[٤٥٩].

الآية الكريمة الواردة بشأن أحكام اليتامى[٤٦٠]،والتصرف بأموالهم والذي يعنينا في هذه الآية،هي الدلالة الفنية، التي تنتسب إلى التصوير الاستعاري، متمثلة في قوله تعالى:﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾،وأن معرض حديث النص، ينصب حول أموال اليتامى، حيث((يطالب أولياء اليتامى بالحفاظ عليها وبعدم التصرف فيها... بمنع الأكل، أو العمل في مال اليتيم بقصد التجارة والاسترباح،واستبدالها بالرديء))[٤٦١].

فالطيب الحلال، والخبيث الحرام، والأول ما تتقبله النفس،والثاني تعزف عنه،وهكذا يؤدي هذا التعبير إلى الالتزام بأمر الله تعالى، من خلال سياق فني يقوم على الفكرة والروية، لما يمكن أن يحصل للإنسان لو لم يلتزم بما قررته الآية.

ومن جانب آخر ،تستوقفنا كلمتا(الخبيث)و(الطيب) اللتان مثلتهما الاستعارة، والملاحظ أن هاتين اللفظتين، تتصلان بشكل أو بآخر ،بسمات النفس الانسانية أو السلوك النفسي لدى الانسان، الذي يتصف بخبث الطبع أو طيبته.

فقد خلعت الدلالة الاستعارية ،صورة نفسية على ظاهرة مالية بحتة، وإذا ما دققنا النظر في العلاقة بين خبث المال وطيبته،وبين خبث النفس وطيبتها، نجد أن المال هو أداة مسخرة في يد الإنسان،وأن طيبة النفس في استعمال المال سيولد، مالا طيبا وأن خبث النفس في الاستعمال سيؤدي إلى مال حرام خبيث،ومن ثمّ أوجد

---

[٤٥٩] النساء:٢.

[٤٦٠] ينظر: تفسير آيات الأحكام، الايرواني:١٠٢٣/٢.

[٤٦١] ينظر: المصدر نفسه:١٠٢٣/٢.

النص، علاقة شعورية بين المتلقي ومضمون النص، الذي ولد نوعا مـــن الانفعـــال والتأثير، أدت فيه الاستعارة وظيفة إفهامية وبعدا جماليا للنص.

وقد ذهب الدكتور محمود البستاني إلى تفصيل هذه الآية وتحليلها،مـــستنتجا أن هذه الصيغة الاستعارية، تؤدي عملا عباديا،مادام الإنسان يـــستخدم (المـــال) أداة أو وسيلة في استمرار حياته،وأن حياته تظل مرتبطة بالعمل العبادي، ولابد أن تكـــون الأداة نظيفة[٤٦٢]. وهذا التحليل على قيمته،إلا أننا نرى أن ارتباط المال بالنفس هـــو المحرك الأساس لصلاحه أو فساده.

وفي قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾[٤٦٣].

جاءت الآية في معرض الحديث عن كفارة الصيد في حالة الاحرام،متمثلة في تقديم الهدي أو إطعام مساكين أو الصوم.

والمتأمل في الآية، يجد أن النص القرآني أردف الحكـــم بتعقيـــب فنـــي عـــن صاحب الكفارة ،وهي(ليذوق وبال أمره)، حيث شكل صـــورة اســـتعارية واضـــحة محققة وظيفة ابلاغية لدلالة بيانية تأثيرية،والملاحظ أن(التذوق) هو حاســـة طبيعيـــة لدى الإنسان، يتذوق بها الطعام ليميز بها أنواع الأطعمة،ويحدد قبولها مـــن عدمـــه. وفي هذه الآية خلع النص القرآني حاسة(التذوق) على ظـــاهرة جزائيـــة،وهو أمـــر عقلي، فالمذاق هنا ليس محسوسا باللسان،وإنما هو أمر معنوي، يقصد منه ما يـــشق على نفس الإنسان أن تتقبله ويضعف وجدان الحاج عن تحمله،ومن ثم يـــستطيع أن يميز العقوبة.

---

[٤٦٢] **ينظر: دراسات فنية في صور القرآن:٩٥.**

[٤٦٣] **المائدة:٩٥.**

فهذه الصورة الفنية تحدد ملامح الصائد، حالة الاحـرام بأنـه(يـذوق وبـال أمره)،أي(ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام،وبالوبال المكروه والـضرر فـي العاقبة،والطعام الوبيل ما يثقل على المعدة))[٤٦٤].

إن هذه الاستعارة جعلت(الوبال) عقابا،أو الثقل للشيء بمثابة طعام يذوقه صـاحب الكفارة،وهو شيء مادي، وصف لما هو نفسي،أي الاحساس المؤلم الـذي يـصدر عـن صاحب الكفارة،وبالنتيجة مصحوب بشدة نفسية يكابدها صاحب الكفارة.

والعقوبة سواء كانت أخروية أم دنيوية[٤٦٥]، على رأي المفـسرين، وأن كـان السياق يشير إلى العقوبة الدنيوية،وكذلك يرى صاحب كنز العرفان((أن الكفارة تقـع عقوبة لا مكفرة،وهذا ظاهر التعليل))[٤٦٦]. وهي بهذا يعد العمل العبادي المأمور به المكلف في كفارته عقابا،أي أنه يختلف عن بقية ثمرة الاعمال العبادية التي يرجـو منها المكلف طلبا للثواب، وكان إطاعة الله تعالى، في الالتزام بالكفارة تستوجب عدم العقوبة الإلهية،وهي بنتيجة الحال منجاة من النار.

وإذا عدنا إلى الاستعارة المتمثلة في(التذوق) وخلع صفة حيوية، تشكل جزءا مـن تركيب الإنسان،على(العقوبة) أي الإحساس بالألم الذي يصدر عن صاحب الكفارة،نجـد أن التذوق ملازم لعملية التمييز بين الأشياء ومن جهة أخرى ،هي لما تسبغه هذه اللفظـة من دلالة التأثير والتأثر الموجب لقوة الإدراك،فالإنسان كما يدرك ويميز الأطعمة، كـذلك صاحب الكفارة، يدرك الألم والإحساس به، لما اقترفه.

وكما في قوله تعالى:﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[٤٦٧].

ترشدنا الآية الكريمة إلى أهمية إطاعة الوالدين والاحسان اليهمـا،وأن كثـرة

---

[٤٦٤] كنز العرفان:١/٤٦٠.

[٤٦٥] ينظر: دراسات فنية في صور القرآن:١٤٣.

[٤٦٦] كنز العرفان:١/٤٦١.

[٤٦٧] الاسراء:٢٤.

الآيات المشتملة على الأمر بذلك وتكرارها مرات متعددة تؤكد أهميتها[٤٦٨]. وفي النص الكريم تصوير استعاري،هو الذي يعنينا من رصد الاستعمال الفني في توجيه الحكم الإلهي في النص الشريف،لما لهذا الاستعمال من اكتناز لدلالات ايحائية مؤثرة في نفس المتلقي، لتلقى القبول المطلوب.

وإذا تأملنا النص جيدا، نجده قد انتقل من التعبير المباشر،في بداية الآية،﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾[٤٦٩]،إلى التعبير غير المباشر الفني المتمثل في الاستعارة(جناح الذل)،وفي الآية حكم شرعي يقوم على عبادة الله تعالى وحده، ثم الاحسان إلى الوالدين،وبعد أن استقر الحكم جاء القرآن ليبين من خلال الاستعارة جمال طاعة الوالدين.

والواضح أن النص لم يكتفِ بأمر المكلف بكيفية التعامل مع الوالدين، حتى أردفه بصياغة جمالية ايحائية تعزز المطلب وتقره في النفوس،وتستعطف به القلوب،حتى يصل إلى نهاية النص حيث وصل المعنى إلى الذروة، بقوله تعالى:﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾. وكأنه يُذكر المكلف بفضل الوالدين، حتى يستوجب فيه أن يلتزم بما أمره الله سبحانه.

وإذا رجعنا إلى الدلالة الاستعارية، نجدها تتمحور في ثلاثة مداليل،الأول: طبيعة التعامل الاجتماعي بين(الولد ووالديه)،والثاني: الكشف عن صفة الوالدين،أما الأخير: فهو الكشف عن صفة الولد.

يلحظ أن التصوير الاستعاري خلع صفة(الجناح) على الذل،ولفظ الجناح بما تحمله من معنى وظلاله، فهو آلة الطائر في حركته نحو الصعود والهبوط،وقد حدد

---

[٤٦٨] **ينظر: تفسير آيات الاحكام،الايرواني:٨٩٩/٢.**

[٤٦٩] **الاسراء:٢٣.**

النص عمل هذا الجناح، فألزمه الخفض وألزمه الذل، وبهذا تتحدد صـــفة الأبـــوين، فهما بحكم كبر السن، تجعلهما شخصين ضعيفين يحتاجان إلى الرعاية،ولذلك جاءت صورة خفض الجناح، والتي مؤداها الخضوع والرأفة والعطف، كالطائر الذي يضم صغاره تحت جناحيه، فجاءت الاستعارة(خفض الجناح) مناسبة لضعفهما.أما(الذل)، فهي لفظة توحي دلالتها إلى صفة الولد،الذي يجب أن يكون متذللا لأبويه، رحومـــا بهما متواضعا عندهما.

وهي بهذا تكبح جموح الولد،وزهوه بنفسه وبقوة شبابه، فالذل مؤشـــر علـــى التواضع لمن هو أعلى منه، والرحمة مؤشر على الشفقة لمن هو قوي على من هو ضعيف.

وبهذا يكون، اختيار القرآن الكريم ،لهذه الاستعارة قد أسس لحـــدوث انزيـــاح موسع في الدلالة، بحيث صار الخضوع للوالدين يقابل خفـــض الجنـــاح، المقتـــرن بالذل، المحبب إلى نفس الابن، فذله أمام والديه هو اقتراب من الله تعالى.

ومن خلال تتبعنا للدلالة الاستعارية في آيات الأحكام، نلمس خـــصائص فنيـــة توحي بأصالة ما يريد القرآن في التعبير عنه بأياته المتضمنة صـــورا اســـتعارية، يمكن تحديدها بالآتي:

يلحظ في التصوير الاستعاري، تهويل الأمر، والمبالغة في الشدة والوعيد،وذلك في وقوله تعالى:﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾(٤٧٠).وقوله تعالى:﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾(٤٧١).

---

(٤٧٠) **الانفال:٦٧.**

(٤٧١) **محمد:٤.**

الآيتان من أحكام الجهاد،ويلحظ فيها دلالة استعارية ،متمثلة في(يثخن في الارض)،و(إذا اثخنتموهم) .

والثخن عبارة عن الغلظة[٤٧٢] والثقل،والمراد حتى يثخن النبي j في الارض،أي استحكام النصر،واستقرار الدين بين الناس،ويصبح كأنه شيء غليظ، ويحتمل حتى يثخن في الارض بالاكثار في قتل الكفار وانزال الضربات بهم[٤٧٣].

ويبدو أن الظاهر هو قتل الكفار،فالاثخان كناية عن الدماء[٤٧٤]،واستعيرت لتحقيق النصر، واستقرار الدين، ذلك للسمة التكثيفية فيه، للجراح والقتل، ومن ثمّ وهبت هذه اللفظة،دلالة فنية تكشف عن العنصر الصوري للاستعارة في جمع معنى حسي بوجه عقلي.

وتتجلى في التصوير الاستعاري ،أيضا خصيصة فنية،وهي بث المرونة والمطاوعة في بعض النصوص ذات الجمود اللفظي في التعبير، حيث تسبغ عليها بعض الإضاءات الحيوية في الاستعمال، فكأن اللفظة بصيغتها الاستعارية اسهمت في فهم النص،وجمالية في التصوير.

كما في قوله تعالى:﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[٤٧٥].

ترشدنا الآية الكريمة إلى خصال مذمومة(الحسد) التي ينبغي للمؤمن أن لا يتحلى بها مهما أمكن[٤٧٦].ففي النص صياغة فنية متمثلة بدلالة استعارية في قوله تعالى:﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فقد جعل نعيم الدنيا شيئا مستعارا يتناسب مع حقيقة الدنيا

---

(٤٧٢) ينظر: مفردات الراغب الاصفهاني:١٧٢.

(٤٧٣) ينظر: في تفسير آيات الأحكام، الايرواني:١/٢٣٥.

(٤٧٤) م.ن: ١/٢٣٥.

(٤٧٥) طه:١٣١.

(٤٧٦) ينظر: تفسير آيات الأحكام، الايرواني:٢/٩٩٦.

الزائلة،وأجد في هذه الاستعارة عمقا وطرافة،ذلك أن(الزهرة) بخصائصها المعروفة من جمال المنظر ورائحة زكية،إلا أنها سريعة التلاشي والذبول،وهذا هو حال نعيم الدنيا.

وفي قوله تعالى:﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤٧٧].

تشير الآية إلى صفة التواضع،وتطلب من المؤمنين التحلي بالتواضع[٤٧٨]،ونلمح في هذا النص صورة استعارية في(خفض الجناح)،وهي استعارة محسوس لمحسوس والجامع عقلي، فالمستعار منه هو الطائر وهيئته،والمستعار له هو المؤمن،والجامع هو اللين والتواضع.

وقد تظهر الدلالة الاستعارية في تعبيرها، تقريب في وصف المعنى ومجانسة بين اللفظ في الوضع الأصلي والنقل الاستعاري، مع مراعاة المناسبة بين المعنيين،وذلك في قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤٧٩].

تشترك هذه الآية مع آيات الحث على الجهاد والالزام به[٤٨٠]،حيث نجد في الاستعارة وصفا لحقيقة الثواب والطاعة،وهي ربح التجارة،فقد استعيرت التجارة لتحصيل الثواب والطاعة.

وكذلك في قوله تعالى:﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[٤٨١]،وفي قوله تعالى:﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[٤٨٢]،فالأوزار: جمع وزر،وهو الحمل الثقيل،وأوزار

---

(٤٧٧) **الحجر**:٨٨.

(٤٧٨) **ينظر: تفسير آيات الأحكام، الايرواني**:٢/٩٦٣.

(٤٧٩) **الصف**:١٠ــ١١.

(٤٨٠) **ينظر: تفسير آيات الأحكام،الايرواني**: ١/١٢٨.

(٤٨١) **النحل**:٩١.

الحرب: أثقالها التي هي عبارة أخرى عن الاسلحة[٤٨٣]،فالوضع وهو معنى عقلـــي، واستعير للحرب،وهي محسوسة،بواقع وصف انتهاء الحرب.

ويلاحظ في التصوير الاستعاري ايضا، مزايا في اعطاء صفة الفعل لمـــن لا يفعل أو التصرف والادراك لمن لا يتمكن على ذلك، فضلا عن إشاعة الحيـــاة فـــي الجامد،وبث الحركة في الساكن،وإضافة طابع القدرة على التصرف والاصغاء.

ونلمح ذلك في لفظة(القلب) التي تنوعت دلالتها في الصيغ الاستعارية،إذ تأتي اللفظة مع التقوى والاصغاء والثبات والشجاعة والضلالة.

كما في قوله تعالى:﴿ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[٤٨٤].

وقوله تعالى:﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[٤٨٥].

وقوله تعالى:﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾[٤٨٦].

وقوله تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٤٨٧].

ونلمح ذلك أيضا، في قوله تعـــالى:﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾[٤٨٨].

---

[٤٨٢] **محمد:٤.**

[٤٨٣] **مفردات ألفاظ القرآن٨٦٨.**

[٤٨٤] **الحج:٣٢.**

[٤٨٥] **التحريم:٤.**

[٤٨٦] **الانفال:١١.**

[٤٨٧] **محمد:٢٤.**

[٤٨٨] **الملك:١٥.**

يستفاد في الآية الكريمة، في الاصل الأول: في الأطعمة الاباحة وأن التحـــريم هو الذي يحتاج إلى دليل[489].

فالنص منطوٍ على استعارة تمثلت في(الذلول) و(المناكب)، حيث خلع النص هـــاتين السمتين على الأرض،مستعيرا ذلك من السمة الحيوانية، أي الحيوان المعد للركوب.

فهذه الاستعارة تغري المسلم بالسعي على هذه الارض لأنهـــا تطيعـــه فهـــي كالذلول، وهي الناقة المطيعة،فإذا مشى في مناكبها سيأكل من رزق الله تعـــالى، ولا نعدم اشارتها إلى حركة الارض.

فضلا عن ذلك، تميز التصوير الاستعاري،باستعمال ألفاظ التضاد، في ســـياق النصوص القرآنية،وغاية ذلك هو،توضيح الدلالة المقـــصودة، لمـــا فـــي اســـتعمال الأضداد الذي يجلي أحدهما الآخر .

نحو قولـــه تعـــالى:﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[490]،الآيـــة الكريمة،من أحكام حرمة كتمان الحق والهدى،ويستفاد منها في وجوب أداء الشهادة[491].

ففي النص يعترضنا تصوير استعاري،وذلك في تشبيه كتمان الحق بالملبس ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه، على سبيل الاستعارة التصريحية. وقد استعير الملبس لذلك، لما يغشى الانسان والتبس به، وقـــد أوقعهـــا فـــي الحـــق علـــى الباطل،بجامع كتمان الحق والهدى، كمن يلبس ما يغشى به عن الناظر.

وأخيرا، هناك ضرب من الاستعارات يأتي فـــي الحـــروف، نحـــو قولـــه تعالى:﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[492].

---

[489] ينظر: تفسير آيات الأحكام،الايراواني: ١/٦١٠.

[490] البقرة: ٤٢.

[491] ينظر: تفسير آيات الأحكام،الايراواني: ٢/٨١٥.

[492] التوبة:٦٠

هذه الاصناف الثمانية تستحق الزكاة،فـ(الواو) جاءت في الانماط الاربعة الأولى تدل على أهلية استحقاق الزكاة،ولكن الآية استعملت(في) الدالة على الظرفية، على الأنماط الاربعة الاخيرة، بحيث يتعين في هذا الاستعمال أن الانماط الاربعة الأخيرة، أكثر استحقاقا للزكاة من الانماط الأولى، لأن هؤلاء أحوج من غيرهم إلى الزكاة،فالمولى مقيدة رقبته لأنه ملك غيره، وفي سبيل الله، يحتاج إليها في مواطن الجهاد،وابن السبيل الذي يحتاج إلى المال ليعينه في الوصول إلى مستقره.

فالصدقات يجب أن توضع فيهم كما يوضع الشيء في داخل وعاء،فإذنً لفظ(في) هنا استعملت في غير حقيقته.

ونخلص إلى بيان التعبير القرآني البارع،في إحداث التلاؤم بين الحكم الشرعي وهو أمر حقيقي وبين الاستعارة وهي أمر مجازي. ذلك أن أكثر المواضيع في آيات الاحكام يعبر فيها القرآن الكريم ،بالصورة المحسوسة،عن المعنى الذهني أو الحالة النفسية،التي يمكن أن يكون عليها من هو موضع التصوير.

وبهذا تتمتن صلة القارئ أو السامع للنص القرآني بالمعنى،ويستقر في ذهنه، ثم ينتبه إلى المغزى من ذلك كله،وهو الحكم الشرعي.

المبحث الرابع

التعبير الكنـــائي

إن مـــا أورده اللغويـــون فـــي تحديـــد مـــدلول الكناية،واضـــح،إلا أن الدلالـــة الاصطلاحية[٤٩٣]،لم تأخذ معناها الفني،الا بعد تطور المـــصطلح تاريخيـــا ،فبـــدأ بفـــك الارتباط بين صلة الدلالة اللغوية التي كانت لفظا يستعمل بمعناها اللغـــوي[٤٩٤].ودلالتهـــا بوصفها مصطلحا فنيا يُتداول تدريجيا في الدرس البلاغي لدى العلماء.

ويظهر من تتبع المفهوم الفني للكناية عند العلماء، عنـــايتهم به،وتلمـــسهم لجماليـــة الكناية بوصفها فنا قوليا له أثره في السياقات التعبيرية، على المتلقي نفسيا وذهنيا.

ومن خلال ما قرره العلماء، نستطيع أن نقف عنـــد ثلاثـــة أركـــان، تـــشكل اساسيات التعبير الكنائي، فالأول يتناول الكناية تعريفا،إذ انصب اهتمام العلماء فـــي الوقوف عند حد الكناية، فهي عند بعضهم ما فهم من الكلام ومن سياق التعبير مـــن غير أن يذكر اسمه صريحا في العبارة[٤٩٥]،ويجد أخرى((رب كناية تربـــى علـــى إفصاح ولحظ يدل على ضمير))[٤٩٦].

واللافت للنظر،هو التباين في قضية أن الكناية جـــزء مـــن المجـــاز أم هـــي حقيقة[٤٩٧].ويبدو أن قصد المتكلم هو الذي يحدد الدلالة الحقيقية أو المجازية.

---

[٤٩٣] الكناية اصطلاحا: لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جـــواز إرادة المعنـــى الاصـــلي. ينظـــر: البلاغـــة الواضحة:١٢٥. او هو كلام اريد به معنى غير معناه الحقيقي الذي وضع له مع جـــواز إراده ذلـــك المعنـــى الاصلي اذ لا قرينة تمنع هذه الارادة. ينظر: أساليب البيان في القرآن: ٦٩.

[٤٩٤] مصدر كنى، يكنو،أو كنة يكني،أي تكلم بما يستدل به عليه أو تتكلم بشيء وأنت تريد غيره. ينظر: لسان العرب،مادة(كنو):٢٣٣/١٥. والقاموس المحيط:٩٢/٤، مقاييس اللغة:١٣٩،والعين:٤١١/٥.

[٤٩٥] ينظر: مجاز القرآن،ابو عبيدة:٧٣/١، وقد وافقه الرأي الفراء/ معاني القرآن: ٣٠٣/١..

[٤٩٦] البيان والتبيين:٨٨/١، وقف الجاحظ(ت٢٥٥هـــ)، عند تعريف الكناية بصورة عامة، وهي لديـــه كنايـــة لغوية وبلاغية،ومشروطة بأن يطلبها الحال ويستدعيها المقام.ينظر: الحيوان ٢٨٠/٢.

[٤٩٧] عرف ابن الأثير(ت٦٣٧هـــ)، الكناية((أنها كل لفظ دلت على معنى يجوز حمله علـــى جـــانبي الحقيقـــة والمجاز بوصف جامع الحقيقة والمجاز)). المثل السائر:٩٤/٢. =

أما الركن الثاني،فهو نظر العلماء ووقوفهم عند خصائص الكناية وما يميزها، والهدف والفائدة منها في الاستعمال، فالكناية على وفق هذا الفهم، تقع في ثلاثة أضرب،الأول: الستر والإخفاء او التعمية والتغطية،فهي إخفاء معنى أو لفظ واستبدال غيره به(٤٩٨).

والثاني، هو الرغبة عن فحش الألفاظ،والعدول عن مقبوح الكلام إلى ما يدل على معناه في غيره(٤٩٩).

أما الضرب الثالث، فهو التفخيم والتعظيم ،ومنه اشتقت الكنية فهي تظهر شرف المكنى عنه وتزيد في الدلالة على تعظيمه في المخاطبة بالكنية،لأنها تدل على الحنكة وتخبر عن الاكتهال(٥٠٠)،فضلا عن مزاياها في التأنق في اللفظ والاغراب في المعنى،وزيادة الاختصار في التعبير(٥٠١).

والركن الثالث، فهو ينظر إلى حقيقة الكناية ومحصول أمرها،إذ أن معرفة المعاني الكنائية تتأتى عن طريق العقل لا اللفظ، حيث((انها إثبات لمعنى أنت تعرف ذلك المعنى، من طريق العقل دون طريق اللفظ))(٥٠٢)،فالسامع بعد أن يعقل المعنى يقوم بالاستدلال على المعنى الثاني،وهو الغرض،فالكناية تفهم((بشيء من الروية وإعمال العقل))(٥٠٣).

= وذهب العلوي(ت٧٤٩هـ)،أنها((اللفظ الدال على معنيين مختلفين حقيقة وجازا من غير واسطة لا على جهة التصريح)).الطراز:٣١٨/١.

أما الرازي(ت٦٠٦هـ)،فيقول:((إن اللفظة إذا أطلقت وكان الغرض الأصلي غير معناها، فلا يخلو ،إما أن يكون مقصودا أيضا ليكون دالا على ذلك الغرض الأصلي،وإما لا يكون، فالأول هو الكناية،والثاني هو المجاز)). نهاية الإيجاز:١٠٢. ينظر:نهاية الأرب:٥٩/٧، في جعل الكناية حقيقة.

(٤٩٨) ينظر: معاني القرآن،الفراء(ت٢٠٧هـ):١٤٢/٣، الكامل:٦٧٤/٢.

(٤٩٩) ينظر: الكامل: ٦٧٤/٢، نهاية الأرب:٦٠/٧.

(٥٠٠) ينظر:الكامل:٦٧٤/٢، البرهان في علوم القرآن:١٧٧/٢، الكشاف: ٢٧٦/٣، البلاغة القرآنية: ٤٧.

(٥٠١) ينظر: الكشاف:٢٧٦/٣.

(٥٠٢) دلائل الإعجاز:١٧٣.

(٥٠٣) الصور البيانية:٣٨١.

ويبدو لي أن الأمر لا يقع على المتلقي في اكتشاف المعنى الثاني، بل أجـد أن المنشئ يُعمل العقل أيضا، إذ تعتمد الكناية في إنشائها على ذهن وقـاد يـستطيع أن ينفذ إلى دقائق الأمور ويدرك حقائق الأشياء ولوازمها.

وعلى هذه الأسس، فالكناية وسيلة لا تقلّ أهمية عن بقيـة وسـائل التـصوير البياني، في تشكيل صور كنائية، تكمن أهميتها في قدرتها على الإيحاء بمعان جديدة، دون التصريح بها، بل يومئ اليها، إذ تعتمد على ذكاء السامع، كي يفهم ما تفـرزه مخيلة المنشئ المبدع،وهذا يحفزه إلى تتبع المعنى،والوصول إلـى الحقيقـة، فهـي تعطي للكلام قوة وعمقا في التأثير[٥٠٤].

فالكناية، لا تبتعد عن الاستعارة، فهي لا تخلو من التعقيد،فضلا عن توظيفهـا في توكيد المعنى المراد نقله إلى المتلقي عن طريق((المبالغة في وضع المعنويـات في صور المحسوسات))[٥٠٥].الا أن الكناية،تتضح فيها مقدرة المنشئ وتمكنـه مـن موهبتـه، فـي صـوغ العبـارات وتكثيـف المعاني،والكـشف عـن دلالـة أعمق،وذلك((بتغليف للمعنى المقصود بستار شفاف))[٥٠٦]، يكون فيها المعنى أبلـغ من التصريح عند المتلقي.

وتتجلى فاعلية الكناية((حين تقدم المعنى، تحوله من التجريد العقلي إلى الوضـوح الحسي والتجسيد،فتقربه مـن الافهام،وتمنحـه صـورة ممتعـة ترتـاح اليهـا الـنفس والذوق))[٥٠٧]،وأخيرا فهو فن صياغي يتناسب مع العقل المتفتح،والخيال المبدع.

---

[٥٠٤] ينظر: المفيد في البلاغة والتحليل الأدبي:١٧٦.

[٥٠٥] التصوير البياني:٢٣٨.

[٥٠٦] م.ن:٣٣٧.

[٥٠٧] المفيد في البلاغة والتحليل الأدبي:١٧٦.

التعبير الكنائي في آيات الأحكام:

تصدرت الكناية مرتبة متميزة في كيان النص القرآنـــي لآيـــات الأحكام،فقـــد استعمل القرآن هذا النمط من الأداء،بوصفه تعبيرا قوليا، ذا ضرورة افهامية، فضلا عن منزلته الفنية وقيمته البلاغية في فن القول.

ويلحظ من خلال تتبعنا للدلالة الكنائية الخصائص الفنية والمزايا الموضـــوعية التي تجلت في تعدد وسائط الكناية وتنوع أقسامها، إلا أن الذي يخلص اليه البحـــث هو بيان التلاؤم بين الحكم الشرعي بوصفه مفهوما حقيقيا وبين فنون البيان بوصفها مفهوما مجازيا، واستثمار هذا الاسلوب فنيا وإبلاغيا.

إذ إن غاية النصوص الفنية على تباين مواضيعها، هي عملية الفهم والافهـــام، بين المنشئ والمتلقي[٥٠٨]،إلا أني أجد أن هناك غاية فنية مقصودة في النص غايتهـــا التأثير ،التي تفضي إلى النظر في ابداع النص وتفوقه واعجازه عن باقي النصوص.

استطاع هذا الفن تطويع القضايا الشرعية والمـــسائل الحكميـــة فـــي أســـلوب صياغي معبر بصور مليئة بـــالعواطف المـــشحونة والمـــشاهد المخيلة،لاســـيما أن التعريض والرمز ،والايماء، والتلويح،أبلغ من التصريح وأمتع عند المتلقـــي ،وأكثـــر اعترافا بذكائه،وأدعى إلى مشاركته في تذوق النص عقليا ووجدانيا.

ومن خلال التطبيق الاجرائي، نلمس كثيرا من تلك الخصائص والمزايا التـــي انطوت عليها الدلالة الكنائية،والتي حملت سمة الوظيفة الافهامية،وانتمت في الوقـــت نفسه إلى الدلالة الفنية، وتظهر هذه العلاقة من خلال ما تقدمه من معنى فـــي ذهـــن المتلقي،واحداث الملائمة بين المضامين الحقيقية،والأساليب الفنية المجازية.

فقد استثمرت آيات الأحكام طاقات فن الكناية، مـــن خـــلال الارتكـــاز علـــى خصائص هذا الفن،الذي يقوم على ذكر الحقيقة،وهي مصحوبة بالـــدليل والبرهـــان،

---

(٥٠٨) دلالة البيان في تفسير النص القرآني بين الدال الوظيفة الافهامية،د. صباح عنوز، مجلة كلية الدراسات الاسلامية، العدد(٢)،٢٠٠٦م.

فتعطي بذلك قوة وعمقا في التأثير والادراك ،كما هو الحال في قوله تعـالى:﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[٥٠٩].

إنّ إجمال ما تدل عليه الآية الكريمة،هو إثبات شرطية الوقت للصلاة[٥١٠]،وأن وقتها من دلوك الشمس إلى غسق الليل[٥١١]،هذا بالنسبة لغير صلاة الصبح،وأما هي فوقتها الفجر.

وفي ضوء تحديد مدلول الزوال والغسق، تكون الآية قد أشارت إلـى أوقـات الصلوات الخمس،فقد رمزت إلى الصلوات الاربع، بفقرة(لدلوك الشمس إلى غـسق الليل)،ورمزت بصلاة الفجر،بفقرة(وقرآن الفجر).

والذي يعنينا من هذه الكناية التي جاءت بواسطة الرمز،قدرتها على اختزال اللفـظ وتكثيف المعنى في تحديد مفهومين مهمين،الأول: هو الاعلام عن الصلوات المفروضـة الخمسة،والآخر: هو شرطية الوقت وتحديد المدى الزمني لكل من تلك الصلوات.

وقد أكد النص القرآني،هذا الحكم في آية أخرى من آيات الأحكام فـي تحديـد الصلوات الخمس، مصحوبة بالدليل الزمني، من خلال فن الكناية، في قوله تعالى:﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[٥١٢].

إن الملحوظ من النص إخفاؤه أمر ما في طياته،مع إرادة إفهـام المتلقـي مـا أخفاه، فرمز له في ضمنه رمزا يهتدي به إلى التوصل إلى ما أراد إخفاءه،ويبدو أن

---

[٥٠٩] الاسراء:٧٨.

[٥١٠] اتفق المفسرون على أن المراد من الآية،هي الصلوات الخمسة. ينظر: تفسير القرطبي:٣٠٣/١،((وهذه الآية بإجماع المفسرين إشارة إلـى الـصلوات المفروضـة)).ينظـر: تفـسير البيـضاوي:٤٦٢/٣، وروح المعاني:١٣١/١٥؛ ينظر: كنز العرفان: ١١٥/١.

[٥١١] وقع خلاف بين المفسرين في المقصود من دلوك الشمس،إذ تأولوا الآية على معنيين،أن الدلوك الـزوال أو الغروب،وعلى هذا تدل على احتمالين،فإن حمل المعنى على الزوال انتظم أربع صلوات،وإن حمل المعنـى على الغروب، دلت المغرب والفجر. ينظر: أحكام القرآن، الجصاص:٢٦٦.

[٥١٢] هود:١١٤.

تكرار هذا الاسلوب في الحكم نفسه، يوحي إلى إشراك ذهن المتلقي في استخراج ذلك الخفي وهذا أدعى إلى ترسيخه في الأذهان، فضلا عن لطف المأخذ في الإدراك.

فقد رمز النص إلى صلوات النهار بقوله:﴿طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾،ودل على صلوات الليل بقوله:﴿وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾. إلا أن مدار الأمر يتعلق بتحديد(طرفي النهار) الذي وقع فيه الخلاف(٥١٣)،ويبدو لي، أن الأمر فيه تعميم للصلوات التي تقع في هذه الفترة الزمنية، فتكون صلاة(الصبح والظهر والعصر) محددة من الطرف الأول للنهار إلى الطرف الثاني للنهار،دون تخصيص،في أي جزء من النهار تقع الصلاة.

وأجد أن الآية الأولى، هي رامزة إلى عدد الصلوات مع مداها الزمني،أي أن الظهر بعد دلوك الشمس(الزوال) ثم العصر إلى قبل مغيبها ثم المغرب والعشاء، فتكون الكناية هنا محققة لترتيب الصلاة وزمانها،والله أعلم.

أما هذه الآية، فهي رامزة إلى عدد الصلوات ملازمة لمسمياتها من الوقت فقط دون مدى زمني أو سقف يحددها.

ومن جانب آخر، أن الاشارة إلى إقامة الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل، ثم اتباع ذلك بأن الحسنات يذهبن السيئات يثير دون لبس إلى تحديد زمن الصلوات الخمس والتوكيد عليها، فإن قيام الانسان بذلك في وقته سيكتب له فيها من الحسنات،ويتكفل بإذهاب السيئات عنه، بمعنى أن الصلاة من الحسنات

---

(٥١٣) إن الزلف جمع زُلفى، بمعنى قربى. ينظر: مجمع البحرين:٦٧/٥.

والمراد إقامة الصلاة في ساعات الليل الأولى القريبة من النهار،وذلك ينطبق على صلاة المغرب، أو مع صلاة العشاء، فكلتاهما واقعتان من الساعات الأولى من الليل القريبة من النهار.وقد وقع الخلاف في تحديد الصلاة المطلوب إقامتها طرفي النهار،وكذلك الصلاة المطلوبة في زلف من الليل.

وقد ذهب الفقهاء والمفسرون إلى أن الصلاة الواقعة في الطرف الأول من النهار،صلاة الصبح بلا إشكال،أما الإشكال في تحديد الصلاة الواقعة في الطرف الثاني من النهار،فقيل صلاة المغرب أم صلاة العصر. ينظر: مجمع البيان:٢٦٤/٥. ويرى الجصاص أن هذه الآية وغيرها منتظمة لأوقات الصلوات من غير تحديد لها، ينظر: احكام القرآن: ٢٦٧؛ وتفسير البيضاوي: ٢٦٨/٣؛ روح المعاني: ١٥٦/١٢؛ وفتح القدير: ٥٣١/٢.

وستتكفل بإذهاب السيئات المرتكبة بعدها،ثم تأتي الصلاة الأخرى وهكذا. فلم تعد الكناية تؤدي مهمة التحديد الزمني،وإنما صارت لها مهمة أخرى، هي وظيفة معنوية.

وقد نجد أن مزايا الصياغة الكنائية، انسحبت على النص، لتمده بقوة افهامية ولمسة فنية، كما في قوله تعالى:﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾[٥١٤].

إنّ من أجزاء الصلاة وشرائطها،التوجه إلى القبلة،ففي الآية كناية عن صفة،فالنص ذكر الموصوف وستر الصفة مع أنها هي المقصودة ،فتقلب الوجه[٥١٥] كناية عن الانتظار والترقب،لأمر الله عز وجل، إذ كان النبي j في انتظار نزول الوحي عليه، في أمر القبلة حيث كانت قبلته بيت المقدس.

ومدار الغاية في التعبير الكنائي لهذا النص،هو تعظيم الأمر،وتفخيمه،إذ إن أمر تغيير القبلة كان مسألة مهمة في تلك الحقبة،لأنها كانت تعني استخفافا باليهود الذين كانوا يعيرون النبي j بذلك[٥١٦].

ومن جانب آخر، أن في ذلك دفعا للشبهة بأن الكعبة في بداية الإسلام وضعت فيها الأوثان ،والتوجه اليها فيه دلالة على تأييد تلك الفكرة الوثنية، وأخيرا أن في ذلك امتحانا

---

[٥١٤] البقرة:٢/١٤٤.

[٥١٥] ((وحاصل المعنى أن الله تعالى يقول لنبيه j قد نعلم تردد وجهك في جهة السماء،أي توجهك نحوها ، انتظارا لتحويل القبلة، فلنحولك إلى قبلة تحبها وتتشوق إليها لأغراضك الصحيحة الموافقة للحكمة الإلهية وهي قبلة أبيك ابراهيم)). قلائد الدرر:١/١١١.

[٥١٦] ذلك أن اليهود عيروا رسول الله j بأنه تابع لهم، فاغتم رسول الله j من ذلك،وخرج في جوف الليل ينظر إلى آفاق السماء ينتظر من الله عز وجل في ذلك أمرا. ينظر: كنز العرفان:١/١٣٠.

لمن يتبع الرسول j ،وممن ينقلب على عقبيه . ويلحظ أن موضوع القبلة وتحولها[517] جاء في كتلة سياقية كبيرة ،وتكرار متعمد للالتزام بالتوجه إلى شطر المسجد الحرام[518] ،ولهذا كانت الكناية على مقدار ذلك الأمر من الأهمية والعظمة.

وعلى وفق الإسلوب ذاته نجد أن النص يستثمر التعبير الكنائي في تعظيم الأمر وتهويله في النفوس وترهيب المخالفين له، كما هو الحال، في قوله تعالى:﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[519].

الآية الكريمة من أحكام اللعان[520]،والذي يعنينا هو الكناية عن حد الزنا بالعذاب، لما فيه من شدة الألم والمعاناة،وسيقت هنا لمناسبتها جرم الزنا،لأن المقصود به العذاب الدنيوي[521]. فضلا عن ذلك، أن وجود(ال) التعريف في لفظة(العذاب) يشير إلى حد الزنا[522].

وقد عرف المسلمون حد الزنا،بالآية الكريمة ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ...﴾[523]،ومن هنا جاءت الكناية بالعذاب أشد وقعا في النفس،لأن كل مسلم يستحضر آية الحد.ويبدو أن سبب التعبير بلفظ العذاب،مرده إلى أن مدار الأمر متعلق بالعلاقة الزوجية،ولأثر الجرم،وتهديده لتلك العلاقة، خص العذاب عقابا.

---

(517) ينظر: البقرة:١٤٣.

(518) ينظر: في تفسير آيات الأحكام، الايرواني:١/١٢٣.

(519) النور:٨ـ٩.

(520) ينظر : قلائد الدرر:٣/٢٨٤، تفسير آيات الأحكام، السايس:٣/١٤٠.

(521) ينظر: تفسير آيات الأحكام، السايس:٣/١٤٠.

(522) المحلى، ابن حزم:١٤٥.

(523) النور:٢.

فالعذاب هنا لا يقتصر على العذاب الجسدي المتمثل بحد الزنا ،وهو الجلد وإنما يتعداه إلى العذاب النفسي،الذي سيصيب من يقام عليه الحد بعد أن يشهد هذا العذاب طائفة من المؤمنين، كما ورد في آية حد الزنا،ومن هنا كان تشديد القرآن الكريم في هذه القضية.

وفي المقام ذاته، نلحظ للكناية أثرا في تهويل المعنى وتعظيمه ،كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[٥٢٤].

تشترك الآية الكريمة مع آيات الجهاد[٥٢٥]،في الحث على قتال الكفار والالتزام به،فجاء(غلظة)[٥٢٦]،((كناية عن الموصوف من نوع الايماء))[٥٢٧]،وذلك أن ظاهر النص الكريم هو أمر المشركين بأن يجدوا الغلظة في المؤمنين بقوله(ليجدوا)،إلا أن مقصود الآية، هو أمر للمؤمنين بأن يغلظوا على المشركين إذ ينبغي للمسلمين إراءة الكفار الغلظة والشدة،ولا يقصد من ذلك القساوة وسوء الخلق بل الشدة في ذات الله(عز وجل)،بلحاظ ذيل الآية التي ألزمت بحدود التقوى.

ويبدو أن هذه الكناية غايتها أمران،الأول: هو إظهار ضعف العدو وقلة حيلته،أما الثاني: فأمر للمؤمنين بأن يظهروا الشدة في القتال،وهو يومئ إلى تقوية العزيمة وبث روح الثقة لدى المقاتل المسلم، فلاشك في أن القتال في ذاته أمر شديد،ولكن الغلظة التي تضمنتها الآية ربما ــ والله أعلم ــ تشير إلى إظهار الشدة مثل الإقدام وعدم التردد والتكبير أثناء القتال وشد البعض أزر بعض.

---

[٥٢٤] **التوبة:١٢٣.**

[٥٢٥] **ينظر: تفسير البيضاوي:١٨٠/٣، فتح القدير:٤١٦/٢،روح المعاني:٥٧/١١، تفسير القرطبي:٢٩٨/٨.**

[٥٢٦] **غلظة: بالحركات الثلاث،كالشدة والغلظة والسخطة ونحوه،وهو يجمع الجرأة والصبر على القتال. الكشاف:٣٠٩/٢.**

[٥٢٧] **ينظر: اساليب البيان في القرآن:٧٨٧.**

وحينما تتعرض الآية الشرعية إلى المعاني المجردة العقلية، نجد أن للكناية قابلية في تصوير المعطيات المعنوية المجردة إلى إشكال وظلال، تري تلك المفاهيم واضحة جلية للمتلقي ،مقتربة من الافهام، ممتعة للنفوس.

كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[٥٢٨].

مضمون من المحرمات في كتاب الله الكريم،وهي تتعلق بالحديث عن الاسراف والبخل،ودلالة الآية على حرمة التبذير والاسراف واضحة ،وكثرة الآيات في هذا الموضوع توضح مدى اهتمام الاسلام بذلك. كما أن الآية الشريفة فيها حث على التوسط والاعتدال في انفاق المال، فلا يقبض الانسان يديه عن الانفاق في سبيل الخير والصلاح،ولا يبسطها فيما يعود عليه بالضرر والتلف والخسران، فكلاهما مبغوض وما بينهما هو القوام والعدل.

تعرض البلاغيون لفن الكناية،موظفة الدلالة الفنية للتصوير الكنائي لإثبات المعنى والحرمة المتعلقة فيه، وتمثلت في اليد المغلولة إلى العنق،واليد المبسوطة،وهو أمر محسوس جاء لبيان قضية تتعلق بالانفاق المرتبط بشكل أو بآخر بنفسية الانسان وخلقه وهو أمر محسوس أيضا.

فقد اسقط النص صفة اليد المغلولة إلى العنق للبخل والتقتير، واليد المبسوطة كل البسط خلعها على الاسراف والتبذير.

ومن المعلوم أن اليد، طالما استعملت لدى العرب وكذلك في النص القرآني، للعطاء والقدرة ،ولذلك جاء انتخاب هذه اللفظة وخلعها على صفات تتعلق باستعمال هذا العضو في العطاء والإمساك على وفق إرادة الشخص.

إلا أن الصورة الكنائية،أسبغت على اليد صفة أخرى، وهي كونها مقيدة،وقيدها إلى العنق،وهذا التصوير يوضح معنى مهم،وهو أن المرء على هذه الكيفية لا

---

[٥٢٨] الاسراء:٢٩.

يستطيع الحركة، فتتعطل بذلك تصرفاته،وبالمقابل اليد المبسوطة كل البسط،التي يتحرك صاحبها بحرية دون أي قيد يعيق الحركة والتصرفات،فكان البخل والتقتير،قرين اليد المغلولة،التي تعطلت وشلت حركة اليد والانسان معا،وكان الاسراف والتبذير قرين بسط اليد بالكامل، لسهولة الحركة وجهة التصرف،ومن هنا تكون صورة الاغلال والقيود أوضح وأظهر، فالمنع يعني غلّ اليدين إلى العنق.

ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى ،إلى التوسط في التصرف ، كي لا يقعد الانسان ملوما مذموما في المجتمع على بخله،أو محسورا على اسرافه وعدم وجود شيء في يده، بل يكون للسخاء أقرب وللاقتصاد أدنى، ذلك أن المحسور،وهو الذي بلغ الغاية في التعب والاعياء، فيكون من يسرف يصل إلى حال المحسور.وهذا تهويل لما يؤول إليه مصير الإنسان المبذر، إذا لم يكن معتدلا،وهذا ما أوجزته هذه الكناية.

وقد أوضح القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾(٥٢٩) .

فالإنفاق بين الإسراف الذي يعني بسط اليد بالتبذير وبين الاقتار الذي يعني التضييق فيدخل في المانع لما يجب،وهو الغلّ أو القيد الذي غلّ اليد إلى العنق.

والتوسعة في الانفاق محمودة، لقوله تعالى:﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾(٥٣٠) ،إذا وسع الله تعالى على العبد،ولذلك بشّع صورة الشح في الآية بكناية غلّ اليد إلى العنق.أما بسط اليد فكانت الكناية فيه جميلة، فبسط اليد في الإنفاق إذاً مقبول،ولكن لا يصل إلى حد الاسراف(كل البسط).

وقد يتجلى الأسلوب الفني في الصياغة الكنائية في النص القرآني،بمواضيعه المختلفة على التصوير الخيالي والانفعال الوجداني فاسحا أمام النص مجالا للتأمل والنظر

---

(٥٢٩) الفرقان:٦٧.

(٥٣٠) الطلاق:٧.

،كما هو الحال، في قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٥٣١].

الآية الكريمة من آيات الجهاد،وقد انطوت في سياقها على حكميين[٥٣٢]،وكلاهما جاء في صياغة كنائية، فالحكم الأول ،هو الأمر بالثبات في ساحة الحرب،وعدم الفرار عند الزحف،وقد عدّ الفقهاء ذلك من الكبائر[٥٣٣]،ذلك أن الله سبحانه أوعد النار في ذيل الآية الكريمة،وهذا لا يكون إلا لعظائم الآثام.

الملاحظ، أن النص كنى عن ضخامة الجيش وعظمته بـ(الزحف)[٥٣٤]،وهو الجيش الدهم، يرى لكثرته كأنه يزحف زحف الصبي[٥٣٥]،فيدب رويدا رويدا،ذلك أن الجيش الجرار المثقل بالأسلحة والعدد، يكون صعب الحركة،ولذلك كنى عنه بهذه الصورة،ومن جانب آخر أن ملامح هذه الصورة توحي بالرهبة والتهويل مما يزعزع عزيمة الخصم(العدو)،ويتسلل الخوف إليه.

ولذلك جاء الحكم الأول، مبنيا على هذه الكناية،فقد أمر النص بالثبات في ساحة الحرب،وحرّم الفرار عند لقاء العدو الزاحف،وكثرته لا تكون سببا مجوزا للفرار[٥٣٦].

وقد عبر عن الفرار بالصيغة الكنائية، في قوله تعالى:﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾،لأن الذي يفر من شخص يعطه ظهره اليه[٥٣٧].

---

[٥٣١] الانفال:١٥ــ١٦.

[٥٣٢] ينظر: كنز العرفان:٥١٤/١،وقلائد الدرر:١٥٤/٢.

[٥٣٣] ينظر: قلائد الدرر:١٥٥/٢،،تفسير آيات الأحكام،السايس:٦/٣.

[٥٣٤] ينظر: لسان العرب،مادة(زحف).

[٥٣٥] الكشاف:٢٠٦/٢، احكام القرآن،ابن عربي:٣٨٦/٢، مجمع البحرين:٦٥/٥.

[٥٣٦] ينظر: تفسير البيضاوي:٩٥/٣، تفسير القرطبي:٣٨٠/٧، روح المعاني:١٨١/٩.

ومن هذا أدى التعبير الكنائي معنى تعجز عن أدائه ألفاظ كثيرة وجمل عديدة، بل نجد أن الأسلوب الفني قد رسم صورة كاملة ماثلة أمام المتلقي موحيا له بكثيـــر من مشاعر الخوف، والريبة،ومشاهد الذعر، جميلة فـــي موضـــعها، معجـــزة فـــي تعبيرها.

أما الحكم الثاني،فهو الاستثناء في حرمة الفرار، بقوله تعالى:﴿إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ﴾،ويبدو واضحا أن بلاغة النص تكمن في ترك اللفظ إلى ما هو أجمـــل منه وأكثر أثرا، مستثمرا مزية هذا الفن في الايجاز والاختصار إلى أقصى ما يمكن من تكثيف المعنى الذي يؤدي إلى أقصى ما يمكن من الهدف.

فالتحرف[٥٣٨]الذي يقصده المسلم هو الابتعاد عن الوسط إلـــى الجوانب،ممـــا يوهم العدو بالانهزام، قاصدا الوقوف وراءه ليلحق به ضربة قوية فمن فنون الحرب الكر والفر.

أما التحيز[٥٣٩]،فهو اللحاق بجماعة من المسلمين للتقوي بهم،والفرق واضـــح بين الاستثنائين.

واللافت للنظر أن لأسلوب الكناية، خصائص في ترويض المعنى والملاطفـــة في الأداء، وذلك ما نراه في حكم خطبة النساء في عدتهن، قولـــه تعـــالى:﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لاَ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً إِلاَّ أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾[٥٤٠].

---

[٥٣٧] **معجم مفردات ألفاظ القرآن:٨٨٧، تفسير آيات الأحكام، السايس:٦/٣.**

[٥٣٨] **الحرف: هو الطرف والجانب. ينظر: مجمع البحرين:٣٦/٥.**

[٥٣٩] **التحيز: مشتقة من الحيزّ،وهو المكان. ينظر: مجمع البحرين: ٤٠/٥.**

[٥٤٠] **البقرة:٢٣٥.**

النص الشريف دال على ثلاثة أحكام في خطبة النساء[٥٤١]،فالحكم الأول، مبني على الكناية التعريضية[٥٤٢]،وهو جواز خطبة الرجال للنساء على نحو التعريض لا التصريح، كما يجوز إضمار الزواج بهن في النفس[٥٤٣].

وقد أخرج النص من اطلاقه إلى تقييده بلحاظ ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾[٥٤٤].واللافت للنظر،أن هذه الكناية التعريضية جاءت من نفس مادتها(عرضتم)،وهذا ما دعا الزمخشري إلى النظر في الفرق بين الكناية والتعريض[٥٤٥].

أما الحكم الثاني المستفاد من الآية، وجاء عن طريق الكناية،هو عدم جواز مواعدة النساء سرا، إلا إذا كانت المواعدة مشتملة على الكلام المتعارف،و(السر) هنا وقع كناية عن المباشرة،ومعناه لا تواعدواهن المباشرة، إلا بالتعريض، بحيث لا يكون في الكلام لفظ يدل على المباشرة صراحة،لأن ذلك من الفحش،وليس من المعروف،وهكذا أدت الكناية هذا الحكم الشرعي بلطف التعبير.

أما أكننتم في أنفسكم هنا دلالة على الكناية بمعناها المتعارف.

ومن ثمار الحكم الشرعي لهذه الآية، هو الكشف عن طبيعة النفس الانسانية،بقوله ﴿ستذكرونهن﴾.ويبدو أنها علة الحكم، بجواز التعريض بالخطبة أو

---

(٥٤١) ينظر: في تفسير آيات الأحكام:١/٣٩٢.

(٥٤٢) فالتعريض كلام موهم بالنكاح، حتى تحبس نفسها عليه،إن رغبت فيه،ولا يصرح بالنكاح. ينظر: الكشاف:١/٣١٠ـ٣١١.

(٥٤٣) إن النساء في حكم الخطبة ثلاثة أقسام. ينظر: دلالة المفردة القرآنية(لا جناح/انموذجا):٣٥٠.

(٥٤٤) من يفصل في حقها بين التعريض والتصريح، هي المعتدة في عدة الوفاة، فيجوز خطبتها تعريضا لا تصريحا،والأصل في ذلك الآية المبحوثة. ينظر: م.ن:٣٥.

(٥٤٥) فالكناية عنده، أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له،والتعريض: أن تذكر شيئا لم تذكره. الكشاف:١/٣١٢.

إضماره،وذلك أمر طبيعي وفطري،ولا يمكن التخلي عنه،ومن جانب آخر، فهو يومئ إلى التوبيخ(٥٤٦).

فضلا عن أثر، التعريض في مراعاة خصوصية الموضوع في التمسك والالتزام بالآداب الشرعية، فهي ناظرة إلى حكمة العدة التي وضعها الله في استبراء المرأة،ومن جهة أخرى، مراعاة لأحوال المقام لما فيه من حزن ووفاء للزوج،أما الحكم الثالث، في الآية المباركة، فهو عدم جواز إجراء عقد النكاح، قبل أن تنتهي العدة التي كتبها الله تعالى،وذلك في قوله سبحانه:﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾(٥٤٧)،أي ينقضي المكتوب من العدة(٥٤٨).

يحدد النص القرآني ابعاد المعرفة النفسية لدى الانسان او حقيقة العنصر النفسي، وذلك من خلال اقراره السمة الثنائية في النفس البشرية، في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا *فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾(٥٤٩).

هذه الثنائية هي الاصل المحرك للطبيعة البشرية والتي تقف وراء نشاط الانسان؛ اذ يتجاذب الانسان في ((بحثه عن اللذة واجتنابه للألم))(٥٥٠)، طرفان هما (العقل والشهوة) او(الموهبة – موهبة العقل، والذات) او (الخير والشر) المتمثلة في (الفجور والتقوى) حيث يمثل الطرف الاول بحثا عن الاشباع المقيد بالمباديء التي تقررها النصوص القرآنية (التقوى) ويمثل الطرف الاخر بحثا عن الاشباع المطلق غير المرتبط بالمباديء (الفجور)، يواكب هذا الاصل النفسي، اصل ادراكي، قائم

---

(٥٤٦) ينظر: منتهى المرام:١٠٠ـــ١٠١،وتفسير القرآن العظيم،ابن كثير:٢٨٧/١، فتح القدير، الشوكاني:٢٢٣/١.

(٥٤٧) البقرة:٢٣٥.

(٥٤٨) تفسير القرآن الكريم، شبر:٨٧.

(٥٤٩) سورة الشمس: ٧– ٨، والاية ليست من آيات الأحكام.

(٥٥٠) من بديهيات اصل السلوك البشري: ينظر: الاسلام وعلم النفس: ١٢.

على قابلية التمييز بين مباديء العقل والشهوة وهو الهام التقوى والفجور[٥٥١].

إلا ان طرفي التجاذب يحملان سمة التوازن فيأتي الادراك ليـــرجح احـــدهما على الاخر بمعنى ان في الانسان على وفق الاية ثلاث قوى تتنازعانه وهـــي قـــوة العقل الذي يكبح جماح النفس، وقوة الشهوة التي تنطلق بالنفس الانسانية مـــن حـــال الى حال، مسايرةً للهواجس والخواطر، والقوة الثالثة هي قوة الادراك وهي الـــوعي بمباديء كل من العقل والشهوة، وان تسليط الوعي الادراكي لاحد طرفي القوى هو الذي يحدد اتجاه الانسان.

ولهذا فإنّ الدربة والمِران على تسليط وعي الفرد الى طرف العقـــل ويتبعـــه نفور عن الطرف الشهوي وبالعكس.

وقد ذهب بعض الباحثين الى ان النفس تتنازعها ثلاث قوى هي قـــوة الفكـــر وفضيلتها الحكمة، وقوة الغضب وفضيلتها الشجاعة، وقوة الشهوة وفضيلتها العفـــة. من هذه الفضائل مجتمعة تتحقق فضيلة العدالة واتزان الشخصية[٥٥٢].

واذا نظرنا لهذه القوى الثلاث نجد ان مردها الى السمة الثنائية فقوة الغضب هي احدى مظاهر قوة الشهوة[٥٥٣].

وعلى هذا يكون الجانب السلبي والايجابي متعايشين عند الانـــسان فـــالنفس تعرف الفجور وتعرف كيف تبقى فيها وتتخلص من سيئاتها وتكون تقية، وتسير نحو التزكية، واي الناحيتين سارت فهي نابعة من قوة متأصلة فيها.

ان ثنائية الموهبة (أي موهبة العقل) و (الذات) في القرآن الكريم هـــي التـــي تفسر الظواهر النفسية وتضع الشخصية القرآنية التي تتمتع بالاعتدال فـــي الـــسلوك والاستقامة.

---

[٥٥١] الاسلام وعلم النفس: ١٥.

[٥٥٢] الاعجاز الفكري في القرآن: ٤٥.

[٥٥٣] ينظر: جامع السعادات: ٢٢٥/١ (الغضب كيفية نفسانية موجبة لحركة الروح من الداخل الى الخارج للغلبـــة، ومبـــدؤه شـــهوة الانتقام).

فلكل فرد قدر من العلم والقدرة والارادة وهي سمة الموهبة وفيه قدر من الجهل والعجز والانقياد، وهي سمات الذات وبامتزاج هذه السمات تتكون الصفات المائزة للانسان[٥٥٤].

ومن خلال المحرك الاساس للسلوك تأتي آيات الأحكام كاشفة عن المعرفة النفسية للانسان وتوظيف تلك المعرفة في خدمة الاستجابة التشريعية اذ تعنى الوظيفة النفسية في النص الكريم بالقاء الضوء على مجموعة من الانفعالات التي تؤثر في النفس وتسيطر على القوى الشعورية عند الانسان فهي وظيفة داخلية تخوض في كوامن النفس وتسرح في اعماق الفرد وتمتلك شعوره، ثم تعرج الى معالجة سرائر النفوس، وخبايا الشعور، بالانذار والتحذير والترغيب والتبشير، فهي معيار التأثر النفسي،ومقياس ردود الافعال الداخلية[٥٥٥].

وعلى هذا يتحدد في الآيات الكريمة محوران يكادان يكونان الاظهر وهما تحديد العمليات النفسية او كشف العنصر النفسي، والاخر التحكم في النفوس وضبطها وتعديلها، وهذا ما نلحظه في جملة الآيات القابلة.

اولاً: في آيات العبادة اهداف نفسية ضمنية فضلا عن الوظيفة الرئيسة لعبادة الله عزوجل، فهي دليل المؤمن؛ اذ ((ان مفهوم الوظيفة العبادية يظل الاساس الرئيس في تفسير العمليات النفسية وتنظيمها))[٥٥٦].

ففي آيات العبادة تهذيب للنفوس وتسخير للطباع وضبط للنفس وتعديل للسلوك وتوجيه نزعات الانسان وطاقاته الفكرية والنفسية والسيطرة عليها، فهي الى جانب المهمة العبادية تنطلق مهمة نفسية شأنها رسم السلوك السوي للشخصية القرآنية.

---

[٥٥٤] بحوث في القرآن الكريم: ١١٧.

[٥٥٥] لاشك في ان العوامل النفسية او الجسمية تتفاعل باستمرار في سلوك الانسان وان هذا التفاعل يشاهد في حالات الصحة والمرض على السواء، إلا ان الايحاء والتشجيع والتفاؤل طريق للتأثير في الاعراض النفسية: ينظر: علم النفس في الفن والحياة: ١٥٩.

[٥٥٦] الاسلام وعلم النفس: ٨.

فالمهمة العبادية هي وسيلة رئيسة من وسائل التحكم في سلوك الفرد ذلك بان سيطرة الايمان والعقيدة على وعي الفرد يتبعه التزام بالمباديء القرآنية وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾[٥٥٧].

فالنص الكريم وجه الطاقة الفكرية والشعورية الى الصلاة بعدما اقر النص اولاً بتوحيد الله والعبودية المطلقة له.ففي معرض آيات الصلاة حث النص الكريم عليها ورغب فيها محفزا العواطف لاستقبال ثمرة الصلاة التي ستجنى في كنف الله قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾[٥٥٨].

ان الضبط النفسي ومرانها على العبودية لايتوقف عند تأدية الصلاة؛ بل هي تشمل كل اجزائها واركانها واوقاتها، فهي تركيز فكري ووجداني لايتحقق إلا بعد ضبط الانفعالات الداخلية وكبح ميول الانسان ولذلك امر الله تعالى بالصبر عليها في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾[٥٥٩].

وقد يوحي التعبير (وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) على مشقة لا تلائم طبيعة النفس مع الصلاة وثقل ادائها عليها، ولذلك حثت الاية الكريمة النفس على ان تصبر عليها فلو كان هناك تلائم من دون مشقة لما احتيج الى الامر بالصبر[٥٦٠].

واشارت الاية الكريمة في ذيلها على الترغيب والحث عليها من خلال وعد الله تعالى بالرزق، وحسن عاقبة التقوى مستثيرا عواطف الانسان وتحفيز النفس على المواظبة على الصلاة.

والركيزة الاخرى في ترويض النفس هي الامر بالاستعانة بالصبر والصلاة

---

[٥٥٧] سورة طه: ١٤.

[٥٥٨] سورة البقرة: ١١٠.

[٥٥٩] سورة طه: ١٣٢.

[٥٦٠] في تفسير آيات الأحكام: ١/١٠٥، الايرواني.

المضمونة برعاية الله تعالى وملازمة للعبد في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[٥٦١] .

لا تخلو من الدلالة النفسية الضمنية لما تنطوي عليه من اطمئنان المفزع ليكون قريبا من الله تعالى ومتجلدا بالصبر مثبتا قواه النفسية تحت سيطرته،

والصبر دلالة نفسية مثمرة في تهذيب النفوس وترويض القلوب للطاعة والالتزام بقوانين السماء.

ولاتتوقف الوظيفة النفسية على ما تعمله من ضبط للانفعال النفسي بل الى ما تحدثه من استعداد نفسي من توجه نحو الخير والصلاح واجتناب الفواحش والمنكرات، في قوله تعالى ((وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[٥٦٢].

وقد نلحظ ان العامل النفسي كان له الاثر في رسم صورة الحكم الشرعي، كما في اية الخوف في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[٥٦٣] .

وقد نلحظ عنصر الترغيب في اعقاب آيات العبادة في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٥٦٤] و ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٥٦٥] وتكرار هذا الاسلوب مرده الى احداث استجابة ملائمة حيال العمل العبادي، فكلمة (لعل) توحي بالتمني في صورة الممكن

---

[٥٦١] سورة البقرة: ٤٥.

[٥٦٢] سورة العنكبوت: ٤٥.

[٥٦٣] سورة البقرة: ٢٣٩.

[٥٦٤] سورة النور: ٥٦.

[٥٦٥] سورة الجمعة: ١٠.

القريب الحصول، وذلك لكمال العناية به والتشوق اليه والاشعار بعظمة المُتَمنَّى[٥٦٦] وهو الفوز برضا الله والجنة.

ومن ثم فإن البعد النفسي لفرائض العبادات هي ضبط النفس والتمكن من تحديد سلوكها ومسيرتها لدى الانسان وجعلها طوع قواه العقلية من خلال الالتزام بشروط العبادة، واذا نظرنا الى تفاصيل الصلاة في الالتزام المكاني والزماني وهيأة المُصلي وكذلك عنصر الخشوع ندرك ان هذه العملية العبادية، لاتتحقق على اكمل وجه ما لم تُضبَط قوى النفس الفكرية والشعورية وتوجيهها توجيها خالصا لله تعالى.

وفي الصوم والحج كل واحدة من تلك الفرائض تتطلب استعدادا نفسيا كي يقبل العمل العبادي، فان تعطيل حاجات الانسان الحيوية من اكل وشرب ومباشرة، محفز ودافع في تهذيب النفس وكبح الشهوات المفرطة وتعديل السلوك ولفت النظر الى حقيقة الجوع والعطش لدى الفقراء وحقيقة المعاناة والمكابدة التي تصاحب تلك الفريضة، من شأنها ان تحدث التوازن النفسي المرتجى.

كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾[٥٦٧].

إنّ هذه الفريضة تسهم في تدريب الشخصية على تأجيل اشباعاتها وفي تدريبها ومن ثمة على تعلم السلوك السوي[٥٦٨].

ويمكننا ملاحظة هذا التأكيد على البُعد النفسي للفريضة وارتباط ذلك بعمليات التأجيل للشهوات أي التأجيل النفسي، وليس تأجيل الطعام فقط، مما يعني ان عمليات

---

(٥٦٦) ينظر: البلاغة الواضحة: ٢٧.

(٥٦٧) سورة البقرة: ١٨٧.

(٥٦٨) ينظر: الاسلام وعلم النفس: ٢٩٦.

التدريب تنصب على ما هو نفسي أي على ما هو مخالف لهوى النفس(٥٦٩).

وقد نلحظ انعكاس العمليات النفسية على مفهوم السلوك السوي عباديا ونفسيا في آيات الحج التي تحث الانسان على الانضباط بمباديء اخلاقية (لارفث ولافسوق ولاجدال في الحج) وكذلك جزئيات الفريضة وتفاصيلها الشاقة، هي واحدة من تلك التدريبات النفسية على الالتزام بطاعة الله تعالى ومن ثمَّ توجيه النفس الى اختيار الجانب الايجابي وسيطرة الانسان على نفسه تكون اسهل وايسر بفعل خضوع الاهواء والعواطف الى ادراك الوعي العقلي

وكما في تأجيل الصيد حال الاحرام في قوله تعالى﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ ﴾(٥٧٠).

هذا القانون القرآني في التدرج لايبتعد عن اختبار الانسان وقابليته على التحكم بعواطفه ونزعاته، وكيفية السيطرة على قواه الشعورية.

ونخلص الى ان آيات العبادة، كانت السمة البارزة للدلالة النفسية هي عملية ضبط لقوى النفس، وتمكينها من السيطرة على انفعال الانسان وتسليط الوعي للسيطرة على المدركات الشهوية، وتفعيل قوى العقل في التحكم والارادة.

ثانيا: آيات الحدود، يتجلى البعد النفسي في هذه الآيات الكريمة في اتجاهين: الاول، الكشف عن العمليات النفسية والاخر معالجة السلوك الشاذ والنفس المريضة.

وذلك ما نلحظه في الآيات المتعلقة بجرائم القتل، في قوله تعالى﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ

---

(٥٦٩) ان نقص الطعام يؤدي الى سلوك استكشافي يتوقف على اثر استهلاك الطعام، وهكذا تتحقق الانضباطية الذاتية للجسم: علم النفس التجريبي: ١٤٦.

(٥٧٠) سورة المائدة: ٩٤.

اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٥٧١) .

تنطوي هذه الاية على ملاحظة نفسية قد أخذت بعين الاعتبار وهي ان عملية القصاص تكون استجابة لمثير وهوالقتل العمد؛ وبهذا يكون القاتل ذا سلوك منحرف شاذ قد هان في نفسه حياة الانسان وقد فَقَدَ الاحساس ببشاعة القتل وقبحه وهذا فارق بينه وبين من قتل بـــ (الخطأ) وقد اطلق النص كلمة (خطأ) كي تثبت الدية فيه دون القصاص في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾(٥٧٢).

وفي القتل العمد جعل النص الكريم حالتين الاولى هي القصاص والثانية الحث على العفو والتنازل، وعد ذلك نحوا من التصدق والاحسان وموجبا للاجر العظيم موحيا بذلك الى ان القصاص حينما شُرِّع ليس للانتقام والثأر بل جاء رادعا نفسيا لبيقة افراد المجمتع ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾(٥٧٣).

هذا داعٍ الى العفو وفيه استشعار نفسي الى ان القتل لا يقطع اخوة الايمان التي رسَّخها الاسلام.

فضلا عن تحقيق العدالة المتمثلة في قوله تعالى: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾(٥٧٤)؛ وبهذا بعث على اطمئنان النفوس بان ارواحهم مصانة وحياتهم مأمونة ما دام هناك رادع ومعالج لهذه الانفس الشاذة، كما في ذيل الاية الكريمة

(٥٧١) سورة البقرة: ١٧٨.

(٥٧٢) سورة النساء: ٩٢.

(٥٧٣) سورة البقرة: ١٧٨.

(٥٧٤) سورة البقرة: ١٧٨.

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[575] وقد نلمس المعالجات النفسية في آية المحارب قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[576] .

ذلك التصوير المرعب في الحياة الدنيا والخزي والعذاب في الاخرة لإثارة العواطف والبعث على القلق النفسي لاحداث السلوك العكسي لدى المنحرف.

وبعد هذا التهديد والترهيب في الحد نجد النص يفتح على الانفس باب ينقذها من الهلكة وهو باب التوبة، باعثا الامل من جديد ومطهرا للنفوس في قوله تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[577] .

وبهذا التعقيب احدث النص توازنا للعنصر النفسي بين الخوف والرحمة او بين العقاب والمغفرة.

أمّا في آيات جريمة الزنا فنجد ان النص الكريم قد كشف عن خبايا الضمائر من خلال قوله تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾[578].

وإنّ الاقتراب ما هو إلا محادثة للنفس والتفكير فيه وهو تعبير جيد عن تلوث جو النفس في التفكير بالحرام فقد تسلك النفس طريقا سلبيا شاذا وذلك في التفكير في الحرام وهذا ما يسلب النفس مناعتها وتمكن الاهواء والفتن من استدراج الانسان الى

---

[575] سورة البقرة: ١٧٩.

[576] سورة المائدة: ٣٣.

[577] سورة المائدة: ٣٤.

[578] سورة الاسراء: ٣٢.

المعاصي.

ثم يشرع النص الكريم حكم الحد للجريمة في قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٥٧٩].

فقد ابتدأ النص بذكر لفظة التشنيع وذلك لما اقتضت حكمة الله تعالى ان يفاجيء السامعين بهاتين اللفظتين الشنيعتين مبالغة في التقبيح والتنفير ثم يتركهم ينتظرون الحكم عن هذا الجرم الفضيع فيجيء الحكم له وقع في النفوس[٥٨٠].

أمّا المقطع الثاني من الاية الكريمة وهو الحكم بمائة جلدة، والجلد على ما فيه من وجع وألم شديدين واذلال واهانة للمحدود.

ثم يعقب ذلك مقطع ثالث وهو الامر بعدم الرأفة والشفقة بالمحدود لما في قلب المؤمن من رفقة وذلك ربما يحمله على تخفيف العقوبة فاراد الله تعالى ان ينفذ عليه العذاب كاملا ليرتدع الجاني وغيره.

أمّا المقطع الاخير فهو الحكم العلني وذلك اخزى للمحدود واكثر ايلاما للنفس وهو اردع لنفوس الناس واكثر تخويفا لهم ليتجنبوا الفعل، ويكون العفاف طبعا لهم،ونلحظ في كل من المقاطع الاربعة بعدا نفسيا يثير العواطف ويحرك النفوس نحو النفور من ذلك الجرم.

وقد يسوقنا هذا الموضوع الى اخر قريب منه وذا بعد نفسي وهو يخص العلاقة الجنسية فقد كشف النص الكريم ضمنا عن المؤثرات في نفوس الناس تجاه الجنس الاخر معالجا تلك المؤثرات من خلال تشريع الأحكام مباشرة.

ففي قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى

---

[٥٧٩] سورة النور: ٢.

[٥٨٠] ينظر: في رحاب القرآن: ٢٦٨، الشيخ بيوّض.

﴿لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[٥٨١].

ونحو قوله تعالى:﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾[٥٨٢] وقوله تعالى: ﴿وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾[٥٨٣] وقوله تعالى: ﴿فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾[٥٨٤].

ومن خلال تلك الاوامر والنواهي نجد ان للنظر والصوت والمحادثة حافزاً له اثره في استمالة النفوس وايقاظ الهوى فيما يخص الرجل.

ولابد من الاشارة الى ان النص القرآني حرص الى الايماء الى هذه المؤثرات لان الهدف هو تجنيب المسلم والمسلمة الوقوع فيما نهى الله تعالى عنه فاكتفى بذكر غض البصر بما يترتب على ذلك من انقياد نحو المعصية وقد تساوى المؤمن والمؤمنة في الاية.فجاءت هذه النواهي كابحا للمنبهات الداخلية في تأثيرها النفسي في سلوك الفرد.

ثالثاً: آيات الانفاق، تظهر الوظيفة النفسية بشكل واضح في تلك الآيات فيلاحق النص الكريم النفس الانسانية ليصلحها من افراطها وتفريطها، فقد وردت آيات في اصل الانفاق والحث عليه فقد حبب النص الانفاق ورغب فيه، وهو عامل مهم في اثارة الانفعالات نحو تهذيب النفوس من الطمع، وترقيق الطباع من الشح، ونحو ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٥٨٥].

وهو تسخير الطبائع والنفوس للانفاق،ويقف النص امام خبايا النفوس المريضة كاشفا عن ايثار الفرد نفسه وحبه لذاته واعدا بعدم نيل البر، حتى يكون الانفاق مما

---

[٥٨١] سورة النور: ٣٠– ٣١.

[٥٨٢] سورة النور: ٣١.

[٥٨٣] سورة النور: ٣١.

[٥٨٤] سورة الاحزاب: ٣٢، وصرّح بالأنفس المريضة التي تستجيب لترقيق الصوت.

[٥٨٥] سورة البقرة: ٢٧١.

ترتضيه النفس لها مذكرا ان الله تعالى عليم بالاسرار والاعلان وذلك في قوله تعالى:﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[٥٨٦].

وأمراض النفس لاتقف عند ايثار النفس او الاغماض في الانفاق بل هناك الانفس المنانة التي لا تنفق إلا منا أو اذى لتعلو على رقاب الناس، وهذا في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾[٥٨٧] .

وقد نلحظ الرابط النفسي في طبيعة الانفاق في قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٥٨٨]، فهذه الاية قائمة على ثلاثة مقاطع مترابطة فيما بينها الاول، هو الامر بالانفاق في سبيل الله، والمقطع الثاني النهي عن القاء النفس في التهلكة، والاخير هو الاحسان وحب الله تعالى لمن يحسن.

ان الدلالة النفسية في الاية جاءت في توجيه النفس الى الانفاق المتزن من خلال دلالة (وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) وهو نهي زاجر منفر، لما توحيه الجملة من البخل الموصل الى التهلكة او الاسراف المؤدي الى التهلكة فجاء المقطع الاخير ليرجح الانفاق بالاحسان محدثا اتزانا نفسيا بين البخل والاسراف.

رابعاً: الآيات التربوية، فقد حددت الآيات الكريمة مستويات السلوك بنمطية (السوي/ والشاذ) وذلك ما نلحظه من تضاعيف الآيات.

إنّ أظهر مستويات السلوك السوي في النصوص الكريمة هي التقوى، فقد امر النص الكريم بالالتزام بها في اكثر من موضع وموضوع يقول الله تعالى:﴿اتَّقُوا

---

(٥٨٦) سورة آل عمران: ٩٢.

(٥٨٧) سورة البقرة: ٢٦٤.

(٥٨٨) سورة البقرة: ١٩٥.

اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[٥٨٩]، ويقول تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[٥٩٠] وقوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[٥٩١] وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾[٥٩٢].

ان التقوى من اقوى العوازل النفسية التي تحمي الانسان من الاهواء والفتن، وهي تمنح صاحبها قدرة على الانتباه المبكر، فالتقوى تقوم على قوة التذكر والبصيرة لحدود الله، والالتزام بالمباديء القرآنية وتحصين النفس من الاهواء والهواجس الضالة، لقدرة هذا العنصر على المواجهة .

وبالمقابل نجد ان الهوى، هو العقدة النفسية التي يعاني منها الانسان وهي تتسلط عليه في مختلف المواقف والظروف، إذن تمثل المستوى السلوكي الشاذ للفرد، وهذا في قوله تعالى:﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾[٥٩٣]؛ ذلك بأن سلطان الهوى على النفوس شديد.

وعلى اساس ذلك يكون الرياء والحسد والكذب والاسراف والبخل، وبخس الميزان، ولمز الناس، والنميمة والغيبة، وكثير من الاثام مردها اتباع الاهواء، وبهذا حدد النص الكريم السلوك الشاذ[٥٩٤].

وبالمقابل وعلى اساس التقوى، تكون التوبة، والعدل، والاحسان، والانفاق، والبر، والامر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والوفاء، واداء الامانة، هو مستويات

---

[٥٨٩] سورة آل عمران: ١٠٢.

[٥٩٠] سورة التغابن: ١٦.

[٥٩١] سورة المائدة: ٢.

[٥٩٢] سورة الاحزاب: ٧٠.

[٥٩٣] سورة الشورى: ١٥.

[٥٩٤] ينظر: سورة النساء: ١٤٢، سورة الماعون:٦، سورة النحل: ١٠٥، سورة غافر: ٢٨، سورة الحديد:٢٤، سورة الشعراء: ١٥، سورة هود: ٨٤– ٨٥، سورة الحجرات: ١٢، سورة القلم: ١١.

السلوك السوي[٥٩٥].

(٥٩٥) ينظر: سورة التحريم: ٨، سورة النور: ٣١، سورة الانفال: ١، سورة الاسـراء: ٢٣، سـورة الاعـراف: ١٩٩، سـورة آل عمران: ١٠٤.

المبحث الثالث

الوظيـفة الاخـلاقية

إنَّ المعرفة الاخلاقية على نمطين ما كان نظرة وصفية للاخلاق باعتبـــار ان موضوعها هو تحديد القواعد التي يسلك الانسان بمقتضاها في الواقـــع[٥٩٦]، فهـــي مجموعة القواعد السلوكية التي تعارف عليها مجتمع في حقبـــة مـــن التـــاريخ[٥٩٧]، وعلى هذا يكون علم الاخلاق وثيـــق الـــصلة بعلـــم الـــنفس؛ لانـــه مقدمـــة لعلـــم الاخلاق[٥٩٨].

ذلك بأنّ المفهوم الاخلاقي يخالجنا من الداخل على شكل مشاعر، ويخالجنـــا من الخارج تحت ضغط الاخلاق حينما تكون مقابلة بين الخير والشر[٥٩٩]، فيكـــون وثيق الصلة بعلم الاجتماع، اذ ان دراسة السلوك من اعمال الانسان الارادية وهـــي موضوع الاخلاق التي تحتم على دراسة الحياة الاجتماعية التي هي موضوع علـــم الاجتماع[٦٠٠].

وتأتي النظرة الفلسفية، التي تجعل علم الاخلاق فرعا من فروع الفلسفة[٦٠١]، في حين أن موضوعه هو فرض القواعد التي ينبغي ان يحتذيها الانسان في ســـلوكه أي يعدونه علما معيارياً، يقوم على الأحكام التقويمية وان موضوعه هو قيمة الخيـــر والشر، لان مهمة الاخلاق، انما تنحصر في وصف المثل الاعلـــى وبيـــان الكمـــال الاخلاقي او تشريع القانون الاخلاقي والحجة في ذلك ان الاخلاق علم عقلي يدرس ما ينبغي ان يكون، فهي ليست دراسة تقريرية للعادات والسنن والطبائع الخلقية بين الناس؛ بل هي دراسة معيارية للخير والشر، اذ اصبحت الاخـــلاق عنـــد الفلاســـفة

---

(٥٩٦) الاخلاق والمجتمع: ٣.

(٥٩٧) م.ن: ٣.

(٥٩٨) الاخلاق: ١٧.

(٥٩٩) المذاهب الاخلاقية الكبرى: ٦.

(٦٠٠) الاخلاق: ١٧.

(٦٠١) م.ن: ١٦.

نظرية المثل الاعلى[٦٠٢].غير ان المفهوم العام يثير العديد من الـصعوبات مـا ان يتناوله التفكير اذ تتحدد المشكلة الاخلاقية عندما توافق الحدث الاخلاقي[٦٠٣].

ويظهر ذلك من خلال الذات والزمان والمكان اذ ان وجود مفـاهيم اخلاقيـة لدى شعوب او جماعات تختلف بصورة كاملة عن مفاهيم غيرها، وغريبة عنها كل الغرابة، وللازمان مفاهيمها وقيمها التي تخالف ازمان اخرى[٦٠٤]، إلا انه لايعدم هناك قواعد اساسية والتي لايمكن لمجموعـة انـسانية الاسـتمرار بهـا او مـن دونها.وعليه تبين هذه التناقضات وجود مشكلة، يدركها من يمتلك عمقا عقليا أن يفهم فكرة الاخلاقية وان يوحدها وان ينسقها.

ويرى بعضهم انه ليس يسيراً تعريف المواقف الاخلاقية الاساسية ((ولعـل مـن الافضل بوجه من اوجه الاعتبار ان نجعلها ما دامت لا شعورية دوما، فالافعال وحـدها هي الجديرة بالعناية ... فمن المشروع اعتبار الفعل مركز الحياة الاخلاقية))[٦٠٥].

وعلى وفق هذه الرؤية شهدت الازمنة نتاجات فكرية في الاخـلاق متمثلـة بمذاهب اخلاقية، غايتها انشاء اخلاقية عقلانية، ولهذا يـرى هيغـل: ((ان البنـاء الاخلاقي؛ أي بناء اخلاقي شأنه شأن أي حدث تاريخي، واية نظرية فلسفية او ايـة ظاهرة انسانية فهو يشكل مرحلة ضرورية من مراحل تطور الانسانية))[٦٠٦].

اما الوجه الاسلامية للاخلاق فلها بعد اخر، فهـي قائمـة علـى الـشريعة الاسلامية التي دعت الى الاعتقاد بان الله (عز وجل) مصدر كل شيء فـي العـالم وواضع النظام والطريق الذي يسير عليه الانسان، ومشرّع القوانين والأحكام التـي

---

[٦٠٢] الاخلاق والمجتمع: ٤، الاخلاق والحياة الاقتصادية: ٥، ان الاعتقاد الاخلاقي هي تجربة المثل الاعلى وهي ليست تجربة حادث بل هي مستمدة من الحقيقة الموضوعية.

[٦٠٣] المذاهب الاخلاقية الكبرى: ٧.

[٦٠٤]م.ن: ٨.

ان المشكلة الاخلاقية هي فقدان اليقين الاخلاقي، واليقين الاخلاقي هو احساس ذاتي في الفرد بانه يملك حقيقة ما هو فاضل ورذيـل وطيب وخبيث، فهو قاعدة للافعال الانسانية؛ اذ ان السلوك ينبني على اساس القناعات الاخلاقية التي يحملها الفرد،ظ: دراسـة فـي الاسس العلمية للفلسفة الاخلاقية عند سبينوزا، زيد عباس كريم.،رسالة دكتوراه: ٢٢.

[٦٠٥] المواقف الاخلاقية: ٥.

[٦٠٦] المذاهب الاخلاقية الكبرى: ١٤.

يجازي عليها في الدنيا والاخرة، وان الله تعالى لم يأمر وينهى اعتباطا، بل انه عز وجل جعل صلاح الدنيا وانتظام شؤونها يتوقف على قيم اخلاقية فأمر بها وجعل فسادها باضدادها فنهى عنها[٦٠٧].

ولذلك كان الدين عماد كثير من النظريات الفكرية لدى علماء الاسلام، وهذا ما اوقفهم عن البحث في اساس الخير والشر ذلك بان تعاليم القرآن، ليست مجرد مجموعة من الطقوس والعبادات وانما هو نظام شامل للحياة المدنية والاخلاقية، لا لما ينطوي على مباديء غيبية، بل للحلول التي قدمها لمشكلات الانسان الاخلاقية[٦٠٨].

وهذا ما جعل للنص سلطة واضحة المعالم ومطلقة الفعالية في الكشف عن الحقائق الكلية.

فالغزالي يرى ان علم الاخلاق هو تكييف النفس وردها الى ما رسمته الشريعة وخطّه رجال المكاشفة من علماء الاسلام، ومن سبقهم من الانبياء والصديقين والشهداء[٦٠٩].

وقد عرف الخلق بانه ((عبارة عن هيأة في النفس راسخة عنها تصدر الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فإن كانت الهيأة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيأة خلقا حسنا، وان كانت تصدر عنها الافعال القبيحة سميت الهيأة التي هي المصدر خلقا سيئا))[٦١٠].فاذن الخلق عنده هو عبارة عن هيأة النفوس وصورتها الباطنة.

وذهب الى تعريف الخلق الحسن بانه اصلاح القوى الثلاثة: قوة الفكر، وقوة الشهوة، وقوة الغضب[٦١١].

---

[٦٠٧] الاخلاق: ١٣٦.

[٦٠٨] الاخلاق عند فلاسفة المغرب العربي: (رسالة دكتوراه): ٢٠.

[٦٠٩] احياء علوم الدين:الغزالي: ٥٣/٣.

[٦١٠]احياء علوم الدين،الغزالي: ٥٦/٣.

[٦١١] الاخلاق عند الغزالي: ١١٥.

أمّا الفارابي فقد ركز على مفهوم السعادة وهي في نظره الغاية القصوى للانسان، وهي تنال بممارسة الاعمال المحمودة عن الارادة والارادة عنده دعامة الاخلاق[٦١٢].

ومن خلال البحوث الاسلامية في الاخلاق تحدد مقدمة مهمة تتضح بموجبها نتائج البحث الاخلاقي الاسلامي، وهي ان علم الاخلاق هو علم السلوك لتشخيص الصالح عن الشائن، ولما كان علم التشريع (الفقه) المنبثق عن آيات الأحكام القرآنية يمثل العدل الالهي، وان العدل جزء من الاخلاق، اذ ان قضيته الرئيسة هي ادراك حسن العدل وقبح الظلم، كان علم التشريع كله ناشئا من منشأ اخلاقي[٦١٣].

ومن جانب اخر ان التشريع وجد من اجل ايجاد السلوك الصالح وعلم الاخلاق علم السلوك فكان الالتقاء والتداخل بين العلمين الى ((حد يكاد يكون احدهما عين الاخر))[٦١٤].

وان كان اهتمام المتشرعة الى ما تؤول اليه الأحكام من ثواب وعقاب وطاعة ومعصية إلا انه كان من صميم السلوك الاخلاقي العام، وهو مقدمة للاخلاق العليا بل انه مقدمة للفرد السالك في مدارج الكمال، مهما كان مرتفعا اذ ان ((جميع العلوم الشرعية مقدمة لمعرفة الله تبارك وتعالى ولحصول حقيقة التوحيد في القلب، فعلم الفقه مقدمة للعمل، والاعمال العبادية هي بنفسها مقدمة لحصول المعارف وتحصيل التوحيد والتجريد، ان أديت بآدابها الشرعية القلبية والقالبية والظاهرية والباطنية))[٦١٥].

وبالنتيجة ان مقصد القرآن الكريم هو تصفية العقول وتزكية النفوس لحصول المقصد الاعلى وهو التوحيد[٦١٦].

---

(٦١٢) **تحصيل السعادة: ٣٢.**

(٦١٣) **فقه الاخلاق: ٥.**

(٦١٤) **م.ن: ٢٧.**

(٦١٥) **جنود العقل والجهل: ٩.**

(٦١٦) **م.ن: ١٠.**

فالتشريع في القرآن، هو تنظيم للعلاقات الدنيوية وهي من ثم تمهيد للصلات الروحية بين الانسان والله الكبير المتعال، ذلك بان سياق القرآن كله يتجـه وجهـة روحية ويذكر الانسان بالله تعالى خالقه مخوفا اياه من بطشه ومطمعا فـي جزيـل ثوابه للصالحين[٦١٧].

وعلى هذا الاساس يكون علم الاخلاق، على نمطـين: الاول، هـو الجانـب الظاهري من الشريعة وهو السلوك الحسن ومعاملة الاخرين ويخص العامـة مـن الناس، وبذلك تُحَدَّد بالتكاليف العامة من الواجبات والمحرمات أي الجانب الالزامـي في الشريعة.

اما الثاني فهو الجانب الباطني ويقصد به السلوك الاخلاقي العرفـاني الـذي يمثل العمق الاخلاقي، وهو يخص الخاصة من الناس القادرين على بلوغ ذلك العمق وهذه التكاليف المعَمَّقة تشمل المستحبات والمكروهات وهـي غيـر الزاميـة فـي الشريعة، فتكون أحكاماً اخلاقية بطبيعتها فهي تربي الفرد من خطوة اعلى من مجرد الالتزام بما هو الزامي في الشريعة.

وهي تعد اولى الخطوات نحو الكمال الاخلاقـي اللائـق والعـالي تتبعهـا مستويات ورياضات من التعاليم المُعَمَّقَة للسلوك الاخلاقي العالي، الذي يختص بالقلة من الافراد ممن يتحملونه وهم اهل العرفان والتصوف.

ان هذا المستوى العالي من الاخلاق يبدأ من ادنى مستويات الفرد ويتدرج به الى الكمال، وان اولى الخطوات في ذلك هو الالتزام بالشريعة الظاهرية حتى ما اذا حصل ذلك بالاخلاص كان الفرد مستحقا للخطوة الثانية في طريق الكمال[٦١٨].

وفي ضوء ما تقدم تنقسم الشخصية الانسانية إلى شخصية مادية وشخـصية روحية فالاولى هي الشخصية التي تتأدب بالقانون أي التي يخص الجانب الالزامـي (الواجبات والمحرمات) والثانية هي الشخصية التي تتأدب بفضل الروح أي الجانب

---

[٦١٧] التصوف الاسلامي: ٢/ ٦- ٨.

[٦١٨] ينظر: فقه الاخلاق: ١/١٠- ١١.

غير الالزامي من الشريعة[٦١٩].

واذا نظرنا الى تلك الرؤية في علم الاخلاق والمشاكل عند الفلاسفة وعلمـــاء الاخلاق نجد ان قيمة المعرفة الاخلاقية تتجلى من خلال الكيفية التي ساق بهـــا الله سبحانه وتعالى الأحكام فالقرآن الكريم حدد المفاهيم الاخلاقية، حينما ربطها بتفاصيل الأحكام وهذا الاخير مرتبط بتفاصيل افعال الانسان العبادية والعملية.

وانتقالا الى التطبيق الاجرائي تتجلى الاخلاق المثالية من خلال توظيف القيم داخل النص الكريم، في الاتي:

اولاً: في آيات العبادة، بعد اخلاقي وهذا ما نلحظه من خلال التركيز على اقامة الصلاة فهي نوع من الانضباط للاوامر الالهية وطاعة له، والتزاما بما اقره، كما في قولـــه تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ﴾[٦٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٦٢١] .

فالصلاة قيام بين يدي الله (عزوجل)، يكبح غرور الانسان ويأخذه بالخـــشوع والتواضع امام عظمته وقدرته وجلال خلقه آخذةً بالنفس المريضة الاثمة المنّاعـــة، نحو الصلاح وسمو الروح مرهفة النفس نحو تزكية الطباع وتهذيب الـــسريرة عـــن الفحش والمنكر كمـــا فـــي قولـــه تعـــالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[٦٢٢].

وحين لا تؤدي الصلاة غايتها من النهي عن الفحشاء والمنكر، فانهـــا تعـــود

---
[٦١٩] التصوف الاسلامي: ٢/٤.
[٦٢٠] سورة الانعام: ٧٢.
[٦٢١] سورة النور: ٥٦.
[٦٢٢] سورة العنكبوت: ٤٥.

بذلك طقوسا شكلية وحركات آلية مجردة عن معناها وحكمتها.

والنص الكريم لايقبل ان تكون الفرائض فارغة من مضمونها؛ بل يتجه بالعبادات الى ان تكون تهذيبا للنفس ورياضة للضمير وهداية الى خير الفردوالجماعة(٦٢٣)، وهذا ما توضحه الاية الكريمة في قوله تعالى:﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾(٦٢٤).

في هذه الكتلة السياقية تكثيف واختزال لمكارم الاخلاق وفضائل الاعمال تبدأ من التوحيد بالله الى الصبر في البأساء(٦٢٥).

وقد استثمر النص الاسلوب الايحائي الذي تمركز في كلمة (البر) وانتهى بالصورة الوصفية لاولئك الصادقين والمتقين لتحقيق غاية اخلاقية.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾(٦٢٦).

إنّ اظهار فرائض العبادة لها دلالة اخلاقية من حيث اظهار العمل الصالح المتحقق في تادية الصلاة ومن ثمة الاقتداء به.

---

(٦٢٣) التفسير البياني للقرآن الكريم/بنت الشاطيء: ٢/١٩١.

(٦٢٤) سورة البقرة: ١٧٧.

(٦٢٥) التوحيد غاية الاخلاق عند الصوفية، والصبر احد مقاماتهم، ينظر: مجلة المبين/ع٢/٢٠٠٥م/ سير السلوك في فكر اهل العرفان دراسة اخلاقية/د. نعمة ابراهيم.

(٦٢٦) سورة طه: ١٣٢.

ولابد من ملاحظة القيمة التربوية للاية حيث انها تـأمر النبي k وغيره بالصبر على الصلاة وعدم الانشغال عن وقتها بالرزق، فالله تعالى تكفل به، فالتفرغ للعبادة وقت الصلاة له قيمة تربوية في البناء الروحي للمجتمع الاسلامي.

وتتعدى الوظيفة الاخلاقية الى اجزاء الصلاة اذ يُلمح البعد الاخلاقي في زمانها ومكانها وفي الستر ، والذكر، والتعوذ، والطهارة، والخشوع[٦٢٧].

ففي قوله تعالى:﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[٦٢٨] .

إنّ لتقارب أاوقات الصلاة وظيفة اخلاقية، في كونها تضيق الوقت على المرء في ارتكاب الفواحش والالتزام في النهي عن المنكر، فالصلاة معراج المؤمن فلا ينبغي له ان يعرج بنفس خبيثة، وصفات دنيئة؛ بل لايمكن ذلك على الاطلاق، فحقيقة الصلاة تتناقض وتتقاطع مع اتيان الفواحش والمنكر، اذن هي تقييد للسلوك الاخلاقي السلبي وقتيا.فضلا عن ذلك ان الله سبحانه وتعالى اختار للصلوات اليومية افضل الاوقات دنيويا ودينيا[٦٢٩]، بلحاظ قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾[٦٣٠] وقوله تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾[٦٣١] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾[٦٣٢].

اما من الناحية الدنيوية فان اوقات الصلاة اليومية هي ليست وقت عمل عادة او هي وقت راحة وهدوء وفيها يكون المرء في توجه لله سبحانه باعثا على الخشوع

---

[٦٢٧] ينظر: موسوعة اخلاق القرآن: ٣/ ٥٦٢.، ١٥٤، ١٤٢، ينظر: فقه الاخلاق: ٥٧/١، ١٨٧.

[٦٢٨] سورة هود: ١١٤.

[٦٢٩] ينظر: فقه الاخلاق: ١٧١/١

[٦٣٠] سورة الاسراء: ٧٨.

[٦٣١] سورة آل عمران: ١٧.

[٦٣٢] سورة المزمل: ٦.

والخضوع والتضرع[٦٣٣].

وللمكان بعد اخلاقي اذ لايمكن ان تقام الصلاة في مكان مغصوب او غير طاهر، وقد نتلمس الايماءات الاخلاقية في استحباب تأديتها في المساجد فالمسجد هو مكان مشاع للجميع فضلا عن مدح المصلين فيه بالطهارة ونهي المشركين من الاقتراب منه لقوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[٦٣٤].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾[٦٣٥].

إنّ المساجد ذات تأثير وضعي او موضوعي في زيادة التقرب المعنوي الى الله تعالى والخشوع له والتضرع اليه وقد تكون القبلة الى بيت الله احدى هذه العبر الاخلاقية التعبدية[٦٣٦]، فضلا عن ذلك يعد المسجد مدرسة تربوية متكاملة لبناء اواصر المحبة بين الناس لاجتماع المؤمنين فيه لطاعة الله تعالى لذلك نهى من اقتراب المشركين اليه كي لا يفسدوا تلك الروح الجماعية السامية.

وهكذا ان معظم تعاليم الشرع وما افترض من فرائض يتعلق بالظاهر ولكن الدين يدعو الى الاعمال الباطنية، أي ان للشريعة حكما على المُكلّفين من حيث ظاهر اعمالهم، وحكما عليهم من حيث باطن اعمالهم.

ففي الصلاة معانٍ باطنة ما أن يستقبل المُكَلف القبلة فقد وجب ان يصرف قلبه عن سائر الامور إلا الله سبحانه ،وحركات الصلاة ليست إلا لتحريك الباطن

---

[٦٣٣] فقه الاخلاق: ١/١٧٢.

[٦٣٤] سورة التوبة: ١٠٨.

[٦٣٥] سورة التوبة: ٢٨.

[٦٣٦] ينظر: فقه الاخلاق: ١/١٧٣- ١٧٤.

وضبط الجوارح[٦٣٧]، بل ان النية [٦٣٨] في بدء الصلاة تعني عـزم الانـسان على الامتثال لله تعالى والكف عن المعاصي، وهكذا في كل جزئية مغزى اخلاقـي يحث المرء على لزومه .

وقد يلحظ البُعد الاخلاقي بشكل كبير في النصوص الكريمة التي تحث علـى (الطهارة) فهي في اللغة النظافة والتنزه عن الادناس، وفي الشرع هي رفع الحـدث وازالة النجاسة او ما في معناهما.

والطهارة في النص القرآني ضربان طهارة حسية وطهارة معنوية، واغلـب الآيات التي جاء فيها ذكر التطهر لاتخرج عن ذلك كما فـي قولـه تعـالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾[٦٣٩].

أي ينزل عليكم ماءً طاهراً مطهراً، فالماء للطهارة الحسية.

وفي الوقت نفسه ترتكز هذه الطهارة على معنى اخلاقي؛ اذ ان القصد من الطهـارة تطهير السرائر؛ اذ يبعد ان يكون المراد مجرد نظافة الظاهر بالمـاء، مـع خبـث الباطن.

فالغرض من التطهير تعمير القلب بالاخلاق المحمودة والعقائد المـشروعة، وذلك يقتضي تطهُّره من نقائضها من الرذائل الممقوتة والعقائد الفاسـدة، وغـرس الاخلاق الفاضلة، وقد صرح النص الكريم بالطهارة الاخلاقية او الوجدانية[٦٤٠]، في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ﴾[٦٤١]، وكذلك نجد المعنـى

---

[٦٣٧] ينظر: الفلسفة الاخلاقية في الفكر الاسلامي: ٢٨٨.

[٦٣٨] ينظر: فقه الاخلاق: ١/ ١٩.

[٦٣٩] سورة الانفال: ١١.

[٦٤٠] الفلسفة الاخلاقية في الفكر الاسلامي: ٢٨٨.

[٦٤١] سورة التوبة: ١٠٣.

الاخلاقي في قولـــه تعـــالى:﴿وَإِذَا طَلَّقْتُـمُ النِسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُـمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُـمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُـمْ أَزْكَى لَكُـمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَـمُ وَأَنْتُـمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[٦٤٢]،أي ذلك خيـــر لكـــم وافضل وأطهر لقلوبكم من الريبة، نحو قوله تعالى:﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُـمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُـمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[٦٤٣]،أي احفظ لقلوبكم وقلـــوبهن مـــن الشك وخواطر السوء فدل على معنى اخلاقي كريم في العفة والتصوّن عن ارتكاب الفاحشة .

وعلى هذا الاساس استنبط اهل الباطن (الصوفية) من ظواهر الاوامر التعبدية معانيا خلقية غاية ما افترض على المسلم من فرائض، وهم يعدون ان الباطن اصـــل الظاهر فقد ذهبوا الى طرق في المقابلة بين طهارة الحس وطهارة النفس[٦٤٤].

إنّ الغاية الاخلاقية الظاهرة ترتكز في غرس بذور الاخلاق الفاضلة في نفـــوس المصلين منمية روح البر والألفة في اعماقهم،ولذلك حذر النص القرآني مـــن (الريـــاء) في اداء العبادة، فالمصلون الذين يؤدونها اداءً شكليا يراؤن بها غافلين عن حكمة اقامتها وهي مراءاة وتظاهر بالعبادة والتقوى، قصدا الى جلب منفعة او دفع اذى .

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُـمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ

---

[٦٤٢] سورة البقرة: ٢٣٢.

[٦٤٣] سورة الاحزاب: ٥٣.

[٦٤٤] ينظر: موسوعة اخلاق القرآن: ٦٦/٣.

قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً﴾[٦٤٥].

وفي موضع اخر ينذر بالويل (للمصلين)[٦٤٦] الساهون، وهو بهذا يقرر صفة اخلاقية ذميمة مقابل تلك الفضيلة المخلصة لله تعالى، فالمراءاة ان يُظهر الانسان خلاف ما يُبطِن، فهو يُري الناس ظاهرا محمودا، وهو يضمر ما ينقضه، فهو للنفاق اقرب الذي يكتم الكفر ويظهر الاسلام.

ولا نعدم البُعد الاخلاقي في فريضة الصوم ما دام المرء يدأب في تحصيل فضل الله تعالى ويسعى الى رضوانه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ... شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٦٤٧].

تدلّ الآيات الكريمة على تشريع الصوم في حق المؤمنين وانه ثابت عليهم كما هو ثابت على الامم السالفة.

وان اختيار فريضة الصوم لشهر رمضان فيه فضيلة زمانية، فهو افضل الاوقات دينيا لما اشار اليه النص في نزول القرآن وهذا له مردود اخلاقي في وصول المرء الى عدة مستويات[٦٤٨]، من عمق درجة الايمان وصفاء القلب ولما

---

[٦٤٥] سورة النساء: ١٤٢.

[٦٤٦] ينظر: سورة الماعون: ٦.

[٦٤٧] سورة البقرة: ١٨٣، ١٨٥.

[٦٤٨] ينظر: فقه الاخلاق: ٣١٧/١.

كان الصوم يقصد القربة الى الله تعالى؛ يعني رمزية واضحة عن الامساك من اللذائذ المحرمة والاندفاعات النفسية والكف عنها، والصبر على تركها، حيث ان المعنى اللغوي للصوم الامساك عمّا تنازع اليه النفس، وفي الشرع الامساك عن المفطرات، فالمراد هنا – والله اعلم- المعنى اللغوي والشرعي، ويكون في تركها تكاملا معنويا مرضيا لله سبحانه، وهذا ما اشار اليه النص الكريم في ذيل الاية في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾(٦٤٩).

وقد سبق ذلك مطلب في جملة ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾(٦٥٠)، فالصوم سواء أكان واجبا أم مستحبا (فمن تطوع) لاترجع فائدته الى الله سبحانه؛ بل ترجع اليكم ايضا مادامت الاية الكريمة مجملة من هذه الناحية.

ونخلص الى الدلالة الاخلاقية التي اشارت اليها الاية من ابعادها المصلحية هو التذكير بجوع يوم القيامة وعطشه والتذكير بجوع الفقراء والمعوزين، وهو من ثم تحريك عاطفة الشفقة.

إنّ عاطفة الشفقة لاتأتي إلا لبث معنى التضامن الانساني، وفي الوقت ذاته نداء للعاطفة ووضع المرء وجها لوجه امام الواقع، وانعاش الارادة الاخلاقية، وايقاض الفكر العملي(٦٥١)،فضلا عن تعويد الفرد على قوة الارادة والتحمل والصبر، وتوجيه تلك الارادة للخير، ولذلك كان الصوم تطهيرا للقلب وصفاء للنفس.

أمّا الدلالة الاخلاقية في الزكاة فهي أوضح من سائر البعادات فان المعنى الاصطلاحي او الشرعي للزكاة منحدر عن المعنى اللغوي؛ الذي يعني النمو او

---

(٦٤٩) سورة البقرة: ١٨٥.

(٦٥٠) سورة البقرة: ٨٤.

(٦٥١) الاخلاق والحياة الاقتصادية: ٧.

بمعنى طاب، ويستعمل في المعنويات بملحظ من الخير والبركة .

ومنه قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾(٦٥٢).

فالتزكية هنا بمعنى التهذيب والتطهير اما في الشرع فهي تخص ما يدفعه المؤمن من ماله فريضة، فيزكو المال ببركة الله تعالى وثوابه، وان ارتباط (تطهرهم وتزكيهم) جاء اوثق للمعنى الاخلاقي في ان البذل للمال لم يكن عن قصد جزاء لاحد او من احد، وانما هو خالص لله سبحانه، وقوله (خذ من اموالهم) أي بعض من اموال الاغنياء لتطهرهم من الخصال المذمومة كـ (البخل، والتعلق بالدنيا)، وتحليهم بالصفات الحميدة التي تشعرهم بوجوب مساعدة الضعفاء.

ثانياً: آيات التعامل الاجتماعي، تبرز اهمية الوظيفة الاخلاقية من خلال اهتمام النص القرآني في الحث على الاخلاق الحسنة في التعامل بين الانسان والاخر حيث يدعو بشكل صريح الى التمسك بالاخلاق الفاضلة التي تطهر النفس وتحذره من الاخلاق السيئة، وقد هيّأ الله سبحانه وتعالى حججا باطنة وظاهرة تعرف المرء بالحسن والقبيح، او الخير والشر، ونستظهر القيم الانسانية العليا التي أمر الله تعالى بها في كتابه الكريم من خلال النصوص المباركة الاتية في قوله تعالى: ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٦٥٣).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ* وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٦٥٤)،وقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا

(٦٥٢) سورة التوبة: ١٠٣.

(٦٥٣) سورة الحجر: ٨٨.

(٦٥٤) سورة الشعراء: ٢١٤- ٢١٥.

رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾[٦٥٥] .

انبثقت عن جملة (خفض الجناح) دلالة اخلاقية اكد النص المبـــارك عليهـــا، واوضح قيمتها حينما وجه الخطاب الى الرسول (صلى الله عليه وآله وســـلم) فـــي النص الاول والثاني اما النص الثالث فكان فيه المعنى يدور حول شخصيتين يعلـــو حقهما على حقوق سواهما .

ويلحظ من اسلوب الامر والطلب العناية القرآنية بهذه الفضيلة ليدل على علو مكانة هذه الفضيلة الاخلاقية القرآنية وتشريفا لهذه المعاملة الانسانية عـــن طريـــق مطالبة الرسول k بها اكثر من موضع؛ ليكون خير اسوة للناس في الالتـــزام بهـــذا الخلق القرآني .

ففي النص الاول تواضع ولين عام شامل لكل المؤمنين والرفق بهم والحلـــم عليهم، اما في النص الثاني بدأ الاية بالانذار وفيه شدة وصلابة، ثم ذكـــر خفـــض الجناح وفيه رفق ولين وتواضع، فالنص يحدد آليات المعاملة على وفـــق مقتـــضى المقام، فاستعمل اللين في مواطنه، والرفق في مواضعه، والانذار والحزم في حاله.

أمّا في النص الثالث فهو تواضع للوالدين فوق طاعتهما وحفـــظ حقوقهمـــا، بلحاظ جعل للذل جناح مبالغة في التذلل والتواضع لهما والرحمة.

ومن الملاحظ في هذه النصوص الكريمة استثمار جمال التصوير الاستعاري في (خفض الجناح) للتعبير عن الوظيفة الاخلاقية .

واذا كان لـــ(خفض الجناح) مدلول اخلاقي في آيات الأحكام نجـــد ان كلمـــة (المعروف) تأخذ بعدا اخلاقيا واثرا كبيرا في سياقات النص القرآني واستعمالاته في كثير من المواضع المتباينة الأحكام بنفس قوة الدلالة وفاعلية المعنى.

و(المعروف) لفظة مأخوذ من مادة (المعرفة) وهي ادراك الشيء بتفكر وتدبر

---

[٦٥٥] سورة الاسراء: ٤٤.

لاثره، ثم استعمل هذا اللفظ في الامر المستحسن الذي هو ضد المنكر، فالمعروف اسم لكل فعل يعرف الانسان حسنه في العقل او الشرع(٦٥٦).

وتتحدد الوظيفة الاخلاقية لفضيلة (المعروف) في المصاحبة او المعاشرة مع الوالدين وهي تلزم الولد نحو والديه في قوله تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾(٦٥٧).

وتأتي المصاحبة بالمعروف او المعاشرة بالمعروف بين الزوجين فقد وصف النص القرآني الزوجة بـ (صاحب بالجنب) في قوله تعالى: ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾(٦٥٨)، وفي قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾(٦٥٩).

أي الاحسان في عشرة النساء والمصاحبة بالذي تعرفه وتالفه طبائعهن والذي لايستنكر شرعا ولاعرفا ولامروءة.

ومن براعة التعبير القرآني في استعماله للفظة (المعروف) قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ

---

(٦٥٦) ينظر: لسان العرب،مادة(عرف: ١١٢/١٠، وهو اسم جامع لكل ما عرف من الله والتقرب اليه والاحسان الى الناس وكل ما ندب اليه الشرع.

ينظر: معجم مفردات الفاظ القرآن: ٣٤٣.

(٦٥٧) سورة لقمان: ١٥.

(٦٥٨) سورة النساء: ٣٦، يقول ابن كثير في تفسيره: ((هي المرأة او الرفيق في السفراو الرفيق الصالح او جليسك في الحضر ورفيقك في السفر)).

وفي تفسير فتح القدير: ((جليسك في الحضر ورفيقك في السفر)).

وفي مجمع البيان اربعة اقوال: ١- الجار ٢- الزوجة ٣- الخادم الذي يخدمك ٤- المنقطع الذي يرجوك: ٤٦/٣.

(٦٥٩) سورة النساء: ١٩.

﴿مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٦٦٠].

يحدد النص توازنا في المعاملة الزوجية من خلال الاسلوب الوصفي الموحي لتلك الموازنة في جميع الشؤون والاحوال أي ان الحقوق بينهما متبادلة وانهما اكفاء وكما انهما متماثلان في الذات والاحساس والادراك، كانا ايضا متماثلين في الواجبات.

ويصل كرم الاخلاق القرآنية حدا يفوق كل تصور في الحث على حُسن المعاشرة للزوجة حتى في حال الطلاق في قوله تعالى:﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[٦٦١].

ويعود النص في السورة نفسها فيقول سبحانه وتعالى:﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[٦٦٢].

فالنص القرآني تضمن الامر بحسن العشرة فاما تخلية من غير ضرار، واما قيام بحق المعاشرة على الحسنى والوفاء.

ويلحظ في النص التعبير بالسراح مكان الفراق ويبدو ان القصد من ذلك ان لفظة (الفراق) اقرب الى الاساءة منه الى الاحسان فاراد النص تحسين العبارة مع تحصيل المقصد فاستعمل لفظة (التسريح).

وتأتي الدلالة الاخلاقية في معرض الحديث عن السفهاء الذين لايحسنون

[٦٦٠] سورة البقرة: ٢٢٨.

[٦٦١] سورة البقرة: ٢٢٩.

[٦٦٢] سورة البقرة: ٢٣١.

التصرف في اموالهم وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾(٦٦٣).

إن القول الطيب يدل على حسن المعاملة والتوجيه والارشاد الى الخير ومن الواجب الانفاق عليهم من اموالهم في حدود حاجتهم ومصلحتهم، فالكلمة الطيبة يعدها النص الكريم نوعا من انواع المعاملة الحسنة والاخلاق الفاضلة وذلك في قوله تعالى:﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذىً وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾(٦٦٤) .

فللقول صدى مؤثر على النفس في بعض الاحيان واشد وقعا من الفعل اذا كان طيبا حميدا، وبخلافه يكون وقعه، فالقول افضل من العمل في هذه القضية (الصدقة) حصرا لما لها من ردود فعلية نفسية، فاذا كانت مع الغلظة او المن فقدت قيمتها العبادية والاخلاقية، وعاد القول بالمعروف عملا متساميا نبيلا.

وقد وجه النص الكريم الى اتباع طريق المعروف حتى في مواطن القصاص ومواقف الدية فيكون المقتص غير متجاوز حد العدل وذلك في قوله تعالى: ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾(٦٦٥).

ثالثاً: آيات المحادثة او فن الجدل:

ان عرض الافكار والمجادلة في الاحاديث امر في غاية الاهمية ولذلك جاءت النصوص المباركة واضعة ضوابط الكلام ولياقة الحديث في عرض الافكار وطرح الموضوعات.

---

(٦٦٣) سورة النساء: ٥.

(٦٦٤) سورة البقرة: ٢٦٣.

(٦٦٥) سورة البقرة: ١٧٨، ينظر: سورة الاسراء: ٣٣.

ونتلمس ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٦٦٦]. وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٦٦٧].وفي قوله تعالى:﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوّاً مُبِيناً﴾[٦٦٨] .

حث النص المبارك على الدعوة الى الخير ولاتكون إلا بطيب الكلام واحسن القول والدعوة الى الخير فضيلة اخلاقية قرآنية تدعو الى الصلاح والاصلاح وتقوية الخير والبر، لما في الكلمة الطيبة من فعل في طمأنينة النفس وانشراح القلب.

ونلحظ السمة الاخلاقية في اصول المجادلة وذلك في قوله تعالى:﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٦٦٩].

يعين النص الكريم ثلاث مراتب للدعوة: فالاولى لاتكون إلا للحكماء واصحاب المعارف الحقيقة ولذلك جاءت الدعوة لهم على اساس مقامهم بالحكمة، وهي البراهين القطعية، اما المرتبة الثانية فتخص العوام من الناس وتكون بالموعظة الحسنة التي تألفه القلوب وتستهوي النفوس وهي الدلائل اليقينية الاقناعية، اما الجدل فيكون لاصحاب المخاصمة والمجادلة ولاتكون إلا بالاحسن والاكمل للانتهاء الى

---

[٦٦٦] سورة آل عمران: ١٠٤.

[٦٦٧] سورة فصلت: ٣٣.

[٦٦٨] سورة الاسراء: ٥٣.

[٦٦٩] سورة النحل: ١٢٥.

الخير والاهتداء الى الحق وهي المرتبة الاخيرة(٦٧٠).

نحو قوله تعالى:﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٦٧١).

إنّ منهج القرآن الكريم يحض على حسن الخلق؛ اذ يعد خير وسيلة للاقناع والهداية والارشاد، وان الخلاف في العقيدة والفكر ليس مدعاة الى اساءة الخلق فليس للجدل كثير نفع اذ ان الاحاسيس تتهيج في اثنائه وله الاثر السيء في قلب الخصم مما يحمله على الاصرار والعناد في مدعاه وحينئذ تكون الكلمة التي تؤدى بخشونة ان تقطع اواصر المحبة بين الطرفين(٦٧٢).

كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾(٦٧٣).

فضلا على ذلك حرص النص الكريم على ادب الحديث وطيب القول وحسن الكلام عند مخاطبة الرسول k وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾(٦٧٤).

ولعظيم شأن الوالدين ورفع مكانتهما دعا النص المبارك الى التمسك بأدب القول عندهما ونهى من سوء الخطاب لهما وذلك في قوله تعالى:﴿فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا

---

(٦٧٠) موسوعة اخلاق القرآن: ١٩٩/٣.

(٦٧١) سورة العنكبوت: ٤٦.

(٦٧٢) دراسة في المشاكل الاخلاقية والنفسية: ١٩٤.

(٦٧٣) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٦٧٤) سورة الحجرات: ٢.

تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾[٦٧٥].

فالآية الكريمة منعته من اظهار الضجر منهما بقوله (أفٍ) وهي اقل ما يصدر من الانسان من كلام للدلالة على ضجره، ثم ألزمه بالقول الكريم لهما.

وبجانب ذلك يحدد النص الكريم انحرافات اللسان الى ما لايليق من الكلام والاخلاق الفاضلة؛ بل يتعدى الى الاخلاق الذميمة من قول البهتان[٦٧٦] والغيبة[٦٧٧] والنميمة[٦٧٨] واللغو[٦٧٩] وفحش الكلام[٦٨٠].

واذا استقرءنا آيات الاحكام نجد ان في كل منهما مغزى اخلاقي وتتجلى ابعاد القيم الاخلاقية بشكل اوضح في الآيات الامرة والناهية .

فكأن ما تخرج اليه من قيم اخلاقية امر الهي وما تنهى عنه نهي الهي، ليس في حدود النص وانما في حدود ما يخرج اليه النص بالدلالات التي تكفَّل المبحث باظهارها.

وبقيت قضية مهمة لابد من الاشارة اليها وهي اقرار الاسلام ما عند عرب الجاهلية من كريم الصفات وجميل الخِلال مثل الوفاء بالعهد، والصدق، ورد الامانة، والشجاعة، والكرم، والايثار، بعد ان شذ ّب بعضها فالشجاعة محمودة اذا كانت في سبيل الحق واعلاء كلمة الله تعالى، لافي سبيل طلب العلو على رقاب الناس ونشر الفساد، والكرم محمود ما دام في محله لا لطلب الرياء، واقر الاسلام اكرام الضيف وايثار الغير، وهي من ثم ابقت من عادات عرب الجاهلية ما كان صالحا منها ومتفقا مع قوانين السماء وألغت وشذَّبت ما كان فاسدا منها ولايتفق مع مباديء شريعة الله

---

[٦٧٥] سورة الاسراء: ٢٣.

[٦٧٦] ينظر: سورة النساء: ١١٢.

[٦٧٧] ينظر: سورة الحجرات: ١٢.

[٦٧٨] ينظر: سورة القلم: ١١– ١٣.

[٦٧٩] ينظر: المؤمنون: ٣١.

[٦٨٠] ينظر: النساء: ١٤٨.

فاعطت للصالح حقه من الابقاء كما اعطت لطالح حقه من الالغاء[٦٨١].

ونحو ذلك قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٦٨٢].

تدل الاية الكريمة على فضيلة الايثار، ورجحانه وان المؤمن يؤثِر غيره على نفسه وهو في امس الحاجة.

وقوله تعالى : ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾[٦٨٣]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[٦٨٤]، وقوله تعالى:﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٦٨٥].

---

[٦٨١] المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية: ٢٣- ٢٤ .

[٦٨٢] سورة الحشر: ٩.

[٦٨٣] سورة النحل: ٩١.

[٦٨٤] سورة المؤنون: ٨، وسورة المعارج: ٣٢.

[٦٨٥] سورة البقرة: ١٩٠.

الفصل الثالث

قضايا أدبية

المبحث الأول: المعنى الأول.

المبحث الثاني: المعنى الثانوي(معنى المعنى).

المبحث الثالث: الخبر والانشاء.

المبحث الرابع: التقديم والتأخير.

المبحث الأول

المعنـــى الأول

تشكل دراسة المعنى ودلالتـــه، مـــدخلا مهمـــا فـــي الكـــشف عـــن مقاصـــد النصوص،على وفق قاعدة علمية صحيحة دقيقة النتائج، فضلا عن كونه مجالا غنيا بالفكر.

ولكي يستجلى المفهوم الدلالي أو المعنوي، لا بد من الوقوف عنـــد دراســـات العلماء القدامى،وصولا إلى مفهوم المعنى أو الدلالة عند المحدثين حتى تتبـــين أهـــم سمات المعنى وحقيقته. فهي بمثابة الأساس الذي يستند اليه البحث، لما يقتضيه مـــن قراءة للتراث العلمي للقدامى وموازنته مع المحدثين، لتحصيل نتيجة توصـــلنا إلـــى المعنى القرآني.

وقد أدرجت أهم القضايا المهمة التي توضح ماهية المعنى، من دون إســـهاب وتفصيل، ذلك أن دراسات تخصصية في الدلالة سبقتنا إلى هذا الميدان.

فالمعنى الأول عند علماء اللغة القدامى، يتحقق من خلال (الحقيقـــة المعنويـــة للألفاظ) .فالحقيقة هي المعنى الأصلي أو الأساس، الذي ارتكزت اليـــه الدراســـات النحوية واللغوية على اختلاف مستوياتها[٦٨٦].

وقد عرفت الحقيقة((بأنها اللفظ المستخدم في موضـــعه الأصـــلي وأقـــر فـــي الاستعمال على هذا الوضع))[٦٨٧].

وذهب السيوطي إلى أن أكثر الكلام جاء على الحقيقة،فيقول:((وهـــذا أكثـــر الكلام وأكثر آي القرآن ،وشعر العرب على هذا))[٦٨٨].

إذن المعنى الأول ،أو الدلالة الأصلية،هو معنى اللفظ الحقيقي الذي اشترك في

---

(٦٨٦) **الدلالة المركزية والدلالة الهامشية بين اللغويين والبلاغيين:٥٤، رسالة ماجستير.**

(٦٨٧) **الخصائص:٤٤٢/٢.**

(٦٨٨) **المزهر:٣٥٥/١.**

فهمه واستعمله الذهن العام،ومن هنا ثبت استعمال هذا اللفظ في المعجم اللغوي وأصبحت الدلالة المعجمية،هي الدلالة المتفق على وضعها وثبوتها في الذهن الجمعي،وشيوع استعمالها. ومن ثم أصبحت معيارا لمعرفة المعاني المضافة على الأصل أو المعنى الثاني، الذي يطرأ على المعنى الحقيقي أو الاستعمال الحقيقي، كالأسباب الاجتماعية والنفسية والشرعية والعرفية.

وإذا ما عرفنا المعنى الأول في اللفظة المفردة، حقيقية الاستعمال ، يتضح المعنى الأول في المحتوى الدلالي للجملة، في دراسات علماء النحو واللغة.

ويقصد بالمعنى الأول للجملة، هو ((ربط محتوى الكلمة بالحقائق الخارجية،أي تمثيل وظيفة اللغة في المجتمع))[٦٨٩].،ويتحقق ذلك من خلال اتصال المفردة بسياق الحال(المقام).

أي أن المعنى العام أو الأول ، للنص لا يفهم ما لم تتحدد فيه حال المخاطب والمتكلم وموضوع الكلام، ذلك أن النص يفهم دلاليا، من خلال معرفة البيئة اللغوية الصادر عنها النص، مع دلالات خارجية يشار إليها في معناه[٦٩٠].إذن المعنى الأول في النص، هو ما ذكر وقائع حدثت بالفعل،ونقل النص هذه الوقائع كما هي، مع ما يحيطها من مسائل لغوية وغير لغوية، تظهر من خلال ذلك أهمية السياق في فهم النص بمعناه العام[٦٩١].

ومن خلال دراساتهم، يستنتج المعنى الأول والأصل الدلالي، جراء اكتمال العناصر اللغوية والدلالية في سياق التركيب النحوي والعلامات الاعرابية والنمط الأصلي في الجملة العربية،وهذا ما أكده الجرجاني، فالوضع الذي يصح عليه الكلام هو الوضع الذي(يقتضيه علم النحو)[٦٩٢] في صياغة الكلام والحفاظ على معانيه

---

(٦٨٩) **الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة:٧٥.**

(٦٩٠) **ينظر: الدلالة المركزية والدلالة الهامشية:٥٥ـ٦٢.**

(٦٩١) **ينظر:مفهوم الجملة عند سيبويه:١٥٤.**

(٦٩٢) **ينظر: دلائل الاعجاز:٦٤.**

المعروفة، ذلك أن((لاتفاق في وجه الدلالة على الغرض يجب أن يكون من اشتراك الناس في معرفته وكان مستقرأ في العقول والعادات...ولا يحتاج إلى العلم به إلى روية واستنباط وتدبر وتأمل))[٦٩٣].

وتتضح الدلالة الأصلية في الدرس النحوي واللغوي عند القدامى، في ظواهر لغوية يستشف منها مفهوم المعنى الأول في منظورهم،وهذه الظواهر هي:(الاشتقاق والمشترك اللفظي والتضاد والترادف)،ولكي يتضح المعنى الأول في هذه الظواهر نقف عندها بإيجاز.

فالاشتقاق،هو((توليد لبعض الألفاظ من بعض والرجوع بها إلى أصل واحد يحدد مادتها ويوحي بمعناها المشترك الأصلي مثلما يوحي بمعناها الخاص الجديد))[٦٩٤].

ويلحظ المعنى الأول، من خلال ما أقره اللغويون من((المعنى العام المشترك المتحد الذي ترجع اليه الألفاظ في عملية الاشتقاق المغيرة في شكل المفردات))[٦٩٥]..أي دوران المادة على معنى واحد مركزي الفهم[٦٩٦].

أما المشترك اللفظي، فهو كبقية الظواهر اللغوية الأخرى التي تعتمد على المعنى الأول أو الأصل على بيان معانيه وتعددها،أي معرفة ما هو أصل في اللغة،وما هو بعيد عن الأصل(معنى ثانوي). وقد تناوله علماء اللغو بالتعريف، فهو((تسمية الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد...))[٦٩٧]،أو أنه((اللفظ الدال على معنيين مختلفين فأكثر، دلالة على السواء))[٦٩٨].

إلا أن أوضح الظواهر اللغوية التي تظهر فيها المعنى الأول أو الأصل، هو

---

(٦٩٣) اسرار البلاغة:٢٩٤.

(٦٩٤) الاشتقاق، ابن السراج:٣٩.

(٦٩٥) فقه اللغة، وافي:١٧٨.

(٦٩٦) ينظر: الخصائص:١/٥.

(٦٩٧) الصاحبي:٩٦.

(٦٩٨) المزهر:١/٣٦٩.

التضاد، حيث أنه لا يمكن معرفة المعنى الضد ما لم يعرف أصله.

فلهذه الظاهرة إمكانية على التبادل العكسي للمعنى، فأينما ذكر أحدهما يتبادر إلى الذهن المعنى المضاد له، فيكون الأول أصل، أي أن المعنى المضاد دائم الحضور في الذهن،وذلك من خلال معرفته من المعنى الأصل.

إذن أن ((العلاقة الضدية من أوضح الأشياء في تداعي المعاني، فإذا جاز أن تعبر الكلمة الواحدة، عن معنيين بينهما علاقة ما فالأولى جواز تعبيرها عن معنيين متضادين،لأن استحضارهما في الذهن، يستتبع عادة استحضار الآخر،فالتضاد فرع من المشترك اللفظي))(٦٩٩).

أما الترادف، فهو من الظواهر اللغوية التي يكون فيها لفظان أو ألفاظ بمعنى واحد،وقد دار حول هذه الظاهرة خلاف،مفاده ،أنه((يندر أن تكون هناك كلمات تتفق في معانيها الاضافية اتفاقا كاملا،ومن الممكن أن تتقارب الدلالات، لا أكثر ولا أقل، فالألفاظ المترادفة هي بهذا المعنى ذات دلالة متقاربة))(٧٠٠).

إلا أن المعنى الأول، يتضح بشكل صريح عند التهانوي، فيقول:((عند أهل العربية والأصول هو توارد لفظين، أو ألفاظ، كذلك في الدلالة على الانفراد أو بحسب أصل الوضع على معنى واحد من جهة واحدة))(٧٠١).

وكان رأي السيوطي،أوضح ، فيقول:((إن من جعلها مترادفة نظر إلى اتحاد دلالتها على الذات،ومن منع نظر إلى اختصاص بعضها بمزيد معنى، فهي تشبه المترادفة في الذات والمتباينة في الصفات))(٧٠٢).

وفي ضوء هذا الرأي، يمكن أن تشترك المترادفات في معنى أساس اول ، مع فروق جزئية تتفرد بها كل كلمة عن الأخرى،وهذه المتباينات تكون معاني ثانوية

---

(٦٩٩) **اللهجات العربية،د. أنيس:٢٠٧.**

(٧٠٠) **المدخل إلى علم اللغة:٧٩.**

(٧٠١) **كشاف اصطلاحات الفنون:٦٦/٣.**

(٧٠٢) **المزهر:٤٠٥/١.**

للمعنى الأول.

وبذلك يمكن أن تحل كلمة محل الأخرى، فتؤدي معناها، أما بنـسبة تامـة أو جزئية ضمن إطار المعنى الأول للكلمة،وهو المعنى المستقر نسبيا في ذهن الجماعة اللغوية،أي المعنى المعجمي(٧٠٣).

وأقرب ما يكون إلى الترادف التام، هو في المحسوسات، فيتحقق فيها المعنـى الأول،أما المعنويات والوجدانيات، فهي ما يحدث عنه معانٍ فرعية(٧٠٤).

وحينما نقف عند دراسات النقاد البلاغيين القدامى، لتجلية مفهوم المعنى الأول لابد أن ننظر الى طبيعـة العمـل النقـدي والتقـويم البلاغـي للنـصوص،وهي تحاول((الكشف عن جوانب النضج الفني في الإنتاج الأدبي وتمييزها من سواها على طريق الشرح والتعليل، ثم يأتي بعد ذلك الحكم العام عليها))(٧٠٥).

فإذن، التعبير اللغوي هو مادة النقاد والبلاغيين في عملية التحليل الدلالي، فـي وضع المعايير الجمالية للمفردات اللغوية، ومن ثم تستوجب هذه العملية تعاملا مـع دلالة المعنى وهي مسألة في غاية الدقة، ذلك أن من الـصعوبة اخـضاع المعـاني المتشعبة إلى قبول جمعي ولاسيما في النص الفني، فهـي عمليـة عقليـة تحـاول الوصول إلى معنى أو دلالة مشتركة في الاذهان، ضمن حيز التداول، ومـن هنـا ادرك النقاد والبلاغيون خصوصية لغة الفن وافتراقها عن لغة التفاهم الاعتيادي.

فقد عالج النقاد، المعنى الأول ضمن معالجتهم لقضايا المعنى الذي يـأتي فـي مقدمة المفاهيم النقدية التي تستنطق النص،وتصل إلى مفاهيمه المقصودة، فـالمعنى لديهم هو((الصور الحاصلة في الاذهان عن الأشياء الموجودة في الاعيـان))(٧٠٦)، حتى إذا وضعت هذه الصور في قوالب الألفاظ اصبح للمعنى((وجود من جهة دلالة

---

(٧٠٣) **ينظر: ظلال المعاني:٧٣.**

(٧٠٤) **ينظر: الترادف، د. علي الجارم، مجلة اللغة العربية:٣٠٩ ــ ١ ع.**

(٧٠٥) **النقد الأدبي الحديث:١١.**

(٧٠٦) **منهاج البلغاء:١٨.**

الألفاظ))[٧٠٧].

وقد وضح المعنى الأول عند الجاحظ(ت٢٥٥هـ)، بقوله:((والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني))[٧٠٨].

ويبدو أن الضابط لديه للمعنى الأول، هو التداول اللغوي،وهي جزء من عملية الفهم العام، ويؤكد ذلك الفهم في نص آخر، يقول:((المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم والمختلجة في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن أفكارهم، إنما يحي تلك المعاني ذكرهم لها وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها..))[٧٠٩].

ويستوقفنا تقسيم ابن قتيبة(ت٢٧٦هـ)، للشعر، بحسب اللفظ والمعنى، على اربعة أضرب، فكان الضرب الأول، معبر عن المعنى الأول بوضوح، فيقول:((ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه))[٧١٠]،وبضم هذا القول إلى المثال الذي ساقه، تتضح فكرة ابن قتيبة،الذي لم يتجاوز فيه اللفظ غرضه ومعناه العام، أي أنه ربط بين أجزاء العبارة بالغرض أو الفكرة، التي تحدث عنه وصولا إلى معنى مشترك.

إذن يقوم المعنى الأول في منظور النقاد القدامى، على ركيزة أساس، هو الاستعمال والاستقرار في الذهن الجمعي،أي أن(اصل المعنى)، ما استقر في الأذهان وهذا ما نلمسه،ونستجليه من أقوالهم[٧١١].

ومن ثمّ يكون المبدأ النقدي قائما على اللغة والعقل والواقع التي يشترك في مهمة ابراز المعاني المدركة،وذلك هو المعنى الأصل أو الأول،الذي يراد منه تأدية

---

[٧٠٧] **منهاج البلغاء:١٩.**

[٧٠٨] **الحيوان:١٣/٣.**

[٧٠٩] **البيان والتبيين:٥٥/١.**

[٧١٠] **الشعر والشعراء:٦٤.**

[٧١١] **ينظر: عيار الشعر:٥٠، ونقد الشعر:١١،ومنهاج البلغاء:١٨ـ٢٠.**

الغرض، فيكون بمثابة قطب أو نواة تتجمع حولها طائفة من المعاني الثانوية[٧١٢].

أما البلاغيون، فكان المعنى الأول، يحتل الصدارة في بحوثهم، ذلك أن المعرفة البلاغية تقوم على تتبع النص دلاليا بوصفه نشاطا فكريا ينتهي إلى دلالة جمالية كاشفا عن نوع المعنى أو الدلالة،داخل السياق، فما طابق الفهم المعروف فهو معنى أول[٧١٣]،وما خالف ما يعرف، فهو معنى ثاني.

ومدار بحثهم جارٍ في تحديد منهج يربط القيمة الفنية، بأصول ثابتة. فكانت دراسة المعنى لديهم، هي في الواقع دراسة في التركيب اللغوي، ذلك أن استعمال الألفاظ والمفردات، يتحدد بالسياق والقرائن التي تمنحه معنى خاصا يميزه من غيره من المعاني في ذلك الاستعمال.

وهذا ما أوضحه الجرجاني(ت٤٧٤هـ) بقوله:((إن الألفاظ التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها من فوائد))[٧١٤].إذن تتضح فائدة المعنى داخل تركيبه السياقي، ويظهر أثره المطلوب من خلاله. فعملية إنتاج وترتيب المعاني، هي عملية فكرية منظومة في العقل والنفس[٧١٥].

فالمفردات المعزولة لا تؤدي معنى تاما ولا تستعمل في الحديث، لإبهامها عن الأغراض. والمعنى الأول لديه،هو ما فهم وتعارف عليه،وأن المتحدث، لم يضع فيها سوى حسن النظم[٧١٦].

أما العلوي(ت٣٢٢هـ)، فقد حدد أهم مائز للمعنى الأول، وهو اشتراك مختلف

---

[٧١٢] **اللغة في الأدب الحديث:٣١، قواعد النقد الأدبي:٤٠.**

[٧١٣] **الدلالة المركزية والدلالة الهامشية:١٣٥.**

[٧١٤] **دلائل الإعجاز:٤١٥.**

[٧١٥] **ينظر:م.ن:٤٤.**

[٧١٦] **ينظر: دلائل الإعجاز:٧٦.**

الناس في فهمه وتواضعهم عليه[٧١٧].

وقد حدد الخفاجي(ت٤٦٦هـ)، مواضع الدلالة الأم أو المعنى الأول، حين ذكر معيار المعاني، فيقول:((والمعاني معيارها العقل والعلم وصفاء الذهن، ولها في الوجود اربعة مواضع:الأول وجودها في أنفاسها،والثاني وجودها في إفهام المتصورين لها، والثالث وجودها في ألألفاظ التي تدل عليها،والرابع وجودها في الخط الذي هو اشكال تلك الألفاظ المعبر بها))[٧١٨].

وأوضح المفاهيم،هو ما خرج به الجرجاني، حين ذكر الدلالة أو المعنى، فقد حددها على ضربين الأول كان المعنى الأول،فيقول:((الكلام على ضربين ، ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة، فقلت:خرج زيد))[٧١٩].

وأظهر ما يكون المعنى الأول أو الدلالة الأصلية لديهم هو ما اصطلح عليه بـ(الحقيقة)،وهو القسم الأول من مستوى الدلالات في الدرس البلاغي. ويطلق عليه بالمعنى الاول أو أصل المعنى أو المعنى الوضعي أو المعنى غير المؤول[٧٢٠].

وقد ترقى هذه الدلالة(الحقيقية) الى درجة بليغة بقوة التصريح في المعنى الذي تعبر عنه لا بطريقة التعبير الفني التي تبعد المعنى عن أصله.

فالجانب الفني يقل في هذه الدلالة لاشتراك الفهم في مستواها التصريحي، فضلا عن خاصيتها في الثبات، كالحقيقة العرفية أو الشرعية وغيرها.

وأخيرا، كان مدار بحوثهم، يعني تحديد المعنى الدلالي للتوصل إلى((تصور شمولي كاشف عن المدخل الحقيقي، لإدراك الاعجاز القرآني من خلال توجيه الدراسة النحوية إلى نواحي جمالية تركيبية ترصد العلاقات الدلالية المتفاعلة في

---

(٧١٧) **الطراز:٢/١٥٠.**

(٧١٨) **سر الفصاحة:١٤١.**

(٧١٩) **دلائل الاعجاز:١٨٠.**

(٧٢٠) **ينظر: الدلالة المركزية والدلالة الهامشية:٢٨٤.**

الآيات ونسقها المعنوي في الظاهرة اللغوية.))[٧٢١].

أما الأصوليون والفقهاء، فإن مفهوم المعنى ومراتبه، يظهر من خلال البحث الأصولي الذي ينطلق من ثنائية اللفظ والمعنى في استثمار ألأحكام الشرعية،وهذه الثنائية أو العلاقة بين اللفظ والمعنى ، تمثل بنية علم أصول الفقه في الخطاب الشرعي[٧٢٢].

ولما كان الخطاب الشرعي،هو خطاب عربي بليغ عالي المضمون، كان لابد لهم من الوقوف عند العلوم العربية، لفهم النص، بل التعدي إلى معرفة مقاصد الشارع العامة في تشريعه الأحكام.

إذ إنّ مهمة البحث الاصولي ،هو التوصل إلى فهم النص واستنباط الحكم الشرعي منه، فلا يتم ذلك إلا بمعرفة ما يرنو اليه النص،وتتبع مقاصده وأهدافه التي تجاوز افادة مضمون الخطاب، وتأسس عليه ضرورة فعل شيء أو ترك شيء، ومعرفة مدى هذا الفعل والترك على نحو الالزام أو الحث المحبب أو التخيير[٧٢٣]،لهذا قسموا النص في إفادته إلى دلالة تصورية و دلالة تصديقية[٧٢٤].

ولكي يصل البحث الأصولي إلى المداليل والمقاصد الفقهية واستنطاق النص، واشتقاق الأحكام الشرعية، كان لا بد لهم من أن يستفيدوا من بحوث من سبقهم، من علماء العربية، فأفادوا من تراكم الدراسات اللغوية والتفسيرية للقرآن الكريم، فضلا عن جهود علماء البلاغة والإعجاز وغيرهم، إذ إن المسعى المنهجي لعلوم العربية، كان يسعى إلى تحقيق الهدف الدلالي،ومن ثم كان الضاغط الفكري على مقاصد

---

[٧٢١] البحث الدلالي عند ابن سينا:٥٣.

[٧٢٢] ينظر: البحث الدلالي عند ابن سينا:٧٤.

[٧٢٣] ينظر: قضايا لغوية قرآنية:٢٤.

[٧٢٤]الدلالة عند الأصوليين قسمان: دلالة تصورية ودلالة تصديقية، باعتبار ما يحصل في الذهن وانتقاله إلى معنى اللفظ من مجرد سماعه في الدلالة الأولى وانتقاله إلى معنى اللفظ حينما يكون المعنى الذي هو مراد المتكلم واقعا جدا في الثانية،ودلالة الألفاظ على معانيها يتم بالدلالة التصديقية فقط،لأن ظهورها في كون تلك المعاني مراده لمتكلمها يتبع الارادة لا محالة،أما التصورية فهي غير ثابتة للإرادة. البحث الدلالي عند ابن سينا:٨٠، ينظر: البحث النحوي عند ألأصوليين:١١، والمستصفى من علم الأصول:١/١١.

المعرفة اللغوية يهدف إلى إيضاح مراد النص القرآني واستنطاقه[٧٢٥]،حتـــى تهيـــئ للبحث الأصولي إمكانية تأسيس منهج علمي دقيق في فهم النص، فوضعوا مباحـــث مستقلة سميت بـــ(مباحث الألفاظ).

فقد استثمر البحث الاصولي، مباحث اللغة والنحو، وتوظيفهما في منهج خاص يحدد التعامل مع النص وضرورة معرفة مداخله، ومقتضيات بناء المعنـــى،وأدوات بنائه في التراكيب اللغوية،وتحليل معطياته، على وفق منهج يحـــدد دلالـــة المفـــردة ودلالة التركيب، ويكون السياق اللغوي والسياق الاجتماعي مـــؤثرا فـــي اكتـــشاف المعنى من النص.

فكان الضابط للمعنى هو المعنى الحقيقي(المعنى المعجمي)، ثم ضبط المعنـــى الاستعمالي(الاجتماعي)،وهو ما تجاوز النص فيه المعنى الأصلي إلى استعمال اللفظ في غيره، على سبيل المجاز والكناية،ومن خلال النظـــر إلـــى المعنـــى الحقيقـــي والاستعمالي، نظروا إلى المعنى الوظيفي للكلمة، كـــ(مباحث علم النحو)[٧٢٦].

وعلى هذا الأساس، يكون المعنى الحقيقي،هو المعنى الأول الذي يقاس عليـــه المعنى الاستعمالي،ومن ثم رفده بالمعنى الوظيفي.

وقد ساعدهم هذا التقسيم على فهم معنى النص، ذلك أن معرفة طـــرق دلالـــة النص متوقفة على معرفة هذه المعاني، أي أن منهجة البنية في النص الـــشرعي أو الحكم تستقى أو تنطلق من العقل[٧٢٧].

فالمعاني((هي الصور الذهنية من حيث أنه وضع بإزائها الألفـــاظ والـــصور الحاصلة في العقل من حيث أنها تعني باللفظ سميت معنى ومن حيث انها تفهم مـــن اللفظ في العقل سميت مفهوما،ومن حيث يدل عليها اللفظ سميت مدلولا))[٧٢٨].

---

(٧٢٥) **ينظر: مقدمة منهجية في تحليل النص القرآني،آيات الأحكام انموذجا:٤٦ــ٤٧.**

(٧٢٦) **ينظر: أجود التقريرات:١/٢٨ــ٣٠، ينظر: قضايا لغوية قرآنية:٢٥.**

(٧٢٧) **ينظر: البحث الدلالي:٧٥.**

(٧٢٨) **البحث الدلالي:٧٤، ينظر: التعريفات:١٢٢.**

وأظهر ما يميز المعنى الأول من المعاني الثانوية أو معنى المعنى، ما جاء في تقسيم الدلالة أو المعنى لديهم على وفق منهج علمي دقيق. وسأحاول عرض وتتبع تلك التقسيمات بإيجاز ودقة.إن ما وضعه البحث الأصولي من تقسيمات للقواعد الأصولية اللغوية، تتعلق بألفاظ النصوص من جهة إفادتها للمعاني.

ويتضح من التنظير، أن للمفردة نطاقا، وللتركيب نطاقا،ولكل منهما مراتب في وضوح اللفظ في دلالته على المعنى.

فما جاء في نطاق المفردة، ذات المعنى الأول أو المركزي، يتمثل في(٧٢٩):

أولا: ما وقع باعتبار وضع اللفظ للمعنى،وهو بهذا الاعتبار(خاص، عام، مشترك).

ثانيا: باعتبار استعمال اللفظ في المعنى الموضوع له،أي الحقيقي.

ثالثا: باعتبار دلالة اللفظ على المعنى،أي من حيث وضوح المعنى،وهو بهذا الاعتبار(ظاهر،ونص،ومفسر،ومحكم). ورتب بحسب قوة الوضوح.فالمعنى الواضح،هو ما جاء اللفظ دالا على معناه، لمجرده،لا يحتاج إلى زيادة إيضاح، فكان منه الظاهر، فهي أقلها وضوحا، ثم يليه النص ثم يشتد الوضوح في المفسر، ثم يبلغ ذروته في المحكم(٧٣٠).

ويقصد بالظاهر،هو اللفظ الذي ظهر معناه بنفسه(٧٣١). ولم يكن معناه هو المقصود أصالة في السياق، كقوله تعالى:﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾(٧٣٢). حيث أن ظاهر اللفظ يفيد حل البيع، وحرمة الربا،لأن هذا المعنى هو المعنى الظاهر المتبادر فهمه،وهو غير مقصود اصالة من سياق الآية الكريمة،لأن المقصود الأصلي هو

(٧٢٩) الوجيز في أصول الفقه، د. عبد الكريم زيدان:٢٢٣.

(٧٣٠) قضايا لغوية قرآنية:٢٧، الوجيز في أصول الفقه:٢٧٥، ينظر: اصول الأحكام وطرق الاستنباط:٢٦٥.

(٧٣١) شرح المنار:٣٤٩، لابن ملك.

(٧٣٢) البقرة:٢٧٥.

نفي المماثلة بين البيع والربا، ردا على الذين قالوا:إنما البيع مثل الربا(٧٣٣).

أما النص، فهو اللفظ الواضح لمجرد السياق،والذي يظهر معناه لا بنفس صيغته(٧٣٤).كما في المثال السابق، فدل على نفي المساواة بينهما،لأنه سيق للتفرقة بينهما،(البيع/ الربا)، أما المفسر، فهو ما ازداد وضوحا على النص على وجه لا يبقى فيه احتمال التخصيص،ولا التأويل(٧٣٥)،كقوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾(٧٣٦)،فإن لفظ(ثمانين)لا يحتمل التأويل لأنه عدد معين لا يقبل الزيادة والنقصان.

أما المحكم، فهو ما دل بمفرده وصيغته على معناه أصالة، أو هو ما ظهرت دلالته على معناه ظهورا قويا، لا يقبل التأويل ولا النسخ،وذلك لوضوح دلالته بدرجة عالية ينتفي معها أي احتمال للتأويل،وهو لا يقبل النسخ، لأنه يدل على حكم أصلي لا يقبل بطبيعته التبديل والتغيير(٧٣٧).

فمن الأحكام الأساسية المحكمة، هي النصوص الواردة بالايمان بالله واليوم الآخر والرسل وتحريم الظلم ووجوب العدل. ومن الأحكام الجزئية والذي جاء الحكم مؤبدا، كتحريم نكاح أزواج النبيk من بعده، كقوله تعالى:﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾(٧٣٨).وكذلك في قاذفي المحصنات،﴿وَلَا تَقْبَلُوا

(٧٣٣) الوجيز في أصول الفقه:٢٧٥.

(٧٣٤) م.ن:٢٧٦.

(٧٣٥) م.ن:٢٧٨.

(٧٣٦) النور:٤.

(٧٣٧) الوجيز في أصول الفقه:٢٧٩، قضايا لغوية قرآنية:٢٧.

(٧٣٨)الاحزاب:٥٣.

﴿لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾[٧٣٩]،. وكما في قوله تعالى:﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾[٧٤٠].

والحكم واضح، أن المقتول ظلما يملك وليه وارث حقوقه، حق المطالبة بالقصاص أو الدية، وقد اجملها بـــ(سلطانا).

أما في مدار العبارة والتركيب، فإن لكل جملة دلالة ما على المعنى، ويظهر المعنى الأول أو المركزي، في ما اسموه(عبارة النص)،ويقصد بها دلالة اللفظ على المعنى المتبادر فهمه من نفس صيغته، وكان هذا المعنى هو المقصود اصالة أو تبعا من سياقه، ويطلق عليه المعنى الحرفي للنص، أي المعنى المستفاد من مفردات التركيب[٧٤١].

ومثاله قوله تعالى:﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[٧٤٢]، دلت الآية بعبارتها على فريضة الصلاة والزكاة،وهذا المعنى هو المقصود أصالة من سوق الآية.

وفي قوله تعالى:﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾[٧٤٣]، دلت الآية بعبارتها على ثلاثة معانٍ أصالة وتبعا، الأول: هو اباحة النكاح، والثاني: قصر عدد الزوجات على اربع كحد أقصى للتعدد،والثالث: الاقتصار على واحدة عند خوف الجور. وهذه المعاني الثلاثة تفهم من عبارة النص وألفاظه[٧٤٤].

ويبقى مفهوم المعنى الأول عند المحدثين، وتسمى الدلالة المركزية،وهي

---

(٧٣٩) النور: ٤.

(٧٤٠) الاسراء:٣٣.

(٧٤١) الوجيز في أصول الفقه:٢٨٥.

(٧٤٢) البقرة:٨٣.

(٧٤٣) النساء:٣.

(٧٤٤) الوجيز في أصول الفقه:٢٨٦.

المستوى الأول من المعاني، وتتميز بتحقق ثبــوت المعنـــى فـــي الـــذهن الجمعـــي وتمركزه[٧٤٥].

فالكلمة المفردة، هي وحدة دلالية صغيرة تحتوي معنى ثابتـــا ثبوتـــا نـــسبيا، وبالامكان أن يخضع لتأثير السياق النصي عليه،أي أنها مفردة تشير إلى دلالة معينة تكون بمثابة نواة صلبة أو معنى بؤري[٧٤٦].

والمفردة لم تصل إلى نضجها الدلالي الذي يميزها بثبوت المعنى، حتـــى مـــرت بأطوار اكسبتها صفة التمركز، حيث يبدأ الطور الأول، بالمعنى العرفي، بمعنى أنها دلالة وضعية فهي ما وقع من اتفاق الناس، وتعارفوا على إنشائها وفهمها[٧٤٧].

ثم تعقبها الدلالة الاجتماعية ،وهي مجموع ما اختزنـــه العقـــل الجمعـــي مـــن المعاني والدلالات، هدفها الأساس، هو الفهم والافهام، من كل كلام يرجو المتكلم ان يصل اليه، مشاركا بقية أفراد المجتمع اللغوي، الذي يعيش فيه، فهـــي توجـــد مـــن حاصل جمع عقولهم جميعا[٧٤٨].

إذن غرض الدلالة الاجتماعية ،يرمي إلى إعطاء معنى للعلاقات بين الناس، والغاية بين المرسل والمتلقي، أما المفردات الاجتماعية ،فهي نظام المجتمع ومعناه[٧٤٩].

ويستخلص من ذلك، أن الدلالات لا يمكن أن تكون نافعة فـــي معـــزل عـــن المجتمع، أي أن مهمتها هي خدمة الأهداف الاجتماعية.

أما الطور الأخير، فهو المعنى المعجمي أو الدلالة اللغوية، وهـــو المعنـــى المقـــنن بالمجال العلمي اللغوي الثابت. وحدها،هو معنى اللفظـــة اللغويـــة المفـــردة، أو المعنـــى

---

[٧٤٥] ينظر: الدلالة المركزية والدلالة الهامشية بين اللغويين والبلاغيين:١، رسالة ماجستير.

[٧٤٦] ينظر: ظلال المعنى بين الدراسات التراثية وعلم اللغة الحديث:٧١، آفاق عربية.

[٧٤٧] الأصول:٣٢٣، تمام حسان، أي أن أصل الدلالة الوضعية، ما تكونت من أصل اللغة،وهو وضـــع الاســـم مقابل المعنى. ينظر: مناهج البحث في اللغة:٥٨، تمام حسان، ودلالة الألفاظ:١٠٤.

[٧٤٨] مناهج البحث في اللغة:٤٠.

[٧٤٩] علم الإشارة:١٣٧.

الصوري، الذي يستدعيه اللفظ[٧٥٠]. وهو يتعلق بدلالة اللفظة في الوضع اللغوي،وقد تسمى أيضا الدلالة الأصلية[٧٥١].فهي عملية تقنين المعنى للفهم التقريبي المشترك بين الناس.

وقد اكتسبت هذه الدلالة الصفة المركزية أو المعنى الأول، لما بلغت النضج من المعاني ،والذي أتاح لها ذلك هو فهم المعاني بنسبة معينة، فضلا عن ثبوته ووضوحه في نسبة الفهم[٧٥٢].

وتتحدد الدلالة المركزية أو المعنى الأول عند المحدثين، بصفتين عامتين، الأولى، أن المعاني المادية هي أكثر استقرارا في الاذهان وأوضح في الافهام من المعاني المعنوية، التي تتطور دلالتها مع نمو التفكير أو اتساعه[٧٥٣].

أما الأمر الثاني، فهو أن درجة الوضوح الدلالي بالنسبة إلى المعنى الأول أو المركزي، تتفاوت بين الناس، إلا أن هذا التفاوت بالامكان أن يفهم لدى الجميع[٧٥٤].

وألحظ ما يكون عليه المعنى الأول في آيات الأحكام، هو ما يسمى بالمصطلح القرآني أو الدلالة الحقيقية الشرعية[٧٥٥].

---

(٧٥٠) الأصول،د. تمام حسان:٣٢٥ــ٣٦٧.

(٧٥١) الدلالة المركزية والدلالة الهامشية:٧.

(٧٥٢) م.ن:٧.

(٧٥٣) ظلال المعاني:٣ــ٧٣.

(٧٥٤)ظلال المعاني:٧٣.

(٧٥٥) ينقسم المصطلح القرآني إلى قسمين:

الأول: المصطلح العقيدي،وهو متعلق بأمور العقيدة، كلفظ (الايمان، والكفر، والفسق، والنفاق)، والثاني: المصطلح الشرعي،وهو متعلق بفروع الشريعة العملية، كلفظ(الصلاة،والزكاة، والحج)، وكلفظ العام،والخاص والمطلق والمقيد. ينظر: أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام:٣٢.

تباينت آراء العلماء إزاء المصطلح القرآني، ونجملها في الآتي:

١. منع وجود المصطلح القرآني في القرآن،أي أن هذه المعاني باقية على أصل وضعها اللغوي ولم تتغير. ينظر: المنخول:٧٣، المزهر:٢٩٨/١. =

=

٢. إن المصطلح القرآني منقول من معناه اللغوي ومستعملة في معانٍ دينية جديدة. ينظر: المنخول:٧٣، الصاحبي، احمد بن فارس:٤٤، الأوائل، العسكري:٣٥.

ويقصد بالمصطلح القرآني، هو معنى قرآني أو دلالة شرعية، أخذت موقع المعنى المركزي أو الأولي، وهو متولد من لفظ مفرد أو مركب كان له معنى لغوي متداول، وحيز دلالي سائد، فوظفه القرآن في مفهوم ومعنى جديد حتى تبلورت تلك الحقيقة الشرعية((ليتجلى بذلك النهج القرآني في صياغة المصطلح كأداة تعبيرية استوعب الإرث العرفي والاضافات القرآنية عليه تضييقا أو توسيعا أو تغايرا))[٧٥٦].

وهو أمر منطقي مادام النص القرآني نص معجز في مضامينه ومفاهيمه واساليبه وصياغته، فلا بد له من حشد معاني ودلالات قرآنية تستوفي تلك المعرفة في مبانيه اللفظية ونظمه القرآني، كاشفة عن مفاهيم ومضامينه الوحي الإلهي والعقيدة الجديد.

ونعرض أمثلة توضيحية، للمصطلح القرآني، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾[٧٥٧].

في الآية الكريمة، وردت لفظة (الصلاة) بمعناها الاصطلاحي، أي العمل العبادي المعروف ويرى بعض العلماء انها نقلت من المعنى اللغوي (الدعاء)[٧٥٨] وهو من باب توسيع المعنى اللغوي، أي نقله من الجزء إلى الكل.

وفي قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى﴾[٧٥٩].

---

٣. وهذا الرأي قائم على أن المصطلح إما أن يكون عقيديا وهو باقي على أصل معناه اللغوي، وإما أن يكون شرعيا منقول من معناه اللغوي إلى الشرعي. ينظر: أصول التشريع الاسلامي، علي حسب الله:٧٥.

[٧٥٦] قضايا لغوية قرآنية:١٦٥.

[٧٥٧] العنكبوت: ٤٥.

[٧٥٨] النهاية في غريب الحديث،ابن الأثير: ١٢٠.ويذهب البعض إلى انها مشتقة من الصلوات وهما عظمان في الذنب: لسان العرب: ٤٦٥/١٢؛ ينظر: الكشاف:١٣/١،ومنها انها مشتقة من الصلة وقالوا إنها اللزوم، اللسان: ٢٦٥/١٤.

[٧٥٩] الأعلى: ١٤،استدل بالآية الكريمة على وجوب اداء زكاة الفطرة،وعدت الآية من آيات الأحكام، بناءً على الرواية الشريفة،ينظر:وسائل الشيعة: ١٧/٥،الباب٨٧ ،ح٤،أو رجحان تزكية النفس.ينظر:في تفسير آيات الاحكام: ١٤٧/١.

والزكاة أصلها اللغوي الطهارة والنماء[٧٦٠]، ثم حولها القرآن إلى (العبادة المالية) المعروفة. أي أن المعنى الاصطلاحي تطور عن الأصل اللغوي، ليأخذ هذه الدلالة الشرعية الثابتة، وقد استعملها القرآن بمعناها اللغوي، بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾. أي انمى.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾[٧٦١].

فقد وردت لفظة (الطهارة) بمعناها الشرعي الذي يطلق على ما يرفع الحدث ومن جمال الاستثمار القرآني للمعاني هو توسيع وتضييق أو تغيير المعنى، فقد استعمل القرآن الكريم اللفظة، بمعناها اللغوي، وهو النزاهة[٧٦٢]، ثم توسع بذلك إلى المعنى الشرعي الذي يشمل الطهارة البدنية ثم إلى الطهارة النفسية أو الباطنية[٧٦٣].

---

(٧٦٠) **القاموس المحيط، مادة (زكو).**

(٧٦١) **المائدة: ٦.**

(٧٦٢) **ينظر: سورة آل عمران: ٤٢.**

(٧٦٣) **ينظر: سورة التوبة: ١٠٨؛ ينظر: كنز العرفان: ٣١/١.**

المبحث الثاني

المعنى الثانوي ومعنى المعنى

يعد المعنى من ابرز القضايا اللغوية الوثيقة الصلة بالأسلوب التعبيـري؛ لأن مدار أمر الدراسات اللغوية قائم على دلالة اللفظ، وأثرها فـي نفـوس السـامعين، والاختيار المتكلم ألفاظه ومقصده منها.

فقد لاحظ اللغويون القدامى. أن معاني المفردات لا تبقى على ثباتها وأصـالتها بل تتبدل دلالتها على مستوى الكلمة المفردة، وعلى مستوى التركيب فـي الجملـة، فأطلقوا عليها (المجاز العقلي).

فمعاني التعبير الواحد قد تتغير وتتحول، عبر تعاقب الأزمان والأجيال، فيكون من الصعوبة معرفة معنى اللفظ في وضعه الأول، بعدما أخذ بالتحول إلـى معـانٍ جديدة في الاستعمال فتنشأ معاني أضافية أو ثانوية[٧٦٤].

وهذا التطور الدلالي، هو أمر متفق عليه، عند اللغويين، مع تشددهم إزاء تغير المعاني.فقد تميز الجانب الدلالي من غيره من الجوانب اللغوية، بظـاهرة التطـور الدلالي وتغيره. وذلك لوفرة الأسباب التي تساعد على التحول في معـاني الألفـاظ فمجالات الحياة، وتنوعها يؤدي إلى ذلك التغير. فتميت معنى وتحيي معنى. وتحور معنى آخر[٧٦٥].

ومع وفرة الأسباب، يبقى السياق هو الموجه الأكثر فاعلية للمعاني، لما يفرضه من معنى أكثر فائدة في الكلام والاستعمال، هو المعنى السياقي للمفردة أو العبـارة التي تتوضح بموجبها ثبوت المفردات على معانيها الأول أو الأصـل، أو تغيرهـا

---

[٧٦٤] **ينظر: التطور اللغوي التاريخي، السامرائي: ٤٣ـ٤٥.**

[٧٦٥] **الدلالات اللغوية عند العرب: ١٤٤، وقد تكون أسباب دينية أو تاريخية أو لغوية أو صوتية أو اجتماعية أو لهجية.**

بحسب ما يحتاج اليه الموقف والمعنى المطلوب تأديته[٧٦٦].

ويتمظهر المعنى الثانوي، عند اللغويين في عــدة ظــواهر، أهمهــا، التعمــيم والتخصيص والانتقال الدلالي.

فالتعميم هو من مظاهر التغير الدلالي، الذي يحدث من تحــول المعنـــى الأول الخاص إلى معنى أضافي جديد عام، أي ((توسيع معنى اللفظ ومفهومه، ونقله مــن المعنى الخاص الدال عليه إلى معنى أعم وأشمل))[٧٦٧].

ويتغير المعنى في هذه الظاهرة، عند استعمال الخاص بمعنى العام، عــن طريــق توسيع المعنى، الذي سيزيل بمرور الوقت خصوصية المعنى، فتمنحه معنى آخــر، وقــد يغلب على المعنى الأول الخاص، الذي سيصبح المعنى الثانوي في هذه الحالة.

أما التخصيص، هو ما تغيرت دلالته في الاستعمال نحو تضييق المعنـــى[٧٦٨] الذي يقابل توسيع المعنى في التعميم. وقد عرفه السيوطي، بقوله: ((المخصص وهو ما وضع في الأصل عاما ثم خص في الاستعمال ببعض أفراده))[٧٦٩]،أي تغير دلالة المعنى الأول والأصل، بطريق الاستعمال فيزاد عليه معنى جديد مــن خــلال مــا يقتصر عليه اللفظ من بعض أفراد المعنى العام أو على بعض ما كان يطلــق عليــه فتختص بهذه الحالة على المعنى الجزئي.

وخصص النص القرآني كثيرا من المفردات التي كانت عامــة فــي المفهــوم الأول أو الأصل الذي وضع لها في أصل اللغة. كلفظة (الحج) وأصله قصد الشيء والتجرد له، ثم خص بقصد البيت الحرام.

أما ظاهرة انتقال الدلالة، فقد تنبه القدامى إلى التحول الدلالي من حالــة إلـــى أخرى من نواحي لغوية وفنية، يتغير بها المعنى الأول إلى معنى إضافي أو ثــانوي

---

[٧٦٦] **دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح: ٣٠٦.**

[٧٦٧] **فقه اللغة وخصائص العربية، د. محمد المبارك: ٢١٨.**

[٧٦٨] **الدلالات اللغوية عند العرب: ١٤١.**

[٧٦٩] **المزهر: ٢٢٧/١.**

أكثر فائدة في الاستعمال من المعنى الأول، ساعد في ذلك السياقات المختلفة والأساليب المستعملة في تأدية الغرض[٧٧٠].

فالأساس الذي يقوم عليه انتقال الدلالة، هو المعنى الأول، أي أن المعنى الثاني أو الإضافي، يحدث من خلال الاختلاف الاستعمالي للمعنى الأول أو الوضعي إلى حالة جديدة.وعند متابعة الدلالة الثانوية أو معنى المعنى، عند النقاد والبلاغيين، يظهر أن معنى المعنى يتمثل في الصورة الفنية، بشكل واضح.

وتبدأ هذه الصورة، بمراحل كي تصل إلى المعنى التام المطلوب تأديته.

فالأولى: هي انطلاقها من المعنى الأول، أو جعله قاعدة للوصول إلى المعنى الثانوي، ذلك أن مجال عمل النقاد هو حيز النص الفني، وقوامه ماديات الواقع وانعكاسات الأفكار الداخلية. بأنواعها، بلغة تعبيرية، تسيطر على تلك الطروحات، بكفاية وسهولة عالية. ومن جانب آخر، أن جذور المعنى الأول التي استقر عليها علماء اللغة هي ماديات ومحسوسات الاستعمال الواقعي، مما جعلها قاعدة لانطلاق التأمل الذهني، فجاءت تلك التأملات انعكاسا للواقع، على نحو صور عالية المضمون، أو معان إيحائية فنية، متوشحة برهافة الإحساس، ومتلمسة لدقائق المحسوسات، لتكون معاني إضافية عالية الاستيعاب، منبثقة من أصل الواقع، أو مكونة صورا معنوية غاية في التعبير الفني أو البراعة البلاغية المعروفة بـ(المجاز)[٧٧١].

أما المرحلة الثانية: هو تكوّن الصور الفنية أو معنى المعنى. ومجالها الذهن، إذ أن عملية خلق الصور، تستند إلى الخيال والمحاكاة[٧٧٢]، في تشكلها، فقد لاحظ

---

(٧٧٠) ينظر: علم الدلالة العربي: ١٣٦.

(٧٧١) الدلالة المركزية والدلالة الهامشية:٢٨١.

(٧٧٢) عملية التخييل: هي استعادة الصور الحسية المختزنة وربما المعاني المدركة من تلك الصور أيضا، ثم إعادة تشكيلها من جديد على نحو قد يخالف الواقع أو يشابهه، المهم يحقق الاستجابة النفسية المطلوب تحقيقها، أما المحاكاة: فقد أكد الفلاسفة على انها القوام الأساس للشعر لأن قوام عمل المتخيلة الإنسانية هو المحاكاة، فان أي صناعة مخيلة لا بدّ وان تقوم على المحاكاة، وذلك ينطبق على الشعر (العمل الفني). ينظر: نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين: ٦٣.

الشراح العرب لكتاب أرسطو أن الشعر لا يخاطب الفكر ــ العمــل الفنــي ــ بــل يخاطب المخيلة فينبه صور المحسوسات المختزلة فيها[٧٧٣].

وقد ذهب أرسطو إلى أن المخيلة تواجه قوة الإحساس حيث يعتمد التخييل على المحسوسات، لأنها وثيقة الاتصال بالانفعالات تتأثر بها وتؤثر فيها، فكــان الــشعر (العمل الفني) شديد التحريك للانفعال[٧٧٤].

وقد ذهب القرطاجني إلى ذلك، في تعلق المعاني بمعانٍ أخر، هو وجــود مــا يساعد هذه الأمور في تعلقها ببعضها وترابطها بكيفية ومأخذ معين، وهذا المــساعد هو (التخييل) الذي يورد ما يخص المعاني الثانوية. والتي وقعت ضمن التخييل[٧٧٥].

وتمتاز الدلالة الثانوية بقوة التخييل الفني، التي تعتمد إلى اثارة انفعال العقل من أجل بعث صور مختلفة وتكوينها تكوينا جديدا، والذي يتمثل في أحد فنون المجــاز فقد تحدث الفارابي (٣٣٩هــ) عن أثر تلك القوة والتي تبدأ مــن المرحلــة الثانيــة فيها[٧٧٦].

أما المرحلة الأخيرة، هو حيز الظهور، ونقصد به النطاق الذي يــستثمر فــي التعبير عن معنى المعنى ومجال تمظهره، هو المجاز وفنونه.

فالمعنى الثانوي، ينتقل من المعنى الأول أو المركزي، عن طريق إمكانيات فن التعبير اللغوي، التي تحيل المفردات الأولية من صيغ التعبير التفاهمي الاعتيادي إلى صيغ فنية مؤثرة، تنقل أفكارا متنوعة وجديدة، أثرت فيه قوة تغير المجال الــدلالي، الذي تأخذ فيه هذه الدلالة المرتبة الأولى، بامتدادات المعاني الداخلة فيــه بطريــق الاستعمال المجازي وفنونه (الاستعارة والتشبيه والكناية والتمثيل)[٧٧٧].

---

[٧٧٣] **كتاب ارسطو في الشعر: ٧٢.**

[٧٧٤] **م.ن: ٧٢.**

[٧٧٥] **منهاج البلغاء: ٣٧١ــ٣٤١.**

[٧٧٦] **كتاب الفصوص، الفارابي: ١٢.**

[٧٧٧] **ينظر: الدلالة المركزية والدلالة الهامشية: ١٨٩.**

الا أن مفهوم المعنى الثانوي أو معنى المعنى في الفكر البلاغي، له خصوصية عالية، تمثل القدرة على ادراك العملية الفنية واستيعابها بدقة. بحافز تتبع جمال التعبير اللغوي. للإبداع الفكري المتجدد، والبرهنة على قوة اللغة ومرونتها الفاعلة، وقدرتها على توليد أساليب وطرائق جديدة، من شأنها أن ترتفع عن الأساليب المألوفة وتنحو بالمعاني الأولية إلى اسلوب المحاكاة الذهنية الذي يقترب من الواقع مشكلا صورا فنية، تستثمر في تأدية الغرض المقصود[٧٧٨].

بيد أن ظروف الانشاء متباينة، وهذا ما يجعل المعاني الثانوية متباينة أيضا، وهو ما أوضحه البلاغيون، في تحقيق الدلالة البلاغية وهو((مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، ومقتضى الحال مختلف لأن مقامات الكلام متفاوتة))[٧٧٩].

وتبلور هذا المفهوم (المعنى الثانوي)، في علم البيان الذي خصص لدراسة الدلالة الإضافية أو معنى المعنى، ويتضح في ما وضعوه من حدّ لعلم البيان[٧٨٠].

وقوامه، هو تسخير الدلالة العقلية بطرق مختلفة، تتحدد فيها مستوى المعنى الثانوي، مع هيمنة لخيال المنتج الفني، بتجاوز الحدود المألوفة للمعاني المتداولة إلى تراكيب معنوية فنية جديد، متولدة من صهر لتلك المعاني في الذهن.

إذن اتخذت الدلالة الفنية الجانب المقابل للمعنى الأول أو الدلالة الحقيقية التي تقابل المجاز وفنونه المعبرة عن معاني الكلام بغير طرقها المباشرة.

فالمجاز الذي تظهر فيه الدلالة الثانوية، متفق على تعريفه عند البلاغيين ((كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع الواضع لملاحظة بين الثاني والأول))[٧٨١].

---

[٧٧٨] ينظر: م.ن: ٢٩٩.

[٧٧٩] الإيضاح في علوم البلاغة: ٧.

[٧٨٠] ينظر: المثل السائر: ٣٩/١.وقد عرفه السكاكي(ت٦٢٦هـ)((علم البيان:هو معرفة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة...))،مفتاح العلوم:٧٧ـ١٥٦.

[٧٨١] اسرار البلاغة: ٣٠٤؛ ينظر: المثل السائر: ١٠٦/١؛ مفتاح العلوم: ١٧٠؛ الإيضاح: ١٥١.

ويضع الجرجاني تسمية دقيقة، يوضح من خلالها مفهوم هذا المعنى، وهي (معنى المعنى)، فقال: ((وهي الضرب الآخر من الدلالة، أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض المقصود))[٧٨٢].

ويرد المعنى الثانوي عند ابن الأثير في القسم الثاني من أقسام تأويل المعنى، فقد حدد المعنى الثاني بدقة، إذ لا يعرف المقصود منها الا بتأويل معناها، أي أن يفهم من المعنى الشيء وغيره ((وتلك الغيرية إما أن تكون ضدا أو لا تكون ضدا))[٧٨٣].

وقد اكتسبت الفنون البيانية هذه الأهمية انطلاقا من مبدأ عام، هو أن اللجوء إلى هذه الفنون، لتأدية معنى لا تؤديه الحقيقة فـ((أن استعمال المجازات تكون أبلغ في تأدية المعاني في استعمال الحقائق))[٧٨٤].

فكل ما تنتجه الفنون من معاني مجازية وصور فنية، يحمل فائدة لتأكيد الفكرة وإيصال الغرض إلى المتلقي، وذلك عبر ربط المعاني بالصور الحية الواقعية، أو صور ذهنية مخيلة، تهدف إلى زيادة توصيل المعنى، غير موجود في مألوف الكلام.

ذلك أن هذه المجازات هي وسائل تصوير معنوي ((لا تتأتى الا في الدلالات العقلية بالانتقال من معنى بسبب علاقة بينهما كلزوم أحدهما الآخر بوجه من الوجوه))[٧٨٥].

أما المعنى الثانوي عند الأصوليين والفقهاء فيتجلى من خلال غاية البحث الأصولي وهو البحث في مقاصد النص لاستنباط الحكم الشرعي.

---

[٧٨٢] **دلائل الاعجاز: ١٨٠ـ١٨١.**

[٧٨٣] **المثل السائر: ٣٣/١.**

[٧٨٤] **الطراز: ٢١.**

[٧٨٥] **مفتاح العلوم: ١٥٧.**

فجاء تقسيمهم لمعنى المعنى، المقابل للمعنى الأول، في نطـــاق المفـــردة[٧٨٦]، بالنظر إلى استعمال اللفظ في المعنى الموضوع في غيره، وهو المجاز.

أما بالنظر إلى دلالة اللفظ على المعنى، أي من حيث خفاء المعنـــى وابهامـــه وهو بهذا يكون خفيا ومشكلا ومجملا ومتشابها. وقسم طبقا لدرجة ابهامه. فـــالاول، ما خفي المراد منه بعارض، أي ليس من جهة الصيغة أي انه قابل أن يزول بالنظر والتأمل، مثل لفظ السارق، الذي يظهر من لفظه انه يتناول جميع أفراده حتـــى مـــن يسرق الناس في يقظتهم بنوع من المهارة، ولكن بالنظر يتبين أن السارق، لا يكـــون الا بمقدار معلوم في الشريعة، يوجب الحد عليه.

أما المشكل، هو اللفظ الذي لا يدل بنفسه على المعنى المراد منه لاحتماله أكثر من معنى، فيحتاج إلى قرائن تعين المعنى المراد منه وتزيل عنه الاشكال.

أما المجمل هو لفظ خفي المراد منه لا يدرك الا ببيان من المـــتكلم بـــه، إذ لا قرينة تدل على معناه الذي قصده المتكلم.

وأخيرا المتشابه، هو اللفظ الذي خفي المراد منه، فلا تدل صيغته على المـــراد منه ولا سبيل إلى ادراكه إذ لا توجد قرينة تزيل ذلك الخفاء، كـــالحروف المقطعـــة والمتشابهة لا يوجد في آيات الأحكام الشرعية، كما في استقراء الباحثين.

أما ما جاء في نطاق العبارة[٧٨٧]، فيمثل في (إشارة النص) ودلالته واقتـــضائه فالأول، هي دلالة اللفظ على المعنى غير مقصود في سياقه لا أصالة ولا تبعا ولكنه لازم للمعنى الذي سيق الكلام من أجله، ومثاله، في قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. فالآية دالة بعبارتها على وجوب سؤال أهل الذكر، لأن هذا هو مقصود المعنى، وسؤالهم يستلزم وجوب ايجاد أهل الذكر، حتى يُسألوا، وهذا المعنى

---

[٧٨٦] **ينظر: قضايا لغوية قرآنية: ٢٩؛ الوجيز في أصول الفقه: ٢٨٠ــ٢٨٢ــ٢٨٣ــ٢٨٤.**

[٧٨٧] **ينظر: الوجيز في أصول الفقه: ٢٨٦ــ٢٨٨ــ٢٨٩؛ ينظر: قضايا لغوية القرآنية: ٣١.**

غير مقصود من الآية وانما دلت عليه الاشارة أما دلالة النص، وهي دلالـــة اللفــظ على ثبوت حكم ما في النص لما سكت عنه لاشتراكهما في علة الحكم. ومثال ذلــك قوله تعـــالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[788].

دلت الآية الكريمة على تحريم أكل أموال اليتامى ظلما، ويفهــم منهــا بدلالـــة النص تحريم احراقها أو تبديدها واتلافها بجامع الاعتداء على مال اليتيم. والمسكوت عنه في الآية مساوٍ للمنطوق به في علة الحكم.

وأخيرا، اقتضاء النص. ويراد به دلالة اللفظ على المسكوت عنه يتوقف صدق الكلام وصحته، ومثاله قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ...﴾[789].

ومراد معنى النص، هو حرم عليكم نكاح أمهاتكم وبناتكم... وهذا المعنـــى دل عليه اللفظ عن طريق الاقتضاء.

وقد يسحبنا موضوع معنى المعنى إلى قضية جديرة بالذكر، وهـــي الظـــاهر والباطن وهو تدرج في ظهور المعنى البدائي من الآية ثم ظهور معنى أوسع وهكذا. وعلى هذا، للقرآن الكريم ظاهر وباطن، ((وكلا المعنيين يرادان من الآيات الكريمة، الا انهما واقعان في الطول لا في العرض، فان ارادة الظاهر لا تنفي ارادة البـــاطن وإرادة الباطن لا تزاحم إرادة الظاهر))[790].

وعلى المنوال نفسه قضية التنزيل والتأويل، التي تأخذ حيز من اهتمام علمـــاء الدراسات القرآنية فالتنزيل يقابل التأويل، وهو المعنى الواضح للآية الذي لا يحتـــاج إلى إرجاعه إلى شيء آخر[791]، أما التأويل مأخوذ من الأول بمعنى الرجوع ويراد

[788] النساء: ١٠.

[789] النساء: ٢٣.

[790] القرآن في الإسلام: ٢٩.

[791] م.ن: ٣٩.

من التأويل الشيء الذي ترجع الآية إليه(٧٩٢).

أما مفهوم المعنى الثاني أو معنى المعنى عند المحدثين هو ما يشير إليه اللفظ من معنى إلى جانب معناه المركزي (التصوري الخاص)، وليس له صفة الثبوت والشمول وإنما يتغير بتغير الثقافة أو الزمن أو الخبرة(٧٩٣).

وقد تنوعت تسمية المعنى الثانوي في دراساتهم، كالمعنى الاضافي أو الثانوي أو التضميني أو الايحائي أو المعنى الاستعمالي أو معان اسلوبية(٧٩٤).

أي انه معنى حاصل نتيجة استناده إلى المعنى الأول أو أخذه ببعض جوانب المعنى الأول أو المركزي، مع ما يضيفه إليه تنوع الاستعمال للمعنى واختلاف القرائن التي من شأنها تغير مفهوم المعنى الأول للمفردة(٧٩٥).

وأظهر سبل المعنى الثانوي هو في مجال الوظيفة الجمالية، التي تأخذ من أنواع الفنون مجالا لمعانيها ودلالاتها، التي تتعدى بها حدود الاشارة المباشرة، فهي تبرز ما تحمله من معان، وما تخفي في طياتها من امتدادات المعاني، أي انها تتعلق بنوع خاص من الرمزية(٧٩٦).

ومن ثم تتكشف طبيعة المعنى الثانوي في العمل الفني، الذي يتمازج فيه المعنى المركزي مع الإحساس الفني، في تأدية معان اضافية.

واذا كان المعنى الأول يشترط فيه الاتفاق لدى متداوليه، فالمعنى الثانوي لا يخضع لهذا الشرط، فهو من المعاني التوليدية المتجددة، المتناسبة مع المعنى الاساس فدلالته ضمنية تكمن تحت الدلالة الأولى(٧٩٧).

---

(٧٩٢) **ينظر في تفصيل ذلك، تأويل القرآن،الحيدري: ١٤ــ٢٦.**

(٧٩٣) **علم الدلالة: ٣٧.**

(٧٩٤) **م.ن: ٣٧.**

(٧٩٥) **الدلالة المركزية والدلالة الهامشية: ٣١.**

(٧٩٦) **ينظر: علم الاشارة: ٣١.**

(٧٩٧) **ينظر: علم الدلالة: ٣٧؛ الاصول: ٣٧٠؛ علم الاشارة: ٧٨.**

ذلك أن المعنى الثانوي يحصل من قصد المنشئ للكلام، فالقصد هو المطلــوب الذي يسعى للوصول إليه، وبذلك تحدد أهمية هذه الدلالة أو المعنى، في فهم المعاني المقصودة حقيقة وبها يحصل المعنى التام بالتدبر والتامل والاستنتاج وأعمال الفكــر والذهن، للوصول إلى المعنى المراد الذي قيل من أجله الكلام.

ولهذا تتغير دلالة المعاني وهذا التغير يحصل في ((العلاقة بين المدلولات وبين الألفاظ))[٧٩٨] وبه يتضح نوع المعنى الجديد، أي أن التغير ينسحب على اللفظ ايضا. وقد يتغير نتيجة لذلك أو يتحور.

الا أن دخول المعنى في نطاق الاستعمال السياقي، هو الذي يوضـــح الابعـــاد المختلفة لتغاير المعاني وتبادلها، مع المعنى المركزي الثابت[٧٩٩].

ومظاهر التغير الدلالي أو المعنوي، يتنوع تبعا لتعدد الأسباب، كالتاريخيـــة أو اللغوية، أو النفسية أو الاجتماعية أو تبعا لإبداع المنشأ ومن هـــذه المظـــاهر، نقـــل المعنى أو الانتقال الدلالي، وهو تغير مجال الدلالة في الكلمة بين معنيـــين، وهـــذا الانتقال يحدث عن طريق الاستعمال المجازي في اللغة[٨٠٠].

وعليه، فالمعنى الحقيقي أو الأول، قد يختفي ويزول من حيز التداول، ويحـــل محله المجاز في مركز الاستعمال، أو قد يبقى المعنيان متوازيين في الاستعمال، وقد يزدهر المعنى الحقيقي الأول وينمو مقابل المعاني الجديدة اللاحقة[٨٠١].

أما المظهر الآخر، هو توسيع المعنى، وهو ما يقابل المعنى العام عند اللغويين والأصوليين، ويقع توسع المعنى حين يحدث الانتقال من المعنى الخاص إلى معنـــى عام. أي ضم عدد من الجزئيات تحت اللفظ العام، مما يمنح المـــتكلم مرونـــة فـــي الاستعمال لمختلف المواقف.

---

[٧٩٨] علم الدلالة: ١٦٤.

[٧٩٩] دور الكلمة في اللغة: ٦٤.

[٨٠٠] ينظر: علم الدلالة العربي: ٢٦٦؛ دلالة الألفاظ: ١٦٥.

[٨٠١] ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية، المبارك: ٢٢١؛ في اللهجات العربية: ١٨١ــ١٨٢.

وقد يقع التغير الدلالي، في تضيق المعنى أي تخصيص المعنى، وذلك بتحــول الدلالة من المعنى الكلي إلى المعنى الجزئي، وتضيق مجالها، فإذا انتشرت وشاعت أصبحت مركزية الدلالة.

معنى المعنى في آيات الأحكام:

يبقى الوصول إلى فهم مرادات النص القرآني حافلا بمعطياته التي لا يحــدها حدّ دلاليا وجماليا، والذي يحسم ذلك هو مبدع النص القرآني.

فالنص الكريم ذو مفاهيم واضحة ويدل دلالة بينة على معانيه المقصودة وليس فيه خفاء على المتلقين.

فكل إنسان عارف باللغة يستطيع أن يدرك معنى الآيات الكريمــة، كإدراكــه للأقوال العربية الأخرى. ((فلا يوجد دليل على انه يقصد من كلماته غيــر المعــاني التي تدركها في ألفاظه وجملة))[٨٠٢].وقد حاجج المنكرون وتحداهم ومن البديهي، انه لا يمكن أن يتحدى من لا يفهم معناه.

ومن جهة أخرى، قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٨٠٣].

فالآية دالة على ضرورة التدبر في القرآن ((وهو بمعنى التفهم والتدبر، يرفــع ما يتراءى بالنظرة الأولى من الاختلاف بين الآيات ومن البديهي أيضا أن الآيات لو لم يكن لها دلالة ظاهرة على معناها لما كان معنى للتدبر والتأمل))[٨٠٤].

إذن النص القرآني حامل لمعان إضافية وثانوية ،فضلا عن الظاهرة وعند تأمل آيات الأحكام، نجد النص الكريم قد استثمر طرائق وأساليب فنية لعــرض معــانٍ ثانوية، تخص إفادة النص.

---

[٨٠٢] القرآن في الإسلام: ٢٤.

[٨٠٣] محمد: ٢٤.

[٨٠٤] القرآن في الإسلام: ٢٥.

تنعكس المعاني الثانوية أو معنى المعنى، في العنصر التصويري، كالتصوير البياني الذي تكفل الفصل الأول بدراسته، الا أنني سأقف عند تضافر الصور البيانية في النص القرآني، فهناك آيات كريمة، فيها أكثر من فن بلاغي، في بيان الحكم الشرعي.وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[٨٠٥].

فالنص الكريم، يشير إلى صفة التواضع والتحلي به، وهو مقصد النص في ذلك من خلال عرضه لصفات متضادة لذلك، مستثمرا فن التشبيه والكناية. فقد شبه النص، الانسان الفخور المتعاظم، بتصعير الخد، والصعر هو ميل البعير رأسه إلى جانب لمرض يصيبه، والمقصود هنا إمالة الرأس تكبرا[٨٠٦].

وقد كنى عن المتجبر المختال، بمن يمشي مرحا. فالمختال من الخيال وتصور الشخص نفسه عظيما، وأختال في مشيه أي تجبر[٨٠٧].

ومن تلاحم الصور البيانية، ترتسم صورة تامة مستهجنة عن شخصية غير سوية، متجبرة متعاظمة.

وفي مثال آخر، عن تضافر الصور البيانية، في نص واحد، قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ

---

[٨٠٥] **لقمان:** ١٨.

[٨٠٦] **مجمع البحرين:** ٣/٣٦٥.

[٨٠٧] م.ن: ٣/٣٦٧.

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾[٨٠٨].

اشتملت الآية الكريمة على صور بيانية متواشجة، شكلت خطابا فنيا عالي المضمون، من خلال تضافر فن الكناية في (الرفث/باشروهن) مع التشبيه البليغ في (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) وصولا إلى الاستعارة في (الخيط الابيض من الخيط الأسود). مستثمرا جميع المزايا الفنية التي تحملها تلك الصور، في تأدية الحكم الشرعي، المتعلق، بالتوقيت الاباحي للصائم.

وتستوقفنا الصورة الحسية، التي تدرك ماهيتها بواسطة الحواس، في عرض مضامين ومعانٍ ثانوية، تتصف بالوضوح والثبات في الذهن.

وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

إن المعنى الأول، في هذه الآية الكريمة، يتضح بدايةً بتوجيه الخطاب إلى المؤمنين تشريفا لهم، وإعلانا بأنهم مختصون بتلقي الأوامر وتنفيذ الأحكام، ثم مذكرا إياهم بنعمة إباحة الطيبات من الرزق، وهو يومئ بان ما يحرمه هو غير الطيب فيستوجب لذلك الشكر والتعظيم، وهو يوحي من خلال (إياه تعبدون) إلى أن الشكر عبادة فعلية. ثم تتجه الآية إلى تعداد المحرمات وتحديدها.

ومن ثم يستجلى من المحسوسات (الطيبات/ المحرمات) معاني ثانوية، هي الأحكام الشرعية. وهي اباحة الطيبات، بلحاظ صيغة الأمر (كلوا) وهذا يدل على امرين، الأول:

---

[٨٠٨] **البقرة:** ١٨٧.

أكل الحلال والثاني: الأكل في وقت الحاجة أي متى كان الوقت وقت حاجة[٨٠٩].

والحكم الثاني، تحريم الخبائث، أي كلوا الطيبات دون الخبيث[٨١٠] وقد قبحت الآية الخبائث في عدّ أصنافها، فضلا عن تباين آراء الفقهاء، في التحريم كلي أو جزئي[٨١١].

واذا كانت الصورة الحسية، لها قابلية على اظهار المعاني الثانوية، فان الصور الذهنية لها القابلية نفسها، وهي تعبر عن معان ذهنية في قوالب حسية تعمل على توسيع نطاق الصورة.

ومثال ذلك، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[٨١٢].

إن معنى الآية الكريمة، هو اثبات أن مكاني الصفا والمروة من الاماكن التي تقام فيها الشعائر والعبادات وأشار إلى أن من حج البيت أو اعتمر فلا أثم عليه أن يسعى بينهما. وذلك لظهور توهم مؤداه أن السعي بينهما غير مشروع فجاء سياق الآية مثبتا ذلك وانها من شعائر الله[٨١٣].

فشعائر الله، هو معنى ذهني تعبدي يخضع لتوجه المكلف ذهنيا وباطنيا إلى الله سبحانه، إلا أنها متجسدة في فعل مادي.

وعليه جاءت المعاني الثانوية المتمثلة في الحكم الشرعي، أي حكم السعي،

---

[٨٠٩] **التبيان، الطوسي: ٨١/٢. ينظر: مجمع البيان، الطبرسي: ٢٥٦/١.**

[٨١٠] **ينظر: التبيان الطوسي: ٨٢/٢.**

[٨١١] **ينظر: احكام الجصاص: ١٠٧/١ـ١١٥؛ آيات الاحكام، الطباطبائي: ٢١٣/١؛ منهاج الصالحين، الخوئي: ٤/٢.**

[٨١٢] **البقرة: ١٥٨.**

[٨١٣] **دلالة المفردة القرآنية (لا جناح/انموذجا): ١٣.**

ينظر: في أسباب نزول الآية، أسباب النزول: ٣١؛ التبيان: ٤٤/٢؛ الدر المنثور، السيوطي: ١٥٩/١؛ تفسير البرهان، البحراني: ١٦٩/١.

واختلف الفقهاء في هذا الحكم على أقوال.

الأول: ذهب إلى انه واجب ركن لا يتم الحج الا به(٨١٤).

أما **الثاني:** السعي واجب، وليس بركن، فمن تركه أجزي عنه دم(٨١٥).

أما القول **الثالث:** السعي سنة وليس واجبا(٨١٦).

وهذا الاختلاف بين الفقهاء في حكم السعي، مردة إلى التفاوت في فهم المعنى الذي اشرنا إليه.

وقد نلمح توظيف فن الأقصوصة، في عرض معنى المعنى، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾(٨١٧).

استثمر النص القرآني الأسلوب القصصي بما فيه من جمال فني لإضاءة مضمونه، وإحداث التأثير المنشود، الذي هو هدف الفن بشكل عام، وليس مجرد شكل فني يستقل بذاته. وقد تميزت القصص القرآنية بالطرح الحقيقي للواقع، ولكن وفق عملية اصطفاء لحوادثه وشخوصه وبيئاته(٨١٨).

فالبناء السردي في الآية الكريمة قام بعرض (الشخوص، والحادثة، والحوار). فالشخوص تمثلت، بشخص الرسولk وهو الشخصية الفاعلة والثابتة في

---

(٨١٤) **التبيان، الطبرسي: ٢/٤٤؛ شرائع الإسلام، المحقق الحلي: ١/٢٥٤؛ تفسير آيات الاحكام، الطباطبائي: ١/١٨٧.ووافقهم الشافعية والمالكية. ينظر: أحكام القرآن، الجصاص:١/٩٦، تفسير آيات الأحكام،الصابوني:١/١٣٩.**

(٨١٥) **احكام القرآن، الجصاص: ١/٩٦.**

(٨١٦) **تفسير آيات الاحكام، الصابوني: ١/١٣٩.**

(٨١٧) **الاحزاب: ٣٧.**

(٨١٨) **الإسلام والفن: ٩٩.**

الاقصوصة، أما الشخصية الثانية، هي شخصية زيد بن الحارثة مــولى الرســولk، والشخصية الثالثة هي ام المؤمنين زينب بنت جحش (رض)، وأشار إليهــا الــنص بضمير الغائب.

وقد اعتمدت الاقصوصة على الحوار السردي، المتمثل بالضمائر، فضلا عــن الحوار الداخلي الذي عبر عنه النص الكريم بــ(وتخفي في نفسك ما الله مبديه).

أما الحادثة، فقد تمثلت بزواج الرسولk بزينب بنت جحش (طليقة مولاه زيد). وهو بهذا أحل للمسلمين الزواج بزوجة المتبنى.

إن غاية هذا النص، هو ابطال التبني، وهذا هو (معنى المعنى) الذي أظهرتــه الاقصوصة فقد اختير الرسولk، لانهاء هذه الظاهرة، لشدة عمقها في البيئة العربية وصعوبة الخروج عليها.

وقد مضى أن الرسولk زوج زيدا، الذي كان يتبناه من ابنة عمــة الرســولk ليحطم الفوارق الطبقية بهذا الزواج، وشاء الله سبحانه أن يختار رسولهk ليحطم آثار نظام التبني، فيتزوج من مطلقة متبناه (زيد بن الحارثة) ويواجه المجتمع بهذا الفعل.

ويستثمر النص الكريم، بعض الأساليب الفنية البديعية، في التعبير والإفــصاح عن المعاني الثانوية، كما في الأسلوب الحكيم، وهو أن تلقي المخاطب، بغيــر مــا يترقبه، أما بترك سؤاله والاجابة عن سؤال لم يسأله، وأما بحمل كلامه على غير ما كان يقصد اشارة إلى انه كان ينبغي له أن يــسأل هــذا الــسؤال او يقــصد هــذا المعنى[٨١٩].

كما في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[٨٢٠].

---

[٨١٩] **علم البديع: ١٢٨؛ البلاغة الواضحة: ٢٩٥.**

[٨٢٠] **البقرة: ٢١٥.**

فقد سأل المسلمون الرسولk، ماذا ننفق من أموالنا؟ فصرفهم عن هـذا ببيـان المصرف، لأن النفقة لا يعتد بها إن لم تقع موقعها.فكأن الغاية، هو حملهم إلى معنى آخر، هو انفع لهم وأجدى عليهم.

وكما في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾[٨٢١]. فالسؤال هنا عن حقيقة الأهلة، فصرفهم عن الظاهرة الفلكية، لعجزهم عن فهمها، إلى بيـان انها وسائل للتوقيت في المعاملات والعبادات[٨٢٢].

---

[٨٢١] البقرة: ١٨٩.

[٨٢٢] علم البديع: ١٣٠.

المبحث الثالث

التركيب الجملي (الخبر والإنشاء)

لما كان علم المعاني، يعرف به أحوال اللفظ العربي التـي يطـابق مقتـضى الحال[٨٢٣]، كان الخبر والإنشاء، أحد مباحثه، حيث يبحث في أحـوال التراكيـب، وكيفية البناء، وصياغة التعابير، واختيار الأجزاء وعلاقة الجمـل، واختيـار نـوع الكلام الملائم لمقتضى حال المخاطب، خبرا أو انشاءً[٨٢٤].

ولكن بعض الدارسين، يرون أن علم المعاني ،يتحدث عن معاني النحـو، ولا يخرج عنه، (فالمسند والمسند إليه)، يتعلق(بالفعل والفاعل) و(المبتدأ والخبـر)، وأن الاستفهام، والطلب، والتمني، والترجي، والنداء..)، مباحث نحوية، يجب أن تلحـق بالنحو، فمفرداتها ((هي في الحق معاني النحو التي لا يـستقيم النحـو إلا بهـا ولا تستقر قواعده إلا عليها))[٨٢٥]،وإن كانت لا تخلو من لمحات بلاغية، وسمات بيانيـة بالمعنى العام ((الا انها مباحـث نحويـة، تقـاعس عنهـا النحويـون، وتناولهـا البلاغيون))[٨٢٦].

واذا ما عدنا إلى الدرس النحوي، نجده يتعلق بدراسة أحوال الكلام، من حيـث الحكم وإمكان الاستعمال، وهذا يخالف الدرس البلاغي، وفنية الحكـم فيـه، إذ انـه يدرس الاسرار الكامنة، وراء هذه الأحوال، لأنه يتناولها من حيـث كونهـا مطلبـا بلاغيا يقتضيه المقام، ويدعو إليه حال المخاطب[٨٢٧].

ومن الملاحظ فإننا نجد أن المكمن الدلالي والبعد الفني، الذي يتخلـل الكـلام،

---

(٨٢٣) الايضاح: ٢٢.

(٨٢٤) علم المعاني، د. بسيوني عبد الفتاح: ٣٠.

(٨٢٥) نحو القرآن، د. أحمد عبد الستار الجواري: ٤٣ـ١٠١.

(٨٢٦) محاضرات في قضايا بلاغية، د. محمد حسين الصغير، ألقيت على طلبة الدكتوراه، أدب، جامعة الكوفة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية (٢٠٠٣ـ٢٠٠٤).

(٨٢٧) علم المعاني، د. بسيوني عبد الفتاح: ٣١.

جراء نظمه الخبري أو الانشائي، في مراعاة حال المخاطب ومناسبته المقام، وهـذا يستدعي جهدا فنيا في اخضاع الكلام وتوجيهه لمراعاة طرفي الخطـاب (المـتكلم والمخاطب)، وملاءمته. ويتطلب اسلوبا بلاغيا في سوق التراكيب لموافقـة الـنفس والاحساس والوجدان والخيال، الذي به تتحقق مطابقته لمقتضى الحال الذي أكد عليه القدامى، وبخلافه يعود الكلام، جامدا، فاقدا للقبول النفسي والذهني.

الخبر:

يعد الخبر ظاهرة اسلوبية تعبيرية في التراكيب الجملية، ذات المعطى الـدلالي في تسير المعنى نحو طرفي الخطاب.

ومن بديهيات الأمور، المقاربات الدلالية بين المعنى الاصـطلاحي، والأصـل الوضعي والذي لا بدّ من أن يتعلق منه بطرف، وذلك يظهر من خلال متابعة لفظـة الخبر في طيات المعاجم، ونخلص إلى ثلاثة معانٍ أصول، الأول هـو العلـم(٨٢٨)، والثاني الغزارة واللين(٨٢٩). أما الثالث، فهو الاشتراك أو التقاسم(٨٣٠). حيث ألقـت هذه المعاني بظلالهـا علـى الـدلالات الاصـطلاحية لـدى العلمـاء، بمختلـف اختصاصاتهم.فكان مدار الاصطلاح في كون الخبر يحتمل الـصدق والكـذب، وتحقيقـه الفائدة. فقد تطرق علماء اللغة إلى مفهوم الخبر، عندما قارنوه بالنبأ والحديث والعلم(٨٣١).

وحدوه في نطاق معنى الاعلام واحتمالية الصدق والكذب(٨٣٢)، سواء أكان في ذاتـه ام من جهة المتكلم، ورأوا أن الكلام يكون كله خبرا، وليس الخبر جزءا من الجملـة، كمـا اعتقد النحاة، فقد نظر جمهور النحويين إلى الخبر بوصفه قسيم المبتدأ، فـي إنـشاء دلالـة

---

(٨٢٨) ينظر: لسان العرب، مادة (خبر): ٢٢٦/٤؛ القاموس المحيط: ١٧/٢.

(٨٢٩) ينظر: الصحاح، الجوهري: ٦٤٢/٢؛ لسان العرب: ٢٢٦/٤؛ معجم مقـاييس اللغـة: ٢٣٩/٢. ويـرى الشوكاني: ((أن الخبر يثير الفائدة، كما أن الارض الخبار تثير الغبار إذا قرعهـا الحـافر ونحـوه))، ارشـاد الفحول: ٨٣/١.

(٨٣٠) الصحاح، الجوهري: ٦١٢/٢؛ لسان العرب: ٢٢٦/٤. (والعرب تقول: تخبر واخبـر إذا اشـتروا شـاة فذبحوها واقتسموا لحمها))، الصحاح: ٦٤٢/٢؛ وذلك الخبر ايضا، يتقاسم أطراف الخطاب.

(٨٣١) ينظر: الفروق في اللغة: ٢١٠ــ ٢١١ــ ٥٢٩، والمفردات في غريب القرآن :٤٨١.

(٨٣٢) الصحابي في فقه اللغة: ١٧٩.

مضمونية، سمتها الثبوت والدوام، ثم انه موضع الصدق والكذب في الجملة الاسمية، مخرجا الجملة الفعلية من حيز الخبر، إلا إذا اسند إلى اسم، والخبر عندهم يقوم على علاقة اسنادية، تتم به الفائدة، وانه من الأهمية، ما يجعله أصل الكلام وتمامه، وغاية المراد وأساسه، وموضع الفائدة ومدار المقصد، ولا بدّ للخبر من زمان يحتويه، وواقع يوثقه نفيا أو أثباتا، ويتحقق مضمونه في الخارج[٨٣٣].

لقد أصل البلاغيون للخبر مبحثا خاصا، في طيات كتبهم التخصصية، وبسطوا القول فيه، ضمن علم المعاني. وخلاصة بحثهم، يدور في قضايا أحوال هذه التراكيب، ومعطياتها الدلالية في توجيه المعنى بين طرفي الخطاب، فقد قسموا الخبر على اساس أحوال المتكلم والمخاطب[٨٣٤].

أما الاصوليون، فكان بحثهم أكثر دقة وسعة، وقد سبروا اغوار بعيدة في ترسيخ المصطلح مقلبين معناه في أوجه القول، من خلال وقوفهم عند التعريفات المتعددة، محللين ومناقشين، فحد الخبر عنده هو ((ما يصح أن يدخله الصدق والكذب لذاته))[٨٣٥]، وقد لقي هذا التعريف اعتراضا[٨٣٦] وقد

---

[٨٣٣] ينظر: الكتاب، سيبويه: ٢/٨٦ــ٨٧؛ الاصول، ابن السراج: ١/٦٧ــ٦٨؛ شرح جمل الزجاج، ابن عصفور: ١/٣٤٠.

[٨٣٤] ينظر: أدب الكاتب على هامش كتاب المثل السائر: ٤، ونقد النثر: ٤٤؛ البرهان في وجوه البيان، ابن وهب: ١١٣.

وقد عالج ابن فارس مفهوم الخبر ضمن بحثه في معاني الكلام، وهو يفرق بين معناه اللغوي والاصطلاحي، فيقول: ((الخبر ما جاز تصديقه أو تكذيبه، وهو إفادة المخاطب امرا في ماضٍ من الزمان أو مستقبل أو دائم))، الصاحبي: ١٧٩.

وعرض السكاكي أقوال العلماء، وتعريفاتهم للخبر، وناقشها وهو يرى أن ((مرجع الخبرية واحتمال الصدق والكذب إلى حكم المخبر الذي يحكمه في حيزه بمفهوم لمفهوم))، مفتاح العلوم: ١٦٦.

[٨٣٥] ارشاد الفحول، الشوكاني: ١/٥٨.

[٨٣٦] ((الواجب أن يحد الخبر بانه ما صح فيه الصدق أو الكذب))، الذريعة إلى أصول الشريعة، السيد المرتضى: ٢/٤٧٧، وذلك أن استعمال (واو) الجمع بين الصدق والكذب، أي أن الخبر يكون صادقا وكاذبا في وقت واحد، وهذا محال، ولذلك استعمل (أو) لافادة احتمالية الخبر لواحد من أمرين. ينظر: عدة الاصول، الطوسي: ١/٦٤.

حده بعضهم بأنه: ((كلام يفيد بنفسه إضافة أمر من الأمور إلى امر من الامور نفيا أو اثباتا))[٨٣٧].

ومن خلال تلك المباحث والفقرات الدقيقة عند العلماء في تحديد مفهوم الخبر، نجد أن البعد الدلالي في التركيب الجملي هو الذي يميزه، بفهم خاص، يعطي له ذائقة لغوية أو تعبيرية متميزة، تجمع إلى جنب الاعلام أو الفائدة الاخبارية الملائمة الذهنية والواقعية.

وتأسيسا على أقوال العلماء، يتحدد مفهوم الخبر، بوصفه بعدا اصطلاحيا، معرفيا وغرضا فنيا، في ثلاثة أحوال:

الأول: جهة صدور الخبر[٨٣٨].

الثاني: مطابقة الخبر للواقع[٨٣٩].

الثالث تصديق الخبر أو تكذيبه، وهو يخص المخاطب أو المتلقي[٨٤٠].

---

[٨٣٧] المحصول في علم الاصول، الرازي: ٣١١/٤؛ الاحكام في أصول الاحكام، الآمدي: ١٥/٢.

[٨٣٨] على وفق ذلك قسم أهل الاصول الخبر، على خبر مقطوع بصدقه، وآخر مقطوع بكذبه، وثالث لا يقطع بواحد منهما، لفقدان ما يوجب القطع: ينظر: ارشاد الفحول: ٨٥/١. فمن الأخبار المقطوع بصحتها ولا تحتمل الكذب البتة أخبار الله تعالى، أي كل ما يخبر الله به، وأخبار رسله، والبديهيات المألوفة.

ومن الأخبار المقطوعة بكذبها، ولا تحتمل الصدق. اخبار المناقضة للبديهيات أو التي تتضمن حقائق معكوسة. ينظر: علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ٣٤ــ٣٥.

[٨٣٩] لا بد للخبر من مصداق يوثقه، وهو الواقع، فان عرضه على الواقع هو الذي يثبته أو ينفيه، ويحدد صدق الخبر وقائله أو كذبه، فكان الواقع من الاهمية، ما جعل العلماء يؤسسون، مفهوم الخبر على أساسه. ينظر: الايضاح: ٢٥؛ شروح التلخيص: ١٧٦/١. ولذلك كان للخبر حيز زمني، ما دام مرتبطا بحدث.

[٨٤٠] لقد قسم العلماء الخبر، على أساس احوال المخاطب، في تصديقه للخبر، ومدى انكاره إلى:

- أولا: خبر ابتدائي، أن يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم، وفي هذه الحال يلقى إليه الخبر خاليا من أدوات التوكيد.
- ثانيا: خبر طلبي، أن يكون المخاطب مترددا في الحكم شاكا فيه، ويبغي الوصول إلى اليقين في معرفته، وفي هذه الحال يحسن توكيده له ليتمكن من نفسه، ويحل فيها اليقين محل الشك.
- ثالثا: خبر انكاري، أن يكون المخاطب منكرا لحكم الخبر، وفي هذا الحال يجب أن يؤكد له الخبر بمؤكد أو أكثر، على حسب درجة إنكاره من جهة القوة والضعف.
- ينظر: المعاني في ضوء اساليب القرآن: ١٢٨؛ علم المعاني، د. درويش: ٢٦ــ٢٧.

الانشاء:

صنو الخبر وقسيمه في الكلام، وهو ذو أساليب وصياغات متعددة، يقصد بها انشاء كلام وايجاده ابتداء ليطلب بها مطلوب وللانشاء مغزى بلاغي، وفني، في الحدث واثارة الذهن وتحريك النفس، وتنشيط العقل والتأثير في المخاطب[٨٤١].

وأن متابعة المعنى المعجمي للانشاء، يمهد للدلالة الاصطلاحية، ذلك أن المعنى الوضعي أو اللغوي، يمثل القدحة الأولى، في تحديد المعنى الاصطلاحي،فالانشاء ينحصر في معنيين معجميين هما: الابتداء والايجاد[٨٤٢]، أما الآخر فهو الارتفاع[٨٤٣]. وللظفر بالمفهوم الاصطلاحي، لا بدّ من متابعة مقولات العلماء، بايجاز.

فقد تذبذب مفهوم الانشاء عند اللغويين، بين الأصل الوضعي والدلالة الاصطلاحية وذلك ما جاء في حديثهم عن الفرق بين الانشاء والفعل[٨٤٤]، الا أن بعض اللغويين قد اقترب من المعنى الاصطلاحي للانشاء، فألمح، إلى خروج الانشاء عن مدار الصدق والكذب، فهو لا يصح فيه التصديق والتكذيب[٨٤٥].

أما النحويون، فقد بحثوا الانشاء تحت مصطلح الطلب[٨٤٦]. وتابعهم في بادئ

---

[٨٤١] **علم المعاني، د. بسيوني عبد الفتاح: ٢٨١.**

[٨٤٢] **ينظر: العين: ٢٨٧/٦ــ٢٨٨؛ ولسان العرب: ١٧٠/١؛ والصحاح: ٧٧/١ــ٧٨.**

[٨٤٣] **ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٢٨/٥ــ٤٢٩.**

[٨٤٤] **الانشاء هو احداث حالا بعد حال من غير احتذاء على مثال، ومنه يقال أنشأ الغلام، وصبي ناشئ، إذا نما وزاد شيئا فشيئا، والاسم النشوء وقال بعضهم الانشاء ابتداء الايجاد من غير سبب، والفعل يكون عن سبب)). الفروق في اللغة: ٨٠.**

[٨٤٥] **ذكر ابن جني في خصائصه معنى النداء، الذي هو معنى إنشائي، أن ((النداء مما لا يصح فيه التصديق والتكذيب)). الخصائص: ١٨٦/١.**

[٨٤٦] **ينظر: الكتاب، سيبويه: ١٠٥/٣ــ١٠٦، يقول المبرد: ((والدعاء يجري مجرى الأمر والنهي وانما سمي هذا أمرا ونهيا، وقيل للاخر طلب للمعنى، فاما اللفظ فواحد..)) المقتضب: ١٣٠/٢؛ ينظر: الاصول، ابن السراج: ١٧٧/٢؛ أما ابن هشام فقد ظهر مصطلح (الإنشاء) عنده بشكل واضح. ينظر: شرح شذور الذهب: ٤٠/١.**

الأمر البلاغيون في التسمية نفسها. فقد وضع السكاكي مصطلح الطلب إلـى جنـب الخبر[٨٤٧].

وان كان من قبله درست الاساليب الانشائية منفردة دون أن يجمعها مـصطلح واحد، اثناء تقسيمهم الكلام[٨٤٨]، تحـت مبحـث علـم المعـاني فـي مـصنفاتهم التخصصية، مترصدين مفاهيمها ومعانيها الحقيقية والمجازية.

وقد تحدد مفهوم الانشاء من خلال افتراقه عن الخبـر فـي حيثيـة الـصدق والكذب[٨٤٩].

الا أن مزية، البنية الانشائية، هي خاصيتها التوليدية، في انتاج دلالة غير ثابتة شكلا ومضمونا[٨٥٠]،أي متى ما ((امتنع اجراء هذه الابواب على الأصل تولد منهـا ما ناسب المقام))[٨٥١] بمعونة قرائن السياق، وهذا التصوير يستدعي مطلوبا دلاليا لا يكون حاصلا وقت الطلب، أي ((أن الأصل الوضعي يظـل فـي خدمـة الـسياق وبخاصة السياق الخارجي الذي يـضم طرفـي الاتـصال كمـا يـضم الظـروف المصاحبة))[٨٥٢].

حيث تفرغ البنى الانشائية من محتواها الاصلي، لتحمل دلالة اخـرى، وهـذه هي فنية الخطاب.

أما الاصوليون، فقد أهتموا بالجملة الانشائية، اهتماما واسعا، في مـصنفاتهم، وبحثوها تحت عنوان (مباحث الدليل اللفظي)، وذلك لما يشكله هذا الموضوع مـن أهمية، لاقترانه بجهودهم العلمية ونشاطاتهم الفكرية في تخصصهم، والتي تكمن في تحديد الأحكام الشرعية واستنباطها من الكتاب والسنة.

---

[٨٤٧] **مفتاح العلوم: ٣٠٢ـــ٣٢٨.**

[٨٤٨] **ينظر: أدب الكاتب: ٤؛ قواعد الشعر: ٣١؛ دلائل الاعجاز: ١١٨؛ البرهان في علوم القرآن: ٣٢٦/٢.**

[٨٤٩] **مفتاح العلوم: ١٦٥.**

[٨٥٠] **البلاغة العربية قراءة أخرى: ٢٧٨.**

[٨٥١] **مفتاح العلوم: ٣٠٤.**

[٨٥٢] **البلاغة العربية قراءة أخرى: ٢٧٨.**

وقد وافق علماء الاصول غيرهم في أن حيثية الصدق والكــذب هــو الفــارق الرئيس بين الخبر والإنشاء، فالانشاء لا يتطرق إليه التصديق والتكذيب، لأنه اثبات الكلام ابتداء[٨٥٣]، أي ليس له خارج يطابقه، وعلى هذا ينتفي اقترانه بالزمن.

ومن هنا، فان الجملة الخبرية: ((ما كان لنسبتها واقع خارجي، قبل التلفظ بــه فيصح وصفها بالصدق والكذب، والانشائية خلاف ذلك، فاللفظ هــو الــذي يوجــد واقعها، فوصفة الانشائية بأنها موجودة لمعناها، والخبرية، بأنها حاكية عنها[٨٥٤].

التراكيب الخبرية والانشائية في آيات الأحكام:

إن للنص القرآني الكريم خاصية مميزة في استعمال التراكيب الجملية استعمالا في غاية الدقة والجمال، فهي تستثمر الطاقات الدلالية والايحائية، في تعزيز عمليــة الفهم والافهام، والتأمل لدى المتلقي.

وهذا ما نجده في آيات الأحكام، التي أخضعت التراكيب الخبرية والانشائية إلى قصدية النص الشرعي مما اسفر عن التوازن بين الدلالة المضمونية، والدلالة الفنية أو الجمالية، وذلك لما تلعبه هذه التشكيلات البنائية من أثر فعال في توليد فــضاءات معرفية وشعورية، تمنح العقل والوجدان قــدرة عاليــة علــى اســتيعاب الأحكــام والمعارف التي انتجتها الجملة الخبرية أو الانشائية منمية في الوقت نفــسه ملكــات الاحساس في النفس والذوق.

فقد استطاع التعبير القرآني الحكمي، مــن تمتــين الدلالــة القــصدية للــنص والتصوير الفني عبر السياقات الأسلوبية له.

ونترصد ذلك في النصوص الشريفة، على اربعة صور اسلوبية:

الأول: هي الآيات الخبرية.

أما **الثاني:** فهي الآيات الانشائية.

---

[٨٥٣] **المحصول في علم الاصول، الرازي: ٣٨٩/٤؛ ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي: ٢٦/٢.**

[٨٥٤] **ينظر: البحث النحوي عند الأصوليين، جمال الدين: ٢٥٩ـــ٢٦٠.**

والصورة **الثالثة:** هي الآيات التي تتبادل فيها الدلالة الخبرية والانشائية.

وأما الصورة **الرابعة:** هي الآيات التي تتضافر بها الدلالة الخبرية والانشائية.

وهذا ما نتلمسه بشكل واضح، في التطبيق الاجرائي للنصوص القرآنية الشرعية.

الآيات الخبرية:

ونقصد بها، الآيات التي ينفرد الأسلوب الخبري، في تكوينها البنائي مؤدية للغرض المقصود.

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾[٨٥٥].

إن الآية الكريمة، من احكام الطهارة التي، يستدل بها الفقهاء للماء كونه طاهرا في نفسه، ومطهرا لغيره[٨٥٦].

فقد وردت الآية الكريمة في سياق المحاججة مع الكفار، في بيان، النعم الالهية، مستعرضا جملة من النعمة التي منَّ بها سبحانه على عباده، واسبغها عليهم في ارسال الرياح المبشرة برحمته، وانزال من السماء الماء الطهور. أن المتامل للآية المباركة، يستطيع أن يدرك ارتباط المعاني المضمونية ومعطياتها الفنية، من خلال تآزر، البنية المعمارية المتمثلة في الأسلوب الخبري في صياغتها الفعلية للجملة وابعادها الفنية عبر الصور التمثيلية والاستعارية.

فقد استثمر الأسلوب الخبري، التصوير الفني، في عرض فائدة الخبر[٨٥٧]،

---

[٨٥٥] **الفرقان: ٤٨.**

[٨٥٦] **ينظر: مجمع البيان: ٤٣١/٣.**

[٨٥٧] **للجملة الخبرية غرضان أصليان هما، فائدة الخبر، ولازم الفائدة، وهذا يعود إلى قصد المتكلم. ففائدة الخبر، هو اعلام المخاطب بخبر لم يكن يعلمه: علم المعاني وأساليبه البلاغية: ٤٠.**

على المتلقي، ومن الملاحظ أن النص قد سيق وهو خال من المؤكدات مما يعني انزال المنكر منزلة غيره، فان الدليل على ما ينكره واضحا، بحيث لو تأمله لارتدع عن إنكاره[٨٥٨]، لذلك ذكر النعم التي يعترف الكفار بكونها نعما كالمطهرية من الاوساخ[٨٥٩].

وإن مجيئها في صياغة فعلية كما في الجملة الفعلية (أرسل) و(أنزلنا) دلت على تجدد هذه النعم من الله تعالى ودوامها.

وتتضح الدلالة الفنية، التي تمخضت من سياق الأسلوب الخبري في مدى فاعليتها في التصوير البياني. وذلك من خلال العرض التصويري لظاهرة طبيعية وهي ظاهرة الرياح وما تربطها من علاقة مع السحاب وعلاقة ذلك بالمطر ومآلها في احياء الارض وإرواءها للانسان والحيوان، ومؤداها الحيوي بالنسبة لحياة الانسان ورزقه، من إنتاج واستهلاك.

فهي صورة مركبة ومتداخلة لظاهرة معينة، تكفل النص في سوقها بإيجاز بديع من خلال فن التمثيل (أرسل الرياح بشرا) متضافرة مع الصورة الاستعارية في (يدي رحمته)، ذلك أن الله هو المرسل وان استعارة (اليد) بصفتها هي المعطية. ولذلك أن استعارتها لمفهوم الرحمة، جاء متناسبا مع العطاء والنعم، التي لا تكون الا من اليد، فضلا عن ايحائيتها بالتملك والقدرة[٨٦٠].

وتقودنا الآية الكريمة أيضا إلى استعارة أخرى وهي (لنحيي به بلدة ميتا) فقد، أنزل البلدة منزلة الجسد الذي يموت ويحيا، فحينما يسقى الجسد بالماء يبقى. حيا، كما الارض، إذ صبّ عليها الماء. دبت فيها الحياة.

ونخلص إلى اكتشاف مدى جمال الأسلوب الخبري في استثمار طاقاته الفنية

---

(٨٥٨) **يخرج الكلام عن مقتضى الظاهر في حالات منها، أن ينزل المنكر منزلة غيره. المعاني في ضوء أساليب القرآن: ١٣١.**

(٨٥٩) **تفسير آيات الاحكام، الايرواني: ٤٣/١.**

(٨٦٠) **ينظر: دراسات فنية في صور القرآن: ٤٨٩.**

في إكساب النص، عنصر أثاريا، ودقة دلالية، فضلا عن امتاع حس المتلقي وتنمية ذائقته.

واذا عدنا إلى الغرض الاساس، في عد الآية من آيات الأحكام، في قوله تعالى: ﴿مَاءً طَهُورًا﴾، نجد أن للفقهاء في ذلك نظر[٨٦١]، فقد ذهب بعض الحنفية، إلى أنه مبالغة في الطاهر، لتكون صفة للماء، لأن فعولا تفيد المبالغة وهو عندهم لا يفيد معنى المطهرّ عنده[٨٦٢].

أما الامامية والشافعية، ذهبوا إلى انه اسم لما يتطهر به[٨٦٣]. وبعض العلماء ردوه، إلى معنى الطهارة[٨٦٤].

الا اننا نجد، أن ما تمخض عن البناء الخبري، من صورة وصفية في هذه الآية والسياق الوصفي للخبر، الذي تلا (ماء طهور)، يومئ إلى الصفة التغيرية في الماء، فهو كما أحيا الارض، وتغير حالها، فبالإمكان أن يغير ما يقع عليه، كالأوساخ أو الأنجاس الشرعية. والله أعلم.

ومن جملة النصوص الكريمة، ذات المبنى الخبري، قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[٨٦٥]. إن الآية الكريمة، من أحكام الجهاد والحث عليه، وقد جاء مجرى الآية على وفق البناء الخبري، فكان الاسناد على وجه يفيد الحكم بمفهوم احداهما على مفهوم الأخرى ثبوتا، فضم (المحبة إلى كلمة الله تعالى). على وجه يفيد مفهوم المحبة ثابت لله تعالى.

---

[٨٦١] ينظر: كنز العرفان: ٨٠. ومعجم مفردات ألفاظ القرآن: ٣١٨.

[٨٦٢] ينظر: احكام القرآن، الجصاص: ٢٠١/٥؛ تفسير القرطبي: ٣٩/١٣؛ واحكام القرآن، ابن العربي: ٤٣٥/٣.

[٨٦٣] ينظر: الخلاف، الطوسي: ٤٩/١.

[٨٦٤] ينظر: كنز العرفان: ٨٠.

[٨٦٥] الصف: ٤.

والملاحظ، استعمال اداة التوكيد (أن) موحيا بان المخاطب قد تسلل إلى نفسه شيء من الانكار، فاراد النص، أن يثبت ذلك الخبر في محبة الله وقرب، أولئك المقاتلين على تلك الهيأة.

تحدث النص الكريم، عن ظاهرة القتال في سبيل الله تعالى، مصورا الصف العسكري للمقاتلين بـ(البنيان المرصوص)، بصيغة الجملة الاسمية، بوصفها وحدة تركيبية، دالة على الثبوت والدوام للدلالة على المقصودة.

فبنية الصورة التشبيهية على تلك الصياغة والتي اراد النص الكريم، أن يقرر حقيقة ثابتة دائمة للمقاتلين في سبيل الله، متوسلا بالصورة الفنية التي تضمنت اداة الشبه (كأن) لتحقيق عنصر الاثارة، بالدرجة الاساس، لا شدة المماثلة.

فجمال ذلك الصف المرصوص في سبيل الله، متأتيا، من رصف العواطف المتوحدة من اجل الله سبحانه وتعالى، والمتجسدة ماديا، بذلك الصف الرصين، الذي التحمت فيه المشاعر والأجساد، في ذلك الموقف القتالي.

فقد استطاع البناء الخبري المتمثل بـ(كأن) من احداث انسجام بين البنيان المتماسك الاجزاء، وصف المقاتلين المتماسك الافراد، فهو لا يتصدع بفرار مقاتليه، ولا يتهاوى بتباين مشاعرهم، ولا تخلخله الثغرات وأخيرا أن فنية الخطاب في هذا النص، تكشفت من خلال التواؤم بين الدلالة الخبرية والفنية.

وكما في قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٨٦٦].

إن الآية الكريمة، جاءت في سياق الاذن للمؤمنين بالجهاد. وقد يلفت النظر،

---

[٨٦٦] الحج: ٤٠.

تعدد المؤكدات في نص واحد، وموضوع واحد، حيث تمثلت في تكرار (أن) وتكرار (اللام) فتلاحمت تلك المؤكدات مع الصورة الوصفية التي سيقت بها الآية، فهو آذان للمؤمنين بالجهاد. وقتال الاعداء، بعدما أخرجوا من ديارهم، وقتلوا ظلما، مؤكدا أن الله تعالى قادر على نصرهم، وقد وعدهم بالنصر، فقال مؤكدا ذلك بـــ(ولينصرن الله من ينصره).

إن هذه المؤكدات جاءت متناسبة مع ما يحتاج النصر من قـــوة، فأكـــد قوتـــه وعزته بـــ(إن الله) و(لقوي عزيز)، وقد ناسب تأكيد النصر تأكيد القوة.

ويبدو، أن مرد بناء النص على الصيغة الخبريـــة الإنكاريـــة، بلحـــاظ تعـــدد المؤكدات هو ما يستوجبه، مضمون النص، من أمر بالجهاد والقتال على ما فيه من أهوال الحرب ومشقة القتال، وما يتعلق به من صعاب. فأراد النص بهذه المؤكـــدات تعزيز ثقة المقاتل المؤمن بنفسه، والتيقن من أن النصر واقع لا محالة، ومن جهـــة أخرى، ترسيخ قضية الجهاد في ذهنه.

الآيات الإنشائية:

وكذلك قد ينفرد الأسلوب الإنشائي ببناء النص القرآني، في آيـــات الأحكـــام، ورسم الغرض المقصود له.

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[٨٦٧].

إن الآية الكريمة من آيات الأحكام التي يستفاد منها ثلاث أحكام هي: وجـــوب الصلاة، ووجوب الزكاة، ووجوب طاعة الرسولk.

وبنيت على صيغة الإنشاء الطلبي، بأسلوب الأمر وحقيقته، هو طلـــب الفعـــل على وجه الاستعلاء والإلزام[٨٦٨].

---

[٨٦٧] **النور: ٥٦.**

[٨٦٨] **الوجيز في أصول الفقه: ٢٤٠. إن لأسلوب الأمر، صيغ غير فعل الأمر (أفعل). ينظر: م.ن: ٢٤٠.**

فالأوامر الثلاثة، في الآية المباركة (أقيموا، وآتوا، وأطيعوا)، دلت على الوجوب، دلالة قطعية، لأن الأصل في الأمر انه من الخاص، والخاص قطعي الدلالة[٨٦٩].

ويلاحظ في الفعلين (أقيموا) ،(آتوا) والاقامة هو الدأب على الأمر والمداومة مع الشروط[٨٧٠]، وإقامة الصلاة، أداؤها بحدودها وفرائضها، كما فرضت[٨٧١]. والإتيان، يستعمل في التعبير القرآني، بما يعم الأمور المادية والمعنوية[٨٧٢].

وقد نلمح فنية الخطاب القرآني، في قابلية الأسلوب الإنشائي على إحداث تلازم موضوعي، بين سياقات النص، فعلى الرغم، من الأوامر الواجبة الا أن الباحث ينظر، إلى الكيفية التي جعل فيها النص طاعة الرسولk . مقترنة بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، فالسياق يؤكد لفظ طاعة الرسولk .

ويبدو للمتأمل في النص الكريم، حقيقتان، هما:

الأولى: أن الاوامر، سيقت على وجه الاجمال.

الثانية: ارتباط الأوامر العبادية، بطاعة الرسولk .

وان المسوغ الدلالي والفني، في ذلك، يعود إلى ((أن المكلفين إذا أمروا بشيء على الإجمال، كان أسهل عليهم في أول الوصلة وأدعى))[٨٧٣].

ومن جانب آخر، لفت النص الكريم، الانتباه بإشارة لطيفة، إلى أن الرسول الكريمk ، هو الذي يُفصّل تلك المجملات، فالفرائض تعرف عن طريقه، ذلك أن المكلفين، أمروا بالصلاة، وهم لا يعرفون حقيقتها في الشريعة، ((وإنما أمروا بذلك

---

[٨٦٩] **قضايا لغوية القرآنية: ٦٠.**

[٨٧٠] **م.ن: ٦٤.**

[٨٧١] **فقه القرآن: ١٣٨.**

[٨٧٢] **قضايا لغوية قرآنية: ٦٤.**

[٨٧٣] **فقه القرآن: ١٣٨.**

لأنهم أحيلوا فيه على بيان الرسولk))[٨٧٤]. والله اعلم.

وقد يسحبنا هذا الموضوع إلى تتبع الصيغ البنائية، لفريضتي الصلاة والزكـاة فنلاحظ، من استقراء النصوص القرآنية، لآيات الأحكام، تكـرار البنيـة الإنـشائية الطلبية، لفريضتي الصلاة والزكاة، على نمط يكاد يكون واحـدا، وهـي (أقيمـوا)، و(آتوا)[٨٧٥] ويبدو، أن المسوغ الجامع لهذا الأمـر، يكمـن فـي تناسـب العلاقـة الموضوعية والصياغية في النصوص.

فان الصياغة الهيكلية التي سيق فيها موضوع (الصلاة والزكاة)، مـن ألـزام المتلقي بالفريضة والمداومة عليها. تميزت بسمات، وظفت فـي خدمـة مـضمون النص، وذلك لما تتمتع به الصيغة الإنشائية في أسلوب الأمر، من إلـزام وطلـب، فضلا عن خاصية الجملة الطلبية، في بث الانفعال وقوة التأثير التي تعمدت الإثارة، وتحفيز الهمة في استقبال الفريضة، جاء هذا متناسبا مع الصلاة، بوصـفها فرضـا عباديا يوميا، في خمسة أوقات، وإلزاميا، على مدى حياة المـؤمن، أي عمـل فيـه مداومة وتجدد.

وكذلك الزكاة، هي متجددة، مع ما يمتلك الإنسان من ارزاق فريـضة غيـر محددة بمدة زمنية، وهي إلزامية أيضا.

وفي المضمار ذاته، قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[٨٧٦].

إن إجمال ما تدل عليه الآية الكريمة، هو شرطية الوقت للـصلاة، وان وقتهـا من الدلوك إلى غسق الليل.

---

(٨٧٤) م.ن: ١٣٨.

(٨٧٥) **ينظر: البقرة: ٤٣؛ البقرة: ١١٠؛ النور: ٥٦؛ الانعام: ٧٢.**

(٨٧٦) **الاسراء: ٧٨.**

فقد أجمل النص المبارك في قيام الصلاة، ثم فصلها في السياق نفسه ــ(لدلوك الشمس) و(غسق الليل) و(قرآن الفجر). فهذه العبارات هي تفصيل لاقامة الـــصلاة، التي جاءت على اسلوب الأمر الانشائي.

والمسوغ الجمالي والدلالي، لهذا الـــنمط المباشـــر والتقريـــري فـــي التعبيـــر الإنشائي، أي اجمال الشيء وتفصيله مباشرة، يظل متصلا بعملية الادراك البشري، وهو ادراك الشيء بتمامه ثم ادراك جزئياته[٨٧٧].

وان تلمس الدلالة الفنية، من وراء دلالة الأمر، هو في احداث التأثير والتقبـــل المطلوب، عند المتلقي. ومما يسند الدلالة الفنية في النص، هو مجيء التكرار فـــي عبارة (إن قرآن الفجر)، بصفتها احد اشكال التوكيد الذي يجسد ظاهرة جمالية فـــي النص، والذي يدعم ذلك، هو (إن) التوكيد التي زادت، التوكيد قـــوة، لأهميـــة تلـــك المواقيت.

ومن أنواع الانشاء الطلبي، اسلوب النهي، وقد ورد في آيـــات الأحكـــام عـــن التصرفات الحسية، كالقتل والسرقة وشرب الخمر، وغيرها. وقد ورد عن تصرفات عبادية كالصلاة والصوم وغيرها.

وذلك على نحو قولـــه تعـــالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾[٨٧٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾[٨٧٩].

فعبارات النهي في الآيتين، (لا تلمزوا) و(ولا تنابزوا) و(لا تكتمـــوا)، جـــاءت على صيغة واحدة، وهي المضارع المقرون بـــ(لا) الناهية الجازمة، وهو المعنـــى الحقيقي للنهي، على أصل الوضع، في طلب الكف عن الفعل أو الامتناع عنه علـــى

---

[٨٧٧] **الإسلام والادب: ١٢٠.**

[٨٧٨] **الحجرات: ١١.**

[٨٧٩] **البقرة: ٢٨٣.**

وجه الاستعلاء والالزام.

وعلى الرغم من دلالته المضمونية المباشرة والتقريرية في الخطاب الكريم، الا انه يتمسك، بأسلوب فني، يضفي على النص مسحة جمالية، وذلك ما نلحظـه فـي اسلوب تكرار النهي (لا) في الآية الأولى، وعبارة المنهي عنه (الكـتم) فـي الآيـة الثانية، فكان التكرار، دلالة مضمونية وفنية، تشعر بأهمية المنهي عنه، انطلاقا مـن ((الحقيقة النفسية الذاهبة إلى أن تعلم السلوك يعتمـد فـي أحـد عناصـره علـى التكرار))[٨٨٠]. ومن جانب آخر، أن التكرار أساسا يسهم في تعميق أكثـر للدلالـة. وهذا ما يهبه التكرار جمالية في النص.

وفي آيات أخرى، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[٨٨١].

الآية المبارك من باب الزكاة، وإخراج الصدقات، وقد نلحظ. تـآزر الدلالـة المضمونية لأسلوب النهي، مع الدلالة الفنية، فقد استطاع أسلوب النهـي المتـصدر الآية، من تركيز الدلالة القصدية في النص المبارك، عبر تسلسل الـصور المنبثقـة عنه، فجاءت صياغة تشبيهين يترتب أحدهما على الآخر، ثم يترتب على ذلك تشبيه ثالث، وعلى النحو الآتي:

الصورة الأولى: (لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى).

الصورة الثانية: (كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر).

وهاتان صفتان لعمل المنافق، والمنان، فانهما يفعلان لغير وجه الله فلا يستحقا

---

(٨٨٠) **الإسلام والادب:** ١٢٩.

(٨٨١) **البقرة:** ٢٦٤.

عليه ثوابا. وهي في النهاية تنبه إلى دلالة بعيدة، وهي أن الثواب الثابت يزول بالمن والأذى[٨٨٢]، ثم ضرب تعالى مثلا لعمل المنان، وعمل المنافق **في صـــورة ثالثـــة:** (فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا).

فقد شبه أولا المنان بالمرائي، ثم شبه كلا من الرجل المنان والرجل المرائـــي، بالحجر الذي اصابه وابل وأزال ترابه فصار صلدا لا يمكن رد التراب إليه.

وتسمى هذه الصياغة بالتداخل[٨٨٣]، وهو اداء يقترن بسمات جمالية متنوعـــة. فالمن والأذى. يشتركان في كل ما ينغص الصنيعة ويكدرها، وإنما كانـــا مبطلـــين للصدقة، لأن صدورهما يكشف عن كون الفعل لم يقع خالصا لله تعالى وهو معنـــى بطلانه[٨٨٤].

إن في الحقيقة يندرج ألمان والمؤذي والمرائي، في عدم الايمان بـــالله، إذ لـــو كان مؤمنا به، ومصدقا بصفاته، لما أشرك معه غيره، فيما غايته الاخلاص وطلـــب مرضاته[٨٨٥].

وفي موضع الكافرين كان موضع المرائين، وهو تشديد عظيم لحـــال الريـــاء، وانه والشرك في واد واحد.

فكأن الرياء صرفه عن الإيمان بالله واليوم الآخر. ولم يدخل قلبه حقا، فترتـــب على ذلك أن يكون في عداد الكفار ـــ والله أعلم ـــ.

ثم نلمح التناسب في تكرار (لا) النافية في الآية مع (لا) الناهيـــة فـــي صـــدر الآية. ومن جمال الصياغة الإنشائية في النص الشرعي، هو حشد أكثر من أســـلوب إنشائي، في آية واحدة، يؤدي كل أسلوب هدفه، ومهمته التي أسندت إليه، كما فـــي

---

[٨٨٢] **فقه القرآن: ٤٠٥.**

[٨٨٣] **الإسلام والادب: ١٦١، يقصد بالتداخل صياغة تشبيهين أو أكثر يترتب احدهما علـــى الآخـــر. الإســـلام والادب: ١٦٠.**

[٨٨٤] **كنز العرفان: ١/٣٦١.**

[٨٨٥] **الإسلام والادب: ١/٣٦١.**

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[٨٨٦].

يتصدر اسلوب النداء، في الآية المباركة، معلنا، حكما شرعيا جديدا،وقوله: (يا أيها الذين آمنوا) مدلة على عموم النداء.

غالبا ما يتواشج اسلوب النداء، مع الأساليب الإنشائية الأخرى (الأمر، والنهي، والاستفهام)، في نص واحد، ويبدو أن البعد الدلالي والفني، في ذلك، هو اعداد المتلقي نفسيا لاستقبال الحكم الإلهي من أوامر ونواهٍ، كما في (اجتنبوا) و(لا تجسسوا)، فيأتي أسلوب النداء، داعما ومقويا لبقية الأساليب التي ترد بعده، ومن جانب آخر، لما يمتاز به النداء من قدرة على إيقاظ النفس وشدّ الانتباه، وإيقاظ الذهن والمشاعر. لمعرفة سبب النداء. فإذا جاء الأمر والنهي والاستفهام، يجد نفسا مهيأة يقظة، تستقبل ما يقع عليها.

وقد نلحظ أسلوب الاستفهام الذي يخرج من معناه الحقيقي، إلى معنى مجازي يفيد الإنكار والتوبيخ، (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه).

فقد استطاع النص أن يوظف الاستفهام في جعله محورا في رسم صورة فنية رائعة تدعم الاوامر والنواهي في الآية.

التبادل الدلالي بين الجملة الخبرية والإنشائية في آيات الأحكام:

أولا: التبادل الدلالي بين الجملة الخبرية والانشائية.

تميزت آيات الأحكام شأنها، شأن الخطاب القرآني، بمهارة التعبير، وبراعة البناء الهيكلي للجمل، ودقة تخيير اساليب الصياغة، ومنها التبادل الدلالي بين الصيغ الخبرية والانشائية، فقد يقع الخبر موقع الإنشاء، لأغراض، منها حمل المخاطب

---

[٨٨٦] الحجرات: ١٢.

على المطلوب، والتنبيه إلى سرعة الامتثال أو قصد المبالغة، في الأمـــر والنهـــي، وكأنه حاصل، ومن ذلك أن يكون المخاطب ممن لا يحب أن يكذب الطالب[٨٨٧].

وذلك في قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾[٨٨٨].

في هذه الآية الكريمة، سيقت الجملة الخبرية الاسمية التركيب، للتعبيـــر عـــن ثلاث أحكام، بدلالة الأمر، في ثلاثة مواضع.

الأول: قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾.

في هذه الفقرة نص على الأمر، بولاية الرسولk وطاعته، باســـلوب الجملـــة الاسمية، وقد نلحظ دلالة الخطاب وفنيته، في عدة أمور، الأول، صـــيغة التفـــضيل (أفعل من) في (أولى من)، والتي رجحت ولاية الرسولk ، على نفوس المـــؤمنين، بدلالة (الباء) للالصاق التي، جعلت الرسولk أقرب، وألصق من أنفسهم، وبالتـــالي أن مؤدى هذه الطاعة والولاية، هو طاعة لله سبحانه وتعالى، في الوقت نفسه.

أما الأمر الآخر، هو سياق الجملة الذي يؤكد مطلق تلك الولاية، بمـــا توحيـــه (من أنفسهم) من أن الطاعة، تتعدى الأوامر والنواهي، بل بذل النفس دونه، وقد دلت جهة التفضيل (من أنفسهم) على الإطلاق.

والذي يعزز وجوب الطاعة، وكأنه أمر واقع، هو دلالة الجملة الاسمية علـــى الثبوت والالتزام. ومن ذلك نخلص إلى أن الطاعة والولاية، أمر فيه شبه والزام.

---

(٨٨٧) **علم المعاني، د. درويش الجندي: ٦١.**

(٨٨٨) **الأحزاب: ٦.**

أما الموضع الثاني: أو الحكم الثاني في قوله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾. وهـو وجوب اتخاذ أزواج الرسولk ، أمهات للمؤمنين، وان دلالة الصياغة الخبرية، تعني بأن الأمر ثابت وبحكم الواقع.

ومن روائع الخطاب فنيا، هو تآصر دلالتين إنشائيتين في النص، وهي دلالـة الأمر والنهي. فهو نهي من باب تحريم نكاحهن، وهو أمـر، بوجـوب تعظـيمهن واحترامهن. بلفظ معاملة الأم بالمقتضى.

أما الموضع الثالث: في قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾، حـدد النص الكريم علاقة المؤمن بأخيه المؤمن، وان كانت في سياق المواريـث[٨٨٩]، الا أن أهمية العلاقة، نلحظها من خلال ارتباطها بعلاقة أرقى وهـي علاقـة المـؤمن بالنبيk وأزواجه.

ومن جهة أخرى، أن فنية الصياغة، اسبغت سمة جمالية في التعبير عن الدلالة المضمونة، وذلك في (بعضهم أولى ببعض)، وهو جعل القرابة والارحـام، علاقـة تبادلية، وعلى درجة واحدة من الولاية والتساوي، لـذا كانـت الموارثـة بالتبـادل والمساواة، أي الأمر بالمساواة بين الأطراف، والأمر بأن الميـراث بـين الارحـام بالتبادل.

وقد تخرج الجملة الخبرية الفعلية التركيب، إلى الدلالـة الانـشائية (الأمـر) و(النهي) في آيات الأحكام، وهي شائعة الاستعمال في هذه الآيات، فقد وردت افعال بصيغة الماضي والمضارع، تدل على الأمر والنهي، كـ(قـضى،وصى، فـرض، كتب، أحل، لا يحل، نهى، يحب،لا يحب، حرم...) وغيرها من الأفعال التي سـيقت بجمل فعلية دالة على الإنشاء الطلبي، الا أن كل من هذه الأفعال، يحـتفظ بفوارقـه الدلالية، وسنحاول أن نقف عند هذه الصيغ، لتلمس الدواعي الدلاليـة والفنيـة فـي

---

[٨٨٩] ينظر: مجمع البيان، الطبرسي:٣٣٩/٨.

التبادل الدلالي.

وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٨٩٠].

وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٨٩١].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى...﴾[٨٩٢].

جاءت هذه الآيات في تشريع عبادات شاقة وشديدة على المكلف، وهي الصيام، والقتال (الجهاد)، والقصاص، بلحاظ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ التي تفيد عموم النداء، والتي تدل على أن الآيات في صدد التشريع، لأوامر سيقت على هيأة الخبر.

إن المسوغ الدلالي والجمالي، في هذا التبادل يكمن في عدة مزايا، لهذا التعبير الأول، أن الصياغة التركيبية في الآيات الثلاث جاءت، على وفق الفعل المبني للمجهول (كتب عليكم)، والذي يتبع هذا التركيب حذف الفاعل وإقامة المفعول به مقامه، والغرض الأظهر في ذلك هو تعظيم الفاعل، لقابلية هذا البناء على اعطاء فسحة للذهن في تأمل الفاعل وسلطته، والذي دلت عليه القرينة السياقية (عليكم) وهو تركيب يفهم منه الاستعلاء والفرض، فدل على قوة الجهة وعلوها، ومن جهة أخرى

---

(٨٩٠) البقرة: ١٨٣.

(٨٩١) البقرة: ٢١٦.

(٨٩٢) البقرة: ١٧٨.

هو شدّ ذهن المتلقي وتركيزه، على حدث الفعل (كتب).

أما الأمر الثاني: هو الدلالة المعجمية لـــ(كتب) والتي تدل على تثبيت الـــشيء وتقييده، فجاءت متناسبة مع الفروض الشرعية الشاقة، فأفادت القوة والشدة في اثبات القصد.

وأما الأمر الآخر، هو الجامع الدلالي للتـــشريعات، فالآيـــات الثلاثـــة، هـــي تشريعات فيها مشقة وكلفة على المتلقي، فالصيام، هو حبس النفس عـــن الـــشهوات وأخضعها إلى قيود زمانية، ولذلك لفت النص الاذهان إلى حقيقة تلك العبادة، عـــن طريق صيغة المبني للمجهول، وجهة الاستعلاء في السياق، والاخبـــار عـــن قـــدم الفريضة في الأمم السالفة، كي يسهل عليهم فهمها وأدائها، ذلك لأن الفرض ((أمـــر شديد شاق، لا تتحمله النفوس بسهولة ولا تتفهمه العقول بيسر، أراد الله تعالى مـــن المؤمنين أن يعرفوا، أن فرض الصوم ليس أمرا مبتدعا على المسلمين بل كان كذلك على الأمم السابقة فيسهل على المؤمنين))[٨٩٣].

أما القتال، فهو من الأمور التي تصعب على الانسان، لما فيه بـــذل للنفـــوس وتلف الأرواح، ولشدة هذا التكليف ومشقته، صرح النص بهذا المعنى بقولـــه (هـــو كره لكم).

وفي آية القصاص، نجد الأمر نفسه، إذ أن القصاص، هو قتل ثانٍ وهـــذا مـــا تكرهه الطباع السليمة وتأنفه النفوس الصحيحة، الا أن آيته هو اثبات العدل، وصون المجتمع من بطش القتلة. وبهذا استطاعة البنية الخبرية من تحقيق المقصد الطلبـــي، بايحائيتها الاثارية.

ثانيا: تبادل الدلالة الانشائية إلى دلالة خبرية:

إن آيات الأحكام خطاب تشريعي يضم البناء الحقيقي لمعنى الأمر، في البيـــان والتوجيه والإلزام، وأخرى مجازية في موضعها ودلالتها، فقد يخـــرج الأمـــر إلـــى

---

[٨٩٣] **الجديد في تفسير القرآن: ٢١٣/١.**

معان ثانوية، تفهم بقرينة السياق والأحوال، كدلالة على النصح والارشاد أو الدعاء أو التهديد أو التسوية والخبر وغيرها من الدلالات المجازية، التي لا يراد بها معناها الحقيقي في الطلب بقيام الفعل.

وإحدى تلك الدلالات المجازية، هي الدلالة الخبرية، فكما أن الأسلوب الخبري يساق للدلالة على الأمر في التعبير القرآني، لمقصد دلالي، نجد أن المعنى الخبري، يساق في مواضع بأسلوب إنشائي (صيغة الأمر)، وهذا ما نجده في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾[٨٩٤].

الآية الكريمة، من احكام المساجد، وجاءت لتدل على حكمين، هو أداء العبادة في أي مسجد[٨٩٥]، والامر الآخر الإخلاص في العبادة وعدم الاشراك فيها. وردت الآية في صيغة الأمر للدلالة على الخبر. وقد ذهب السيوطي، إلى أن من فوائد الامر بمعنى الخبر انه ((ابلغ من الخبر لتضمنه معنى اللزوم نحو ــ أن زرتنا فلنكرمنك ــ يريدون تأكيد ايجاب الإكرام عليه))[٨٩٦].

واذا نظرنا بتأمل إلى الآية الكريمة، نجد صيغة الأمر (أقيموا) جاءت موافقة للسياق الذي وردت فيه، وهذا الذي يحدد لنا أن المعنى أخباري لا انشائي، فـ((لم يقل وإقامة وجوهكم، إشعارا بالعناية بأمر الصلاة))[٨٩٧]. حيث أن القرينة الدالة التي يمنحها السياق، تؤكد ذلك في قوله (قل أمر ربي)، وهي صيغة خبرية ودلالية، عدل بها إلى الصيغة الانشائية المباشرة، المشعرة بتعظيم الصلاة، والعناية بها.

وإذا تفحصنا آيات الصلاة، نجدها، جاءت في الأغلب على صيغة الأمر، لتعظيم الفريضة والاهتمام بها والتأكيد على الالتزام، فلا نعدم، أن الصلاة المكنى عنها في هذه الآية بـ(وجوهكم)، يراد بها أن تبقى في ذهن المتلقي بلزوميتها.

---

[٨٩٤] الأعراف: ٢٩.

[٨٩٥] ينظر: تفسير القرآن الكريم، سيد شبر:٢٢٣.

[٨٩٦] الاتقان في علوم القرآن: ١٠٧/٢.

[٨٩٧] اساليب المعاني في القرآن الكريم: ٦٠.

فضلا عن أن الدلالة الخبرية التي ركن إليها النص فيه معنى الالتزام المؤكــد. ومن الملاحظ، أن الصيغة الانشائية قد احتفظت بخصوصيتها على الرغم من تبــدل دلالتها، أي الأصل الامري فيها، بقي متواشجا مع ما اكتسب من دلالة الخبر، وهذا من الأسلوب الاعجازي.

وقد تخرج البنية الإنشائية الناهية عن المعنى الحقيقي إلى دلالة مجازية تتفرع منها معانٍ ثانوية كالتوبيخ والنصح والتسوية والالتماس والاهانــة، وغيرهــا مــن الدلالات.

ومن تلك الدلالات، هي الدلالة الخبرية التي تتمحور في نطاق الدلالة النافيــة وهي من مستلزمات الجملة الخبرية لا الانشائية.

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٨٩٨].

الآية من احكام الجهاد والحث عليه، فقد خرج النهي من دلالته الحقيقيــة إلــى دلالة خبرية، تفضي إلى الأخبار ببيان العاقبة، أي عاقبة الجهاد في سبيل الله، هــي الحياة لا الموت.

فهي لا تنهى عن الحسبان. وذلك أن المؤمنين على علم وبصيرة مــن عاقبــة الشهادة في سبيل الله، والا لما لبوا نداء الله تعالى.

وأن ترجيح كون الصياغة جاءت على سبيل الدلالة الخبرية، هو عدة أمــور، الأول: أن الآية في معرض الأخبار عن عاقبة أمرهم، لتطمئن قلوبهم، وإقرار بأمر يعرفه المخاطب. هو زيادة في التوكيد، وتثبيت موقفهم.

والأمر الآخر، هو مجيء (بل) المشعرة بالإضراب، مما يرجح أن المراد هــو

---

[٨٩٨] آل عمران: ١٦٩.

الأخبار بنفي كون من يقتل في سبيل الله ميتـــا، فاســـتطاعت أن تحـــدد مـــدلول (لا تحسبن) من النهي إلى النفي، ومما يعزز الخبرية، هو مجيء الجملة الاســـمية بعـــد الأداة (بل)، لتدل على ثبوت الحياة عند الله تعالى، فقد نفت الحالة الأولى (المـــوت)، وأثبتت ما بعدها، (الحياة)[٨٩٩].

والذي يدعم ذلك قرينة السياق لـــ(يرزقون) جاءت لتوكيـــد الأخبـــار بمطلـــق الرزق، وان الاحياء هم الذين يرزقون، وليس الأموات.

وقد نخلص إلى جمال الأسلوب العام من خلال التوائم، بين الدلالـــة الحقيقيـــة للنهي. وما تستثيره من إيحاءات في ذهن المتلقي، والدلالة الثانوية لما تحتويه مـــن ثبوت وإقرار.

ومن ثم أن التبادل الدلالي بين الحقيقي والمجازي، ما هو الا لتعزيز مفهوم أو معنى جديد غير المعنى الحقيقي، وغاية أخرى وهـــي انعـــاش ذوق المتلقـــي فنيـــا لاستقبال المعنى الجديد، ومن ثم تدبر الاستعمال الاعجازي للتراكيب.

التضافر الدلالي بين الخبر والإنشاء:

إن الكثير الغالب في النصوص القرآنية، هو اختلاط الجملة الخبرية بالإنشائية وتضافرها معا، في التعبير عن الدلالات والأغراض والمقاصد.

وان الغاية من تضافر الأساليب بين الخبر والانـــشاء، وهـــو لتجديـــد نـــشاط المتلقي، وتحريك انتباهه، وإثارة مشاعره، ولذلك حسنت مغايرة الأساليب والعبارات في النصوص والفقرات.

فقد تميز النص القرآني بتمكنه من استثمار أساليب الكلام وما يقتـــضيه حـــال المقام، فيورد العبارات ببراعة فائقة وصياغة متقنة، فيتجلى الاعجاز من ثناياه. وهو يوافق بين المخاطب ككتلة إدراكية وذوقية وما يطرحه عليه من قـــضايا ومفـــاهيم، مسخرا ذلك في خدمة مقاصد النص.

---

[٨٩٩] **التناوب الدلالي بين الخبر والانشاء في التعبير القرآني: ١٧٦. ــ أطروحة دكتوراه ــ.**

وذلك في قوله تعـــالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾(٩٠٠).

إن الآية الكريمة من آيات الأحكام، لما ترتبط بالصلاة على الميت، وتدل على أن كل من حكم عليه بالكفر لا تجوز الصلاة عليه والوقوف على قبره، وهي بهـــذا التخصيص تدل من جهة ثانية على مشروعية الصلاة على الميت المـــسلم وزيـــارة قبور المسلمين(٩٠١).

فقد صيغت هذه الأدلة الشرعية بأسلوبين هما (الخبري والانـــشائي) مـــستثمرا النص كل ما يتمتعان به من إمكانيات. تخدم المقصد.اذ تقدم الأســـلوب الانـــشائي، المتمثل بصيغة النهي (ولا تصل) و(ولا تقم) على الأسلوب الخبري المتمثل بالجملة الاسمية (أنهم كفروا...). والمسوغ لذلك هو أن تقديم الأسلوب الانشائي أثـــار فـــي نفس المتلقي شعورا بالتطلع إلى ذلك المنهي. والتشوق إلى معرفة الخبر الذي دعـــا إلى النهي. وبعد أثارة تساؤل المخاطب، يأتي الخبر بعبارة (أنهم كفروا) فاســـتحقوا عدم الصلاة عليهم، منزلا المخاطب بذلك منزلة السائل المتـــردد، بلحـــاظ التوكيـــد (أنهم). ومما زاد ذلك التوكيد هو مجيء الخبر بعد النهي، فضلا عـــن أن العبـــارة (أنهم كفروا) حثُ على النهي والتنفير من الصلاة عليهم.

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾(٩٠٢). في هذه الآية الكريمة، تقدم الأسلوب الانشائي، بصيغة النهي بـــ(ولا تقربوا الزنـــى)،علـــى الأسلوب الخبري المتمثل (إنه كان فاحشة...) المسوغ لذلك هو تحفيـــز المتلقـــي أو المخاطب إلى معرفة علة عدم الاقتراب. ومن ثم يأتي الأسلوب الخبري. مبينا ذلك،

(٩٠٠) التوبة: ٨٤.

(٩٠١) كنز العرفان: ١/١٨٠؛ ينظر: في تفسير آيات الاحكام، الايرواني: ١/١٤٩.

(٩٠٢) الاسراء: ٣٢.

ومنزلا في الوقت نفسه المخاطب منزلة السائل المتردد، بلحـــاظ (أن) المؤكـــد فـــي الجملة الخبرية، ومن جانب آخر أعطى أسلوب النهي المتقدم على الأسلوب الخبري، قوة تأكيدية مضافة أرادها النص ليعطي بذلك للحكم قوة في الاثر وزيادة في التطلع والتعلق. مثيرا المخاطب للمنهي عنه (الحكم) بـــ(لا تقربوا) فهي ابلغ وأكثر تـــأثيرا من (لا تزنوا)، وهي بحد ذاتها مثيرة للتساؤل.

المبحث الرابع

التركيب الجملي (التقديم والتأخير)

تتحدد معطيات ثنائية التقديم والتأخير. في مسارين، الأول: التنظـيم الجملـي المنطقي، فهذه الثنائية لا تأتي الا في إطارها ألتأليفي النحوي، لإحداث تغيير في بنية التركيب على وفق قواعد تحويلية لتحقيق غرض جديد، ((لأن أي تعديل في نظـام ترتيب الكلمات في التركيب يحدث تغييرا في المعنى))[٩٠٣]. والثنائيـة إنمـا تـأتي ((لأمر يتعلق بالبنية الداخلية المرتبطة بالمعنى في ذهن المتكلم))[٩٠٤].

فهو أسلوب يحتوي عدولا عن النمط التركيبي المـألوف، ويـرتبط بالثوابـت النحوية التي تهتم بمنهج التحول في التركيب النحوي، حيـث يعنيـان تغيـرا فـي ((مواضع الكلمات في الجملة خلافا لمواضعها المألوفة لأغـراض بلاغيـة))[٩٠٥]. وهذا ما ذهب إليه الجرجاني في أعمال التحول والاستبدال[٩٠٦]، ولم يغفل غيره من العلماء عن هذا الجانب الحيوي من التركيب الجملي للعربية، وترصد الوظيفة التـي يؤديها هذا المسلك، لتبلغ غايتها في الافادة وهي الإفهام، وأن أي خلل يصاحب هـذا النظام، لا يحقق الكلام غرض الإفهام، وبلوغ المقصد، لأن رتبة، كل كلمـة داخـل التركيب تؤشر مكانتها الخاصة بها[٩٠٧]، لتحقيق الغرض المطلوب. وهذا مـا دفـع الجرجاني إلى أن يعبر عن الترتيب والتأليف بين أجزاء الكلم، بقوله ((لا نظم فـي الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هـذه بسبب من تلك))[٩٠٨].

---

(٩٠٣) ينظر: التقديم والتأخير في القرآن الكريم: ٣١ ـــ رسالة دكتوراه ـــ.

(٩٠٤) في نحو اللغة وتراكيبها: ٨٩.

(٩٠٥) م.ن: ٩٣؛ ينظر: بلاغة الكلمة والجملة والجمل: ١٣٨.

(٩٠٦) ينظر: دلائل الإعجاز: ٨٣ـــ١٧٠، وقد سبقه علماء. ينظر: الخصائص: ٣٦٢/٢.

(٩٠٧) ينظر:من أسرار اللغة: ٢٧٩.

(٩٠٨) دلائل الإعجاز: ٤٤.

ذلك أن مفردات اللغة، تبقى في سباتها ما دامت خارج النظام، فـــإذا نُظمـــت، دبّت فيها الحياة، ((وعبرت عن مكنون الفكر وما يدور في الاذهان، وليست اللغـــة في حقيقة أمرها الا نظاما من الكلمات التي ارتبط بعضها بـــبعض ارتباطـــا وثيقـــا تحتمه قوانين معينة في كل لغة))[٩٠٩].

أمّا المسار الثاني، هو البعد الفني، إذ تعد ثنائية التقديم والتأخير، مـــن مـــسالك التعبير الجمالي في اللسان العربي، الذي يلجأ إليه المنشئ للتأثير فنيا على المتلقـــي، من خلال جمالية هذا الأسلوب، فهو ((فن رفيع يعرفه أهل البصر بالتعبير، والـــذين أوتوا حظا من معرفة مواقع الكلام، وليس ادعاء يدعى أو كلمة تقال))[٩١٠].

ولا تأتي تلك المعرفة الا لمـــن أضـــاء الله بـــصره، ومنحـــه قـــوة الإدراك والملاحظة، لدقائق هذا الفن وعجائبه، وما ينطوي عليه من غرائب[٩١١].

يتحقق هذا المسلك الجمالي، من خلال التصرف في الكلام والعدول فيـــه مـــن نمط إلى آخر، إذ يضع الكلمات في إطار أسلوبي، تظهر فيه أهميته وفنيتـــه، بفعـــل علاقات متشابكة بين أجزاء النظم، والتي تتطلب بهيأتهـــا المتجـــددة حـــسا لغويـــا، ومعرفة بأسرار العربية، إذ إنّ ((مواقع الكلمات من الجملة عظيمة المرونة، كما هي شديدة الحساسية، وأي تغيير فيها يحدث تغييرات جوهرية فـــي تـــشكيل المعـــاني، وألوان الحس، وظلال النفس))[٩١٢]، فكأنه تسامح في الترتيب، وترخص في العدول، مستفيدا من السمة المميزة للغة العربية، في اتساع مـــساحة تركيبهـــا، الـــذي يبـــيح للمستعمل التحرك في تعيين الدلالة، مما يتيح مقدرة على إنتاج الجمل وتفهمها فـــي عملية التعبير اللغوي، وتحديد المستوى الدلالي للتركيب النحوي.

ويقترن ذلك بالتوليد الذي يعني ((توليد جمل صحيحة غير محدودة، من عـــدد

---

(٩٠٩) من أسرار اللغة: ٢٧٩.

(٩١٠) التعبير القرآني: ٥١.

(٩١١) أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم: ١١٧.

(٩١٢) دلالات التراكيب: ١٧٥.

محدود من الجمل))[٩١٣]، من دون الخروج عن مألوف اللغة ومعروف النحو.

التقديم والتأخير في آيات الأحكام:

إنّ النص القرآني تفرد بروعة التعبير، ودقة الصياغة، فقد بلغ غاية الكمال، وهو يرصف الكلمات بعضها ببعض، حتى تستقر كل كلمة في مكانها الذي سيقت إليه، من دون إخلال في نظم السياق فهي متآزرة مع الكلمات السابقة واللاحقة، ضمن سياق هندسي موسيقي فريد، إذ إنّ هذا النظم لم يأتٍ اعتباطا، وانما جاء ضمن قواعد ثابتة وأسس في صف الحروف. ووضع الألفاظ، ورصف الكلمات، وبناء التركيب، مؤخرا هنا ومقدما هناك، كل ذلك في سياق تعبيري متسق[٩١٤].

إن للتقديم والتأخير في النص القرآني دلالة فنية ترتسم من خلال تقديم أو تأخير الألفاظ على وفق ما يقتضيه المقام وسياق الموضوع، وليس لفواصل الآي أو العناية والاهتمام فقط[٩١٥]، ومن خلال تتبع نماذج الآيات نستطيع تلمس السر الفني لهذا الأسلوب التعبيري، فقد بلغ النص الكريم من هذا الفن ((الذروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقه في التعبير بحيث تستقر في مكانها المناسب))[٩١٦].

وقد تنبه علماء العربية الأقدمون، إلى هذا الأسلوب البليغ، في النظم القرآني، فظهر لهم أن هذا الأسلوب الفني له خصوصية في التعبير القرآني، فقد لمحوا الجانب الابداعي فيه، مما حفزهم، على تلمس مواضع الاعجاز في النص الكريم من خلاله، وقد ربطوا ذلك بذوق المتلقي وقدرته[٩١٧]، مما يعني أنهم أدركوا الفنية التي تكمن فيه، وليس فقط العناية والاهتمام.

ونتلمس الأثر الفني في طيات ثنائية التقديم والتأخير في اعتبارات ومزايا

---

[٩١٣] **جوانب في نظرية النحو: ٧.**

[٩١٤] **ينظر: المبنى والمعنى في الآيات المتشابهة في القرآن الكريم: ٢٣٩ ــ رسالة دكتوراه ــ.**

[٩١٥] **أشار سيبويه (ت١٨٠هـ) في كتابه، إلى الاغراض المتوخاة من التقديم والتأخير، ومنها العناية والاهتمام. ينظر: الكتاب: ٣٤/١.**

[٩١٦] **التعبير القرآني: ٥١.**

[٩١٧] **ينظر: مقدمة ابن خلدون: ٥٢١.**

بلاغية تكشف عن اسرار جمال النص الكريم، من خلال رصد النصوص القرآنية، لمهمته التعبيرية، فتقديم جزء من الكلام أو تأخيره لا يرد اعتباطا في نظم الكلام وتأليفه، وإنما يكون عملا مقصودا، يقتضيه غرض بلاغي أو داع فني، فضلا عن المهمة الدلالية. وعلى ضوء هذا نذكر أهم الدواعي والاغراض التي توجب التقديم والتأخير في النص، وهي:

أولا: الاختصاص هو من الدواعي البلاغية التي تستوجب التقديم والتأخير، كما في تقديم المفعول على عامله، إذ يعد المفعول مكونا رئيسا من مكونات الجملة العربية بعد ركني الاسناد في النوع الفعلي(٩١٨). وهو في الاساس من متعلقات المسند إليه والمسند اللذين يكونان بحاجة إلى هذه المتعلقات (المفعول)، لتتسع بها دلالات التراكيب النحوية، ولحاجة المنشئ في التعبير عن مقاصده(٩١٩). ويتعدى ذلك إلى تقديم المعمولات على العامل، لافادة الاختصاص أيضا.

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(٩٢٠).

الآية الكريمة، من سورة الفاتحة وهي تعد عند الفقهاء من آيات الأحكام، التي لا تصح فريضة الصلاة من دونها(٩٢١).ونلحظ غرض الاختصاص، فيها لاسباب بلاغية ودلالية، فقد قدم النص المفعول به (إياك) الضمير على الفعل (نعبد)، ثم قدمه على الفعل (نستعين). وهو (إيا) عند جمهور النحاة، والكاف عندهم للخطاب تلحق به لا محل لها من الاعراب(٩٢٢).

والمعنى: بالعبادة ونخصّك بالاستعانة، لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين

---

(٩١٨) **همع الهوامع: ٧/٣.**

(٩١٩) **التقديم والتأخير في القرآن الكريم: ٦٧ ــ رسالة دكتوراه ــ.**

(٩٢٠) **سورة الفاتحة: ٥.**

(٩٢١) **تفسير البيان، الخوئي: ٢٩٢.**

(٩٢٢) **الكتاب: ٢٧٩/١؛ إعراب القرآن، النحاس: ١٢٢/١؛ شرح المفصل: ٩٨/٣.**

احدا الا إياك[٩٢٣].ولو جرى تقديم الفعل على المفعول به، فقيل (نعبدك) أي يُجـيء المفعول ضميرا متصلا على مألوف البناء الجملي. بعد الفعل، لما أفاد ذلـك نفـي عبادتهم لغيره[٩٢٤]، ومن مظاهر الاعجاز في السورة نفسها، مجيء المفعول به فـي وضعه الاصلي، في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[٩٢٥]. فأخر المفعول بـه وقدم عامله، لئلا يفيد اختصاص الهداية بنا دون غيرنا، أي نسألك الهدايـة لنـا لا قصر الهداية علينا[٩٢٦].

ونلمح المعاني البلاغية والإسرار الاعجازية، في تضافر المزايا الفنيـة، فـي تحليلنا للآية وما تضمنته من أغراض.

فقد افادة القصر إلى جانب الاختصاص، أي قصر العامل المؤخر (نعبد) على معموله المقدم (إياك)، أي نخصك بالعبادة فلا نعبد غيرك، ونخصّك بالاستعانة فـلا نستعين الا بك، فتقديم المفعول (إياك) في الموضعين، افاد القصر، أي قصر العبادة والاستعانة به تعالى[٩٢٧].

أما البعد الآخر، هو إفادة تقديم السبب على المسبب فقد قدمت العبـادة علـى الاستعانة، والعبادة تعني العبودية في أصلها اللغوي: الذلة[٩٢٨]. والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل، ((ولم يستعمل لفظها الا في الخضوع لله تعالى، لأنه مولى أعظم النعم، فكان حقيقا بأقصى غاية الخضوع))[٩٢٩]. بل أن الأولى سبب للثاني أيضا.

ولذلك قدم القربة والوسيلة قبل طلب الحاجة، لحصول الطلب، أسرع لوقـوع

---

(٩٢٣) **الكشاف: ٦٢/١؛ مفتاح العلوم: ١١٢؛ فتح القدير: ٢٢/١؛ معاني النحو: ٥٠٩/٢.**

(٩٢٤) **التفسير الكبير: ٦٢/١.**

(٩٢٥) **الفاتحة: ٦.**

(٩٢٦) **معاني النحو: ٥٠٩/٢.**

(٩٢٧) **علم المعاني، د. بسيوني عبد الفتاح: ١٩٢.**

(٩٢٨) **ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٦٩/١؛ التبيان في تفسير القرآن: ٣٧/١.**

(٩٢٩) **الكشاف: ٦٢/١.**

الاجابة، من القول (إياك نستعين وإياك نعبد)، وان كان هذا التركيب جائزا، الا انــه لا يسد ذلك المسد، ولا يقع ذلك الموقع[٩٣٠].

أما البعد الفني الآخر، في هذه الآية، فهو مراعاة نظم الكــلام. فجــاء تقــديم المفعول (إياك) في الآية الكريمة، مراعيا للفاصلة المنتهية قبلها بحرف النون، فــي الآية، فلو قيل (نعبدك ونستعينك)، لما أفاد جمال المطلب، ولذهبت تلــك الطــلاوة، وزال ذلك الحسن[٩٣١]. وقد خالف ابن الأثير، الزمخشري، الذي ذهب إلى أن التقديم في هذا الموضوع، قصد به الاختصاص، ولكن ابن الاثير، يرى أن المفعول به، لــم يقدم الا مراعاة نظم الكلام[٩٣٢].وأجد أن مراعاة الفاصلة، جاء ضمن تضافر المزايا الفنية لإخراج هذا النص في الهيأة الاعجازية التي هي عليه، وممــا يعــزز حــسن مراعاة النظم الموسيقي هو أسلوب التكرار في كلمة (إياك)، الذي زاد من المــساحة الموسيقية للآية.

وأخيرا، نرصد حسن الالتفات[٩٣٣]، فقد عدل النص المبارك من الغيبــة إلــى الخطاب في قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ إلى الخطاب في قوله تعالى:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.وتبدو الدلالة الفنية في هذا الالتفات. هو التأثير في نفس المؤمن من زيــادة الخشوع والتقرب إلى ربه جل وعلا، مراعيا في ذلك التسلــسل الــدلالي للــسورة المباركة، فقد بدأ النص بذكر الحمد وربوبيته تعالى للعالمين، ثم أعقبها بذكر الرحمة الغامرة، فملكه ليوم الدين. وعندما استحكمت تلك المعاني في نفــس المــؤمن، زاد

---

[٩٣٠] **علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ١١٣.**

[٩٣١] **المثل السائر: ٢٤١/٢؛ الطراز: ٦٧/٢.**

[٩٣٢] **المثل السائر: ٢٤١/٢.**

[٩٣٣] **اسلوب الالتفات، مأخوذ من قولهم، التفت الانسان إذا تحول بعنقه من اليمن إلى الشمال وبالعكس، وأول من أطلق ذلك الأصمعي، ويطلق على نوع من التعبير، وهو الكلام الذي يظن المخاطب أن محدثة قد فرغ منه وانتهى، فاذا به يلتفت إلى المعنى الذي فرغ منه فيذكره، بغير ما تقدم ذكره. علم المعاني، د. بــسيوني عبــد الفتاح: ٢٠٥. ينظر: الكشاف: ٦٢/١؛ الايضاح: ٧٣/١.**

قربا إلى الله تعالى، فيلتفت إلى مخاطبته، معلنا اختصاصه بالعبادة ومد العون له[٩٣٤].

لأن مجرى الكلام من أسلوب إلى آخر، كان ذلك أوقع في النفس وأقوى للإصغاء، وأحسن لنشاط السامع[٩٣٥].

ويشبه هذا المسلك، في الاختصاص أيضا، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[٩٣٦]. يستفاد من الآية الكريمة، أن الأصل الأولي في الأطعمة الإباحة، وان التحريم هو الذي يحتاج إلى دليل، وعلى هذا فكل مأكول، يلزم الحكم بحليته بمقتضى الأصل المذكور، ما دام لم يقم دليل خاص على تحريمه[٩٣٧]. فهي من آيات الأحكام تقدم في هذه الآية الضمير (إياه) مفعول به على عامله، فعل العبادة، لاختصاصه سبحانه، بالعبادة، إذ العبادة لا تكون الا له[٩٣٨].

فهناك تناسب بين (يا أيها الذين آمنوا)، ومجيء، جملة الشرط في قوله تعالى (إن كنتم إياه تعبدون). لإفادة مطلب تثبيت المؤمنين على شكر المنعم العظيم، وهز نفوسهم لهذه الطاعة، أي طاعة الشكر، والتي لا تتأتى الا بطاعة العبادة، وكأن المعنى العبادة له واجبة، فالشكر له واجب[٩٣٩].

ثانيا: إظهار التفاؤل والاطمئنان، وتعجيل المسرة، ومنه ما وقع في قوله

---

[٩٣٤] **علم المعاني، د. بسيوني عبد الفتاح: ٢١٢.**

[٩٣٥] **الكشاف: ١/٦٤؛ الايضاح: ١/٧٣.**

[٩٣٦] **البقرة: ١٧٢.**

[٩٣٧] **في تفسير آيات الإحكام، الايرواني: ١/٦١١.**

[٩٣٨] **التبيان في تفسير القرآن: ٢/٨٢؛ الإيضاح: ١/١١١.**

[٩٣٩] **البحر المحيط: ١/٤٨٥.**

تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[940].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾[941].

الآيتان في حرمة قتل النفس، وهي من آيات الأحكام.

ففي الآية الأولى، تقدم ضمير المخاطبين، وهو المفعول به في(نرزقكم) على ضمير الأولاد (إياهم).

وفي الآية الثانية، تقدم ضمير هؤلاء (نرزقهم) على ضمير المخاطبين (إياكم). وهذا النوع من التقديم، هو تقديم ضمير الغائبين على المخاطبين في موقع المفعولية، ودواعي الاختلاف الشكلي في الآيتين الكريمتين، مرده إلى تأكيد بعض المزايا الفنية والدلالية، ويتضح ذلك، في مناسبة التقديم والتأخير لسياق الآية وموضوعها، ففي الآية الأولى، النهي عن قتل الأولاد، وهو موجه إلى الفقراء، بلحاظ قوله تعالى: ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ والإملاق هو الافتقار[942] فكان تقديم رزق الآباء، أهم عندهم من رزق أولادهم، لأنهم في حاجة إليه، ولذلك جرى تقديم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم.

أما الآية الثانية: النهي موجه للأغنياء، بلحاظ قوله تعالى: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾، فالأغنياء هم الذين يخشون الفقر، في الوقت يكون الفقير، لا يخشى الفقر، لأنه منغمس فيه، فضلا عن ذلك أن الخشية مشعرة بالخوف من الآتي مستقبلا. فنهى النص الشريف عن قتلهم حتى مع تيقن الفقر لذلك، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ

---

(940) الانعام: ١٥١.

(941) الاسراء: ٣١.

(942) مجاز القرآن، أبو عبيدة: ٣٧٥/١؛ لسان العرب، مادة، ملق: ٢٦٥/٦؛ نزهة القلوب: ٣٩.

﴿وَإِيَّاكُمْ﴾[٩٤٣].

والذي يؤكد أن سياق الآية اختص في الموسرين والأغنياء، هو بلحاظ الكتلة السياقية المصاحبة للآية المبحث عنها، ذلك في قوله تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾[٩٤٤].وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾[٩٤٥].

أما الملحظ الفني الآخر، هو التعجيل في المسرة والتفاؤل في الآية الأولى، ذلك أن النهي، موجه للفقراء، فالعرب في الجاهلية من كان يقتل أولاده من إملاقه، وافتقاره واحتياجه، ولما كان الاباء هم المتكفلون، بالسعي والانفاق على أبنائهم، ومحتاجون للرزق العاجل، للقيام بذلك، فناسب تقديم الخطاب برزقهم لاستبشارهم وادخال المسرة والتفاؤل، على أن الله تعالى يرزقهم، لأنهم اصحاب الحاجة، ومكلفون بالانفاق، وبرزقهم يرزق أولادهم[٩٤٦].

أما الآية الثانية: فكانت بعثا على الاطمئنان في نفوس الأغنياء، واشعارا لهم بارتياح على أن أبناءهم لن يشقوا عليهم بأرزاقهم، فضلا عن الدلالة الفنية التي تؤمي، بتشفيع الأولاد في رفع فقر الإباء الذين هان عليهم قتل أبنائهم فكأن السياق يشعرهم، بأن رزقكم بهم فلا تقتلوهم[٩٤٧].

فزاد التقديم هنا الموسرين الشعور بالطمأنينة، للقادم في المستقبل، بدلالة كلمة

---

[٩٤٣] قضايا لغوية القرآنية: ١٩١.

[٩٤٤] الاسراء: ٢٦.

[٩٤٥] الاسراء: ٢٩.

[٩٤٦] التقديم والتأخير في القرآن الكريم: ١٧٠.

[٩٤٧] ملاك التأويل: ٤٧٩/١.

(الخشية) التي تعني القطع بالضرر الواقع[948].

ويبقى الملحظ الفني الأخير، هو تقديم للأهم في الحالين، تمشيا مع أساليب العرب في تقديم الأهم في الكلام[949]، فكان التقديم في كلتا الآيتين، متناسبا مع سياق الآية من حيث الأهمية.

ثالثا: تقوية الحكم وتقريره، في ذهن السامع والتأكيد عليه، ومما يدخل في ضوء هذه الدائرة، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾[950].

وقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾[951].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾[952].

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾[953].

الآيات الكريمات، من آيات الأحكام التي تنص على الطعام المحرم، وقد جاءت بمنزلة المقيّد للإطلاق.

إن ظاهرة التقديم والتأخير في هذه الآيات من نوع تقديم الضمير المتصل بحرف الجر، فقد قدم (به) على (غير الله) في الآية الأولى، وآخر في الأخريات.

إن مقتضى المعنى في التقديم والتأخير هنا هو في الحيوان المذبوح لغير الله

---

(948) **قضايا لغوية قرآنية: ١٩٨.**

(949) **ينظر: الكتاب: ١/٣٤؛ دلائل الاعجاز: ٨٤.**

(950) **البقرة: ١٧٣.**

(951) **المائدة: ٣.**

(952) **النحل: ١١٥.**

(953) **الانعام: ١٤٥.**

تعالى، أو الحيوان الذي ذكر عليه غير اسم الله، كما كان يفعل المشركون والمعبر عنه بما أهل لغير الله فان الإهلال، في الأصل الصوت الخارج عند رؤية الهلال، ثم استعمل في مطلق الصوت[٩٥٤]، فكل حيوان ذبح للصنم وذكر عليه اسمه، فهو محرم[٩٥٥].

ففي الآية الأولى: جاءت في معرض الحديث عن أرزاق العباد من الطيبات ونعم الله تعالى عليهم، ثم أعقب هذا السياق بتذكير النص للعباد، بقيامهم بالتحليل والتحريم، بلحاظ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[٩٥٦] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ﴾[٩٥٧].

وعلى هذا جاء تقديم الجار والمجرور (به) مناسب لمقام الحديث، لأن الضمير عائد إلى الذبائح[٩٥٨]. أدى إلى تقوية الحكم وتقريره في نفوس الناس، بأن هذه الذبائح من الطعام الذي أشارت إليه الآيات، وهي من نعم الله تعالى ورزقه للناس، من دون تقيد بزمان ومكان.

أما في الآيات الآخر، التي أخر فيها الجار والمجرور (به) فكان كل واحد منها مناسبا لمقام الآية، ففي آية الأنعام، جاءت ظاهرة التقديم، ذات بعد فني، وظف في خدمة سياق الآية، التي سيقت في معرض الحديث عن الكلام المفترى في تشريع الذبائح لغير الله. أو تشارك الله تعالى، في دعوى التعبد. ولذا جاء التقديم، ابطالا لتلك المعبودات لغير الله[٩٥٩]، على ما أهل (به) إليها،بتأخير ضميره المذكور، المتصل تأكيد على بطلان تلك

---

[٩٥٤] **مفردات، الراغب: ٨٤٣.**

[٩٥٥] **ينظر: معاني القرآن، الفراء: ١٠٢/١؛ مجاز القرآن: ١٤٩/١؛ تفسير غريب القرآن: ٦٩؛ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٨٥/٢.**

[٩٥٦] **البقرة: ١٦٨.**

[٩٥٧] **البقرة: ١٧٣.**

[٩٥٨] **التفسير الكبير: ١٢/٥؛ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٨٥/٢.**

[٩٥٩] **التعبير القرآني: ٦٩ـ٧٠.**

فقد اقتضت الحكمة القرآنية أن تقدم ذكر (القتل) على ذكر (الأحيـاء) وذلـك تشنيعا ومقتا للفعل.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(٩٦٠).

فقد قدم ذكر جزاء السراق، وهو عذاب قطع الايدي، علـى ذكـر مغفـرة الله تعالى، لمن تاب منهم، واضعا كل لفظ وعبارة في مكانها المناسـب، مـن تركيـب النص، مقدما الزجر (فاقطعوا ايديهما) على المغفرة (إن الله غفور رحيم).

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٩٦١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ

---

(٩٦٠) **المائدة: ٣٨ــ٣٩.**

(٩٦١) **البقرة: ١١٤.**

عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٩٦٢].

تقدم في الآية الأولى: (في الدنيا)، وأخر (خزي)، أما في الآية الثانية فقد قدم (خزي) وأخر (في الدنيا).

وان الملمح الجمالي، يتضح من خلال سياق الآيتين، ففي الآية الأولى من سورة البقرة، مقام الحديث عن ظلم المشركين والكافرين، وعملهم في محاولة وقف الإسلام من الانتشار، بأيديهم وألسنتهم، فلم تكن عقوبتهم إجرائية، وإنما هو إبقائهم في الأرض نفسها أحياء، مدة من الزمن حتى يتوفوا، فأخر (خزي) لتأخير العقوبة، ومن جهة أخرى، يشعر هذا التأخر في (الخزي) بالرهبة والفزع لما ينتظرهم.

أما الآية المباركة الثانية، من سورة المائدة، هي حديث عن العقوبة والجزاء، بما اقترفوه من عمل شنيع، فكانت عقوبتهم، هي نهاية لحياتهم في الدنيا، ولذلك قدم (خزي) عقوبة وجزاء، على (في الدنيا)، لقصر بقائهم بها، فكأنهم لجرمهم، لا يستحقون الحياة بها. والله أعلم.

ومن موجبات تقديم (خزي) مجيء اسم الإشارة، ليشير إلى (الخزي) ويخصصه ويؤكده[٩٦٣].

وأخيرا، استطاع، هذا الأسلوب، من نسج كلمات ((في اتساق حسن، وتأليف بديع، فتجيء الحقيقة محدودة واضحة صحيحة في ثوب أدبي جميل يوحي بالعظمة والتأمل، ويضمن لهذه الحقيقة خلودها على مر الزمن))[٩٦٤].

---

[٩٦٢] المائدة: ٣٣.

[٩٦٣] المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم: ٣٤٣ ــ رسالة دكتوراه ــ

[٩٦٤] المعاني الثانية في الأسلوب القرآني: ٦٥.

الفصل الرابع

الأنماط الموسيقية

المبحث الأول: جرس الحروف والألفاظ

- **جرس الحروف**
- **جرس الألفاظ**

المبحث الثاني: تنوع أساليب الإيقاع

- **التكرار**
- **الجناس**
- **ألفاصلة القرآنية.**

المبحث الثالث: التركيب الإيقاعي العام.

- **الموازنة.**

المبحث الأول

جـــرس الحروف والألفــاظ

كي يكتمل الهيكل العام للنص فنيا، بعد تتبع الصور البيانية، والأبعاد الدلاليـــة والرؤية النقدية لذلك، لا بدّ من الوقوف عند تخير الألفاظ المستعملة وحروفهـــا دون سواها من معاجم الألفاظ.

وبذلك تبدأ دراسة الحروف وجرسها الموسيقي، ومن ثم الألفاظ حيـــث تكـــون الحاجة ماسة للكشف عن قدرة النص الإبداعية، وأهمية الاختيار ووقـــع ذلـــك فـــي التأثير النفسي والذهني، وبعدها في الجمال الفني، لتظهر من خلال ذلك صلة العمل الفني بالنفس الإنسانية بمختلف دلالتها المقصودة.

وهي في الوقت نفسه ذات أثر بالغ في تكامل البنـــاء النـــصي لآيـــة الحكـــم الشرعي. وتناسق صياغته، لذا جاءت هذه الدراسة للوقوف عند الدلالـــة الإيحائيـــة لموسيقى ألفاظ النص وحروفها، لما فيها من تعبير عن خلجات الـــشعور وخفقـــات القلوب، ما يقربها من النفس والذوق.

جرس الحروف:

إن عملية انشاء النص الفني هي عملية غاية في الاتـــساق والانتظـــام، يجـــنح المنشئ منذ البداية إلى ترجمة المعاني والافكـــار، والانفعـــالات الـــشعورية وكـــل الهواجس الداخلية، على شكل اداء مسموع بواسطة الألفاظ المصاغة في التراكيـــب. ولما كان المنشئ الفنان، يتميز بامتلاكه ثروة لغوية خاصة، ينتخب منها ماله فاعلية ايصالية لنقل كل تلك المعاني القابعة في النفس، وتهيأ لعملية الانتخاب هذه موهبتـــه الصادقة، وقدرته الذاتية على تطويع الألفاظ، وإفراغ المعنى فيها، وتحميلها الطاقات الانفعالية، واستثمار جرسها الصوتي في تشكيل البنى الصوتية.

ومن هذا تتضح أهمية الأصوات في تكوينها الايقاعي داخل النص الفنـــي، إذ يختفي وراء الايقاع العام للنص، مستويات إيقاعية مختلفة تتكون من تتـــابع البنـــى

الصوتية وتكرارها، وهو صوت كل لفظ، أو إيقاع كل كلمة (وحدة لغوية) مضاف إليها الجرس الصوتي لكل حرف منها.

ومن جهة أخرى، أن الطبيعة التركيبية في اللغة العربية قد تمرست في تعادل الأصوات وتوازنها، لذا استبعد العرب، جملة من الألفاظ لا تنسجم صوتيا من حيث تداخل حروفها، وتنافر مخارجها.

مما دل على امتيازها بسعة مدرجها الصوتي، وتوزيع أصوات حروفها في هذا المدرج توزعا عادلا يؤدي إلى التوازن والانسجام بين الأصوات فجاءت هذه الخصائص والمزايا في اللغة، في منحها ثبات صوتي للحروف التي تكونها لأن جوهر الصوت العربي بقي واضحا، وهو ما يتمثل في قراءة القرآن الكريم، وإخراج الحروف الصامتة أخراجا يكاد يكون واحد[(٩٦٥)].

وعند التعرض للنص القرآني نجد شيوع معظم أصوات اللغة العربية، في طيات النص، لكل أداء صوتي مناسبة موضوعية تقابلها. وغاية فنية تعاضدها.

فكانت الدلالة الصوتية مضمار في استلهام المقاصد التشريعية والتوجيهية. وفي رصد ملامح الظاهرة الصوتية في النص القرآني، يلحظ استثمار مهمة الصوت اللغوي بشكل بالغ في إثارة الاحساس الوجداني عند المتلقي، وإيقاظ الوعي الإنساني أزاء المقاصد الدلالية التي يرمي إليها النص، كما في استعمال الحروف الهجائية المقطعة، أو في اسرار فواصل الآيات، وفي قيم الاداء القرآني، وفي الدلالة الصوتية للألفاظ في القرآن الكريم.

فنجد الأصوات الشديدة، وهي تحيط باقطار النص القرآني لآية الحكم وهي تسبغ عليها من صفاتها وتوشحها بايقاعها الخاص.

وقد أسهمت في تكوين الإيقاع. واكساب النص الحكمي صفات القوة والتفخيم والحسم، حيث أوحى جرس الحروف إلى بدلالة المعنى.

---

(٩٦٥) بحوث لغوية، د. احمد مطلوب: ٢٧.

ويقصد بالأصوات الشديدة بـــ(الباء، والتاء، والدال، والطاء، والكاف، والقاف، والهمزة، والجيم)[٩٦٦] وتسمى بالأصوات الانفجارية Plosive[٩٦٧]. وتسمى أحيانـــا الانسدادية.

فالأصوات الشديدة، أصوات آنية Momentantaute[٩٦٨]. إذ لا يمكن التغني بها وترديدها، لأنها تنتهي بمجرد زوال العائق وخروج الهواء، إذ أن الـــشرط فـــي إنتاج الأصوات الشديدة الانفجارية، هو سرعة زوال العائق[٩٦٩]. لذلك كانت نـــسبة الوضوح السمعي منخفضة فيها. قياسا بالأصوات المائعة، أو أصـــوات المـــد[٩٧٠]. والأصوات الشديدة، أصوات حاسمة سريعة لا تحتاج إلى جهد عضوي على حين أن الرخوة تحتاج في النطق بها زمن أطول وجهد أكبر[٩٧١].

فقد شكلت هذه الأصوات حضورا مميزا، كما يبين النموذج الآتي فـــي قولـــه تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ

---

[٩٦٦] ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومنهاج البحث اللغوي: ٦١؛ أما صوت الجيم ،فهو صوت مجهور يجمع بين الشدة والرخاوة، وهو ما يسمى بالصوت المزدوج: م.ن:٥١. والتجارب الحديثة، عدة الجيم القاهرية من الأصوات الشديدة،أما الجيم العربية الفصيحة فيختلط صوتها الانفجاري بنوع من الحفيف يقلل من شدتها، الأصوات اللغوية: ٢٤.

[٩٦٧] الأصوات اللغوية: ٢٣؛ وتحدث عندما يعوق تيار الهواء الخارج من الرئتين عائق يمنعه من المرور. عند أي مخرج من مخارج هذه الأصوات، ثم يزول هذا العائق، بسرعة وبهذا يندفع الهواء الخارج، بانفجار شديد. يسمى الصوت في هذه الحالة (حالة وجود عائق) صوتا شديدا، أو انفجاريا. ينظر: مدخل إلى علم اللغة: ٣٣.

[٩٦٨] مدخل إلى علم اللغة: ٤١.

[٩٦٩] م.ن: ٣٤.

[٩٧٠] م.ن: ١٠٠.

[٩٧١] الأصوات اللغوية: ١٤٢، إذ أن اللسان في اثناء النطق يكون دائم الحركة لا يكاد ينقطع عنها، يلتقي مع الحنك التقاءً محكما في حالة الصوت الشديد، ولكن مع الرخو يتوقف لدى مسافة قصيرة جدا من الحنك، هي التي تسمح بتسرب الهواء، أي أن عملية كبح الصوت لدى مسافة معينة هي أعسر، من اصطدام اللسان وتوقفه في الحال.

بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾(٩٧٢).

بلغ عدد ألفاظ هذا النص القرآني الكريم إزاء الثمانين لفظة، واحتوت على ستين صوتا شديدا، أي أكثر من نصف كلمات النص جاءت على الصوت الشديد. وهي: (لكم، إن، يكن، ولدٌ، كان، ولد، فلكم، الربع، بها، دين، الربع، يكن، لكم، ولد، كان، لكم، ولد، توصون، بها، دين، كان، رجل، كللة، امرأة، أخ، لكل، واحد، السدس، كانوا، ذلك، شركاء، بها، دين).

اشتملت كل من هذه الألفاظ على صوت شديد واحد، وهو إما (الكاف) أو (الدال) أو (الباء) أو (الجيم) أو (الهمزة) أو(التاء).

و(ترك، تركن، بعد، بعد، أخت، أكثر، بعد)،اشتملت على صوتين شديدين،وهما(التاء والكاف)،أو(الباء والدال)أو(الهمزة والتاء)،أو(الهمزة والكاف).

و(أزواجكم، تركتم، تركتم)فقد اشتملت على ثلاثة أصوات شديدة،وهي(الهمزة والجيم والكاف)،و(التاء والكاف).

ويختفي وراء شيوع هذه الأصوات سببا، يكاد الباحث يلمحه، فثمة نقطة التقاء بين خصائص هذه الأصوات ومناسبة الموضوع.

ولما كان النص الكريم، يتعرض إلى موضوع الارث، وهي مسألة لها وضعها، وخصوصيتها في المجتمع الجاهلي والقبلي، فجاءت أصوات النص وإيقاعها الشديد لتناسب دلالة الآية في حسم الأمر، وإثبات الفروض والمقادير بشكل واضح وقوي، ليس فيه لين وتراخٍ أو تأمل. وهذا ما نلحظه في آيات المواريث بشكل يكاد يكون عاما فيها(٩٧٣).

ومن شخوص الأصوات الشديدة في النص، وخصوصا صوت الكاف (من الأصوات الانفجارية) يلحظ ذلك الترابط بين ايقاع هذه الأصوات ودلالة النص.

---

(٩٧٢) النساء: ١٢.

(٩٧٣) ينظر: النساء: ١١، ١٢، ١٧٦؛ النساء: ٣٣.

فآيات المواريث، هي مواضيع حسابية تتعلق بانصبة محددة، وليس فيها فسحة للخيال والتصوير، أي انها لا تقبل التأويل، ولذلك كانت أصـــوات القـــوة والحـــسم مهيمنة على النص، مما أكسبه بعدا ايقاعيا مميزا في قرع الأذن قرعا شـــديدا، ازاء مراد دلالة النص.

ومن جانب آخر، نجد أن موضوع الآية ومراد الحكم، ومقصد النص قد أســـهم في التكوين الصوتي، وشيوعها الواسع في تشكيل مادة النص الحكمي صوتيا، وعليه يمكن ملاحظة احتواء آيات الحد على صوت شديد أو صوتين في الكلمات الاساسية للنص، متناسبة مع قوة الدلالة ودرجة الحسم في الحكم وكما يلي:

حكم حد السرقة[٩٧٤]، وقد اشتملت كلماته على:

- (السارق، السارقة) على صوت القاف.
- (فاقطعوا) على صوت القاف والطاء.
- (أيديهما، بعد) على صوت الهمزة والدال والباء.
- (جزاء) على صوت الجيم والهمزة.
- (كسبا، نكالا، حكيم) على صوت الكاف والباء.
- (تاب، يتوب) على صوت التاء والباء.

إن وفرة الأصوات الشديدة في هذا الحكم، قد ساعد على بث ايحـــاءً بالحـــسم والشدة في التعامل.

وهذا ما نجده أيضا، في آيات حد القذف والزنا والقـــصاص. ففـــي آيـــة حـــد القذف[٩٧٥]، اشتملت كلماتها على:

(يأتوا، تقبلوا، تابوا) على التاء والباء والهمزة.

و(بأربعة، شهداء، أصلحوا) على صوت الهمزة والباء والدال.

---

[٩٧٤] ينظر: المائدة: ٣٨-٣٩.

[٩٧٥] ينظر: النور: ٤-٥.

و(شهداء، فاجلدوا، جلدة، شهادة، ابدا، بعد) على صوت الدال والهمزة والجيم.

و(الفاسقون) على صوت القاف.

و(أولئك) على صوت الهمزة والكاف.

وفي آية حد الزنا[٩٧٦]، احتوت كلماتها على:

(فاجلدوا، جلدة) على صوت الجيم والدال.

و(كل، تأخذكم، كنتم) على صوت الكاف والتاء.

و(واحد، دين، وليشهد) على صوت الدال.

و(مائة، رأفة، الآخر، طائفة) على صوت الهمزة والطاء.

و(تؤمنون، كنتم) على صوت التاء والكاف.

وفي آية القصاص[٩٧٧]،احتوت الكلمات فيها على:

(يأيها، آمنوا، الانثى، أخيه، أداء، إليه، إحسان، أليم، أولي، الالباب) على صوت الهمزة.

و(كتب، عليكم، ذلك ربكم، ذلك، ولكم، لعلكم) على صوت الكاف.

و(القصاص، القتلى، القصاص) على صوت القاف.

و(العبد، العبد، اعتدى، بعد، أداء) على صوت الدال والباء والهمزة.

و(أتباع، تخفيف، تتقون) على صوت التاء والقاف.

والمدقق في هذه الأحكام، يجد الموائمة بين دلالة الحكم والدلالة الصوتية، التي يوحي بها جرس الحروف،بالسرعة والحسم والشدة.

لأن حد الزنا وحد القصاص وحد القذف وحد السرقة، مما يتطلب شدة وقسوة وغلظة، استعان النص الكريم بدلالة الأصوات الموحية بهذه المعاني لادراك المتلقي

---

(٩٧٦) ينظر: النور: ٢.

(٩٧٧) ينظر: البقرة: ١٧٨-١٧٩.

عصرئذ لهذه الخصائص، وكأن النص الكريم يريد أن يصيب الهلع نفوس من قد يقع عليه الحد وبغيره، ليبعدهم من الاقتراب إلى حدوده تعالى، فتؤدي بذلك الأصـــوات وظيفتها المتوخاة منها. والله أعلم.

والى جانب تلك الأصوات، هناك أصوات تاطر الـــنص القرآنـــي التـــشريعي وتسمه بطابع الهدوء والسلاسة الموحية في المواضيع التي يشيع فيها جو من التأمل والترخِ فلا حاجة لأصوات صارخة لتؤكدها أو توضحها.

وهي الأصوات الرخوة[٩٧٨] والمهموسة[٩٧٩]،والتي ينساب الصوت عند النطق بها، انسيابا هادئا ورقيقا.

ويقصد بالأصوات الرخوة في اللغة العربية (س، ز، ص، ش، ذ، ث، ظ، ف، هـ، ح، خ، ع)[٩٨٠]. وتـسمى بالأصـوات الاحتكاكيـة Fricatives[٩٨١]، وهـي أصوات استمرارية متمادة Dauertaute، يمكن التغني بها واستمرار نطقهـا بـلا انقطاع ما دام في الرئتين هواء[٩٨٢].

وقد لاحظ العلماء، أن نسبة عدد كل من المجهـورات والمهموسـات، غيـر متعادلة في الكلام حيث أن الكثرة الغالبة من الأصوات اللغوية، هي المجهورة.

ومن الطبيعي أن تكون كذلك، وإلا فقدت اللغة عناصرها الموسـيقية ورنينهـا الخاص الذي يميز به الكلام من الصمت والجهر، ومن الهمس والأسرار[٩٨٣].

فالحنجرة هي أداة الصوت الأساسية، وما يتكون في غيرهـا مـن أصـوات إنسانية لا يكون كلاما مسموعا واضحا. ذا درجات موسيقية منسجمة يمكن ضـبطها

---

(٩٧٨) الأصوات الرخوة: وهي الأصوات عند النطق بها، لا ينحبس الهواء انحباسا محكما وانما يكتفي بأن يكون مجراه عند المخرج ضيق جدا، ويترتب على ضيق المجرى أن النفس في اثناء مروره بمخرج الصوت يحدث نوعا من الصفير أو الحفيف، تختلف نسبته تبعا لنسبة ضيق المجرى، الأصوات اللغوية: ٢٤.

(٩٧٩) الصوت المهموس، هو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان، ولا يسمع لهما رنين حين النطق به، والمراد بهمس الصوت، هو صمت الوتران الصوتيين معه، رغم أن الهواء في أثناء اندفاعه من الحلق أو الفم، يحدث ذبذبات يحملها الهواء الخارج إلى حاسة السمع. الأصوات اللغوية: ٢٢.

(٩٨٠) الأصوات اللغوية: ٢٤.

(٩٨١) م.ن: ٢٤.

(٩٨٢) المدخل إلى علم اللغة ومنهج البحث اللغوي: ٤١.

(٩٨٣) الأصوات اللغوية: ٢٢.

وقياسها[٩٨٤].

وقد وجد العلماء، أن نسبة شيوع الأصوات المهموسة في الكلام لا تكاد تزيد على الخمس، أو عشرين في المائة منه، في حين أن أربعة أخماس الكلام تتكون من أصوات مجهورة[٩٨٥]. وهذا ما نجده أيضا في استقراء آيات الأحكام.

ونرصد تلك الأصوات في آيات (عدم حجية الظن)، وهي من أحكام أصول الفقه.

نحو قوله تعالى: ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾[٩٨٦].

وقوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[٩٨٧].

وقوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾[٩٨٨].

وقوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[٩٨٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[٩٩٠].

دلت هذه الآيات على عدم حجية الظن وان الأصل الاولي في كل ظن هو عدم الحجية.

ومن هنا اثبت الأصوليون، أن الأصل الأولي هو عدم الحجية في كل أمارة ظنية لم يقم دليل قطعي على حجيتها[٩٩١].

ومن زاوية أخرى، نلحظ توافر الأصوات الرخوة التي شكلت نصوص الآيات الكريمة، مما اكسبها سمة التراخي والتؤدة، ناسب بذلك النغم، وموضوع الآيات التي تحتاج تلك الوقفة الهادئة.فقد بلغت الكلمات التي احتوت على الأصوات الرخوة في

---

[٩٨٤] م.ن: ٢٢.
[٩٨٥] م.ن: ٢٢.
[٩٨٦] النساء: ١٥٧.
[٩٨٧] الأنعام: ١٤٨.
[٩٨٨] النجم: ٢٣.
[٩٨٩] النجم: ٢٨.
[٩٩٠] الاسراء: ٣٦.
[٩٩١] في تفسير آيات الأحكام، الايرواني: ٦٩٧/١.

النصوص الكريمة السابقة، على الكثرة الغالبة من مجموع كلمات النص.

ويكمن وراء تلك الوفرة من الأصوات ايقاعا مقصودا ناجم عن التناغم بين اصوات الكلمات مما اكسب النص قيمة جمالية نتيجة لارتباطها الوثيق بمضمون النص ودلالته الايحائية الواقعة خلف هذه الايقاعات،ذلك أن لكل من الصوت والمضمون. أثرا في العمل الفني، وهذه الاثار جميعا تعمل معا ضمن دائرة واحدة، مهمتها اقناع المتلقي.

واذا كان الجرس الموسيقي للالفاظ والحروف يكمن في الأصوات ودلالتها الايحائية. أو الواقع اللحني الناجم عن تناغم الألفاظ وتكويناتها المقطعية المتكونة من الأصوات.فان هذه الأصوات مجتمعة في العبارة تحقق قيمتها الموسيقية والجمالية من خلال كشفها للدلالة الفنية القابعة خلف هذه الإيقاعات.

فالنص العالي فنيا، يستخدم طرقا متنوعة ومسالك متشعبة ليصهر ويوحد بين الإيقاع والمضمون. وبين الإيقاع والشعور.

ومن هنا نلحظ الصلة الوثيقة بين الجرس الصوتي والتأثيرات الشعورية والوجدانية التي تصاحب التناغم الموسيقي في النص، من خلال تكرار الوحدات النغمية (جرس الصوت) على نحو منتظم، فيكوّن نسيج يتألف من المفاجآت والخيبة، والتوقع والاشباع والى غير ذلك مما يولده النص صوتيا.

وذلك ما نجده، في قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٩٩٢].

وقوله تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٩٩٣].

وقوله تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٩٩٤].

وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾[٩٩٥].

---

(٩٩٢) البقرة: ٢٨٦.
(٩٩٣) المؤمنون: ٦٢.
(٩٩٤) البقرة: ٢٣٣.
(٩٩٥) الطلاق: ٧.

وقوله تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[996].

إن الآيات الكريمة، دالة على شرطية القدرة في التكليف. فقد عدّ القـــدرة فـــي التكليف عقلا أما في مقام الامتثال أو في مقام توجيه التكليف نفسه، فغير القـــادر لا يمكن عقلا توجيه التكليف إليه أو لا يثبت وجوب الامتثال في حقه[997].

ولما كان نص الآية الكريمة، يحتاج إلى تأمـــل وتـــدبر، تـــوفرت الأصـــوات المهموسة (الفاء، والسين، والعين،والهاء) في الكلمات (يكلف، نفـــسا، وســـعها، مـــا آتاها) والتي استطاعت، أن تشيع جوا موسيقيا سلسا في طرح قضية التكليف، وهي مسألة ذات أهمية للمتدبر بها، لما لها من علاقة بتكليف المسلم، بالتكاليف ومقدرتـــه على الامتثال لتلك التكاليف.

وفي موضوع متباين عن الآيات السابقة، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[998].

اشتملت هذه الآيات على الأصوات الرخـــوة (ح، ص، ذ، غ، ظ، ف، ع، خ، ش، هـــ، س) في الكلمات (الذين، المحصنات، الغافلات، لعنـــوا، فـــي، الآخـــرة، عذاب، عظيم، تشهد، عليهم، ألسنتهم، يعملون) جـــاءت هـــذه الأصـــوات بـــدلالتها الايحائية لتعبر عن مواقف متناهية الضعف، تتسم بالرهبة والدهشة، فتناسبت تلـــك الأصوات الهشة، مع تلك المواقف الوهنة.

جرس الألفاظ:

إذا ما وقفنا عند المادة الأولية للنص، وهي اللغة العربية، يُلحظ ميزات ألفاظها في دلالتها الجرسية والإيقاعية على المعنى، أو هو ما يـــسمى بالمناســـبة الطبيعيـــة فكانت هذه الظاهرة من الوضـــوح والابانـــة، مـــا يجعلهـــا ســـمة مـــن ســـماتها

---

[996] الأنعام: ١٥٢.
[997] في تفسير آيات الأحكام، الايرواني: ٦٩٨/١.
[998] النور: ٢٣-٢٤.

وخصائصها[999]. فقد وصفت اللغة بالموسيقية[1000]. هذا ما جعل بعض النقاد المحدثين يرون فيها انها لغة شاعرة، بنيت على نسق الشعر في أصوله الفنية والموسيقية[1001].

وعلى هذه الكيفية، فاللغة ليست مجرد ألفاظ ومعانٍ بل تنطوي على كثير من النواحي الموسيقية والوجدانية، وفيها من الايحاء والرمز والايماء الشيء الكثير[1002].

لما تضمنت من خصائص جمالية تستروحها النفوس وتطمئن إليها الاذن فترقى باللغة إلى مستوى الفنون.

اذن تتمحور أهمية الجرس الموسيقي للفظة في محورين:

الأول: دلالته على المعنى.

إن الألفاظ قوام العمل الأدبي، كونها أبنية مستقلة لها دلالتها الذاتية، ولا يمكن اغفال أثر جرسها في توليد ابعاد جمالية وتوجيه المعنى وتحديد الدلالة، فقد تنبه العلماء إلى أهمية ذلك في بناء الكلمة.

وذلك أن للفظ مكانة فنية بوقع جرسها وتناغم أصواتها في تجلية المعنى المراد، وان مدار جمال النظم يعود إلى حسن اللفظ بالذات، لما له من دلالة وتأثير في النفس، وعند ضم الحروف المتلائمة، ومن ثم يتساوق اللفظ مع الجملة أو النظم[1003]. مما دفع بعض العلماء إلى عقد مبحث، باصطلاح **(ائتلاف اللفظ مع المعنى)**[1004].

اذن قيمة اللفظ فنيا متوقفة على مدى ظهورها في الدلالة على المراد وإبانتها إياه، وظهورها في الدلالة يعتمد على الفتها واستئناس المتلقي بها، وهو ما يسمى

---

(999) فقه اللغة العربية: ١٣٥.
(1000) دلالة الألفاظ، ابراهيم أنيس: ١٩٥.
(1001) اللغة الشاعرة: ٨.
(1002) عضوية الموسيقى في النص الشعري: ٢٧.
(1003) ينظر: دلائل الاعجاز: ٣٥-٤٦.
(1004) نقد الشعر، قدامة بن جعفر: وتحرير التحبير، ابن ابي الاصبع: ١٩٤.

بالصورة الذهنية السمعية[١٠٠٥].

فان الصوت والمعنى يأتلفان معا كأنهما مركب واحد، فإذا كان للصوت تأثير على تحديد المعنى، وتأثير في النفس، وأحداث التخييل المناسب فما هذا إلا لأن الصوت في حد ذاته يحمل في طياته معنى[١٠٠٦].

وقد رأى أفلاطون أن هذا الاحتواء الفكري الذي يحتويه الصوت الموسيقي، هو الذي يؤثر في النفس الإنسانية فيذيب التوتر ويلطف الخلق[١٠٠٧].

ومن ثم فان القوالب اللفظية التي تحمل الصور الكلامية وتصاغ فيها الأحاسيس والمشاعر، تتحد بمضمونها الفكري والعاطفي، فصيغ الكلمات أوزان موسيقية لكل منها نغمة موسيقية ثابتة[١٠٠٨].

أما الثاني، فأثره في النفس، ويتمثل في أن تفاعل النفس مع إيقاع اللفظة المفردة، وجرسها الصوتي من استحسان واستهجان، وإنما هو أمر نفسي يعود إلى طبيعة الحس وأثرها في النفس ولهذا كان لانسجام النغم أثر في مد المعنى بدلالة إيحائية تسبغ عليها سعة التأثير.

فقد تنبه العلماء إلى أهمية الألفاظ وجرسها الصوتي، وما يحتويه من منبهات، وذلك عندما تحدثوا عن فصاحة اللفظة المفردة، ومقاييس جودة الشعر ومقوماته. حيث ربط علماء البلاغة بين مناخ الموسيقى الداخلية الذي يوحي به جرس اللفظة وإيقاعها، وبين حسن اللفظة المفردة وقبحها، فكان اللفظ ذات الجرس الحسن المحبب ينسب إليه السلاسة والعذوبة والرونق. وذات الجرس الكريه، بالغثاثة والاستكراه[١٠٠٩].

وقد فسر العلماء جرس الألفاظ حسنا وقبحا،تفسيرا نفسيا على اساس الموافقة

(١٠٠٥) ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: ٧٠.
(١٠٠٦) ينظر: عضوية الموسيقى في النص الشعري: ١٧.
(١٠٠٧) جمهورية افلاطون: ١٠٥.
(١٠٠٨) خصائص العربية ومنهجها الاصيل في التجديد والتوليد: ٣٧.
(١٠٠٩) ينظر: عيار الشعر: ١٤، العمدة: ١٢٨/١؛ سر الفصاحة: ٥٤-٥٦.

والمضادة[١٠١٠].

فللألفاظ دلالة ذاتية، حيث ((ينتفع بالألفاظ الانفعالية والخلقية انتفاعا شديدا وذلك حين يراد أن يثار انفعال فتكون الألفاظ المثيرة للانفة الفاضحة، صالحة لإثارة الغضب، وأما الألفاظ المستقبحة للفواحش والآثام، فإنما ينتفع بها حين يزهد في القبح))[١٠١١].

وعلى هذا الأساس تتحقق الوظيفة النفسية للفظة في تسخيرها بوصفها اداة نفسية يراد بها إثارة النفس الإنسانية.

ويبدو أن القيمة الفنية لجرس الألفاظ ومادة حروفها في تشكل صوتها الموسيقي. وأثر ذلك في النفس تقبلا ونفورا، هو المعيار الفني والبلاغي للفظة[١٠١٢].

واذا كان علماء العرب رأوا في جرس الألفاظ راحة للقلوب وتأثير في الاذواق وهشاشة للنفوس، التي تهتز بها الجوارح، وتطرب بها الآذان[١٠١٣].فان قدماء اليونان وجدوا في الموسيقى تهذيبا للنفوس، واستقرارا لأعماق الشعور في بث الجمال ويفتح القلب ويغذيه[١٠١٤]. وبهذا الالتحام ما بين جرس اللفظة والنفس الإنسانية تكمن أهمية العنصر الموسيقي لها، مما دفع بالعلماء إلى تقصي الأسرار الكامنة وراء ذلك الأثر.

والمهم أن تنظر إلى اللفظة بصفتها الوظيفية المتأتية من كونها جزءا من كل، وهو التركيب أو العبارة، ومن الثابت أن دخول اللفظة في علاقات مع ألفاظ أخرى يكسبها وظيفة لم تكن لها قبل ذلك، وعلى هذا فقد تنبثق من العلاقات الجديدة وظائف دلالية أخرى أو إيقاعات موسيقية.

وقد لا تكون الوظيفة دائما نفعية في أساليب التعبير. وإنما جمالية تؤدي وظيفة

[١٠١٠] ينظر: عيار الشعر: ١٤؛ كتاب الصناعتين: ٦٣؛ العمدة: ١٢٨/١؛ المثل السائر: ١١٤/١.
[١٠١١] الخطابة في كتاب الشفاء، ابن سينا: ٢١٩.
[١٠١٢] اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى الرفاعي: ٢٤٥.
[١٠١٣] ينظر: العقد الفريد:١٥٦/٢.
[١٠١٤] ينظر: جمهورية افلاطون: ٩٥.

جمالية أو فنية تساند الوظيفة النفعية. بمعنى أنها ليست وسيلة إيصال وإنما مطلوبة لذاتها والإمتاع حاسة السمع عن طريق الإيقاع وتركيب العبارة تركيبا هندسيا، أو لخلق تأثير معين مثل الدهشة والمفاجأة.

ومن هنا نستطيع أن نتلمس الأسرار التي تكمن وراء تخير الألفاظ في آيات الحكم القرآني واستعمالها دون سواها،إذ إن البيان القرآني قد أهتم بموسيقى العبارة وشدد في حرصه على تحقيقها، ملائمة منه للذوق العربي، وطبيعة النفس العربية التي تسحرها الكلمة، و تأسر بفنون التعابير، فكان ما يشد النفس والذوق، تلك العبارات التناغمية التي تتعادل وحدتها الصوتية وتتوافق من حيث الأوزان.

والمتتبع لآيات الأحكام سيجد دقة الإصابة في وضع الألفاظ موضعها السليم في التركيب الجملي، مراعيا في ذلك طبيعة الجرس اللفظي من توافق حروفها وتلاؤم مقاطعها في الانتقاء، على انها ذات موسيقى خاصة تحقق دلالة ايحائية مضافة وتتضح القيمة الجمالية للفظة ومفهومها البنائي، داخل المكون البنائي للنص القرآني من خلال التباين بين مجموعة الأصوات التي كونت الكلمة فيه، وبين مجموعة الأصوات التي كونت كلمة أخرى ذلك أن كل لفظة توحي بصورة ذهنية تخالف سواها قوة وضعفا أو وضوحا وعتمةً.

فضلا عن ذلك، أن الغرض الفني، لا تتضح ابعاده ما لم تعاضدها الدلالة السياقية للجملة أو العبارة، ذلك أن الكلمة المفردة تبقى هائمة ما لم يحددها التركيب الجملي ليتم المعنى.

فلا ريب في أن لكل من تلك الألفاظ أصواتا معينة جراء تلاحم حروفها، مما يكسبها جمالا سمعيا، تختلف عن سواها من الكلمات ذات المعنى المرادف، وهذا الجرس الموسيقي لا بدّ أن يتخلله دلالة خاصة تنبع منه، فهي تارة تؤثر في النفس وتحرك العاطفة نفورا أو تقبلا، أو هدوءا أو فزعا، أو دهشة أو رفقة. وتارة اخرى تؤكد المعنى وتزيد من التكثيف الدلالي له، أو توجيها أو توقعا له.

ونماذج الدلالة الصوتية لجرس الألفاظ في آيات الأحكام، تتجلى بألفاظ منتقاة

بشكل دقيق. وسنحاول عرض بعض الامثلة من تلك الظاهرة الموسيقية.

فمن ذلك لفظة (طهور)، ومشتقاتها في آيات الأحكام، إذ توحي هذه الكلمة عادة في القرآن الكريم، بمعنى الطهارة الحسية أو النفسية، أو طهارة الظـــاهر وطهـــارة الباطن[١٠١٥].

فهي تعطي معنى الغسل من الإحداث والأنجاس[١٠١٦]. أو تطهير الـــنفس[١٠١٧] أو ترك الذنب[١٠١٨] أو النزاهة[١٠١٩].

ولكن النص آثر استعمالها حفاظا على الدلالة الصوتية التي جُمعت في كلمـــة (طهر)، من حروف (الطاء، والهاء، والراء) إذ أن لكل حرف دلالة صوتية ترســـم صورة سمعية معينة فقد أعطت هذه الأصوات نغما موسيقيا خاصـــا يحمـــل صـــفة تفخيم المعنى وتعظيمه من خلال فخامة صوت الطاء[١٠٢٠]، وان كان صوت الهـــاء قد ساعد على انسيابية الصوت الشديد في(الطاء)، مما أسبغ على اللفظة نغمة هادرة شفافة، توحي بالتأمل في أبعادها الدلالية وتتجلى القيمة الموســـيقية بالتحامهـــا مـــع الدلالة الام.

إن وجود صوت الطاء في الكلمة يوحي بالشدة والفخامة، وهذا ما يحتاج إليـــه الحكم الشرعي في قضية الطهارة، لأن المسلم لا يقدر على تأدية افعاله العباديـــة إذا لم يتطهر فكان فخامة صوت الطاء وشدته تتلاءم مع ذلك، ويعاضده صوت الهـــاء الاحتكاكي وجاء معها صوت الراء من أحرف الذلاقة ليحدث هذا التوازن في البناء الصوتي للفظة (طهر).

ونحو ذلك، نلحظ الكلمات (رجز[١٠٢١]، رجس[١٠٢٢]، نجس[١٠٢٣])، وهـــي ذات

[١٠١٥] معجم مفردات ألفاظ القرآن: ٣١٧.
[١٠١٦] قوله تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا). المائدة: ٦؛ قوله تعالى: (حَتَّى يَطْهُرْنَ). البقرة: ٢٢٢.
[١٠١٧] قوله تعالى: (رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا). التوبة: ١٠٨، يعني تطهير النفس. ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن: ٣١٧.
[١٠١٨] قوله تعالى: (وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)، البقرة: ٢٢٢ أي التاركين للذنب والعاملين للصلح.
[١٠١٩] قوله تعالى: (أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ) الاحزاب: ٥٣ قوله تعالى: (لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ). الواقعة: ٧٩.
[١٠٢٠] فالطاء من الأصوات الانسدادية الانفجارية، أي ينحبس مجرى الهواء في مواضع النطق ثم ينفجر. علم الأصوات العام: ١١٣-١١٧.
[١٠٢١] في قوله تعالى: (وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ). الانفال" ١١.
[١٠٢٢] قوله تعالى: (رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ). المائدة: ٩٠.
[١٠٢٣] قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ). التوبة: ٢٨.

نغم صوتي متقارب أو إيقاع موسيقي، يكاد يكون متجانسا. وهذا يظهر من خصائص الأصوات المكونة للفظة، فـ(الراء، والنون) من حروف الذلاقة، و(الزاي، والسين، والجيم) من الأصوات الاحتكاكية، فضلا عما يحدثه صوت (السين والزاي) من صفير، فهي من الأصوات الصفيرية أي يصاحب نطقها صفير ناجم عن قوة احتكاك الهواء.

وهي على هذا الوفق من الخصائص ومن تناسب الأصوات الذي اكسب العبارة صدى خاصا، تصطك معه الأسماع، وتشتد عند نطقه الاسنان..

فكان لها أزيزها المميز، الذي يبلغ السامع إلى أن الصوت يدعو إلى نفور الأنفس لتقارب مخارج الأصوات فيها، ومن خلال ضم الصوت المهموس (السين والزاي) إلى الصوت الشديد في (الجيم)، مما أعطى انطباعا في الشعور بالغثاثة والكراهة واذا ما علمنا أن معاني هذه الكلمات في الأصل تقترب من دلالتها الصوتية (فارجز) يعني الاضطراب، و(الرجس) الشيء القذر، أو ما قبح من جهة الطبع أو العقل أو الشرع، أو من كل ذلك وقريب من ذلك المعنى (النجس)[١٠٢٤].

وبذلك يتضح المعطي الفني، المتمثل في مجموع اصوات هذه الألفاظ، من حيث رصد العلاقة بين الدلالة المعنوية والدلالة الصوتية.

وما نجده ايضا، في كلمة (تسريح، أو سرحوهن أو سراحا)[١٠٢٥]. أن الأصل في التسريح أو السراح، هو كل إرسال في الرعي، أو مضى سرحا سهلا[١٠٢٦]. واستعير للطلاق من تسريح الابل، كالطلاق الذي استعير من اطلاق الابل.

ولكن النص القرآني لم يستعمل كلمة (الطلاق) في موضع الاجراء الفعلي، أو الحتمي في آيات الطلاق، والملاحظ أن كلمة الطلاق في الأعم وضعت عنوانا للحكم[١٠٢٧]، والله أعلم.

[١٠٢٤] ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن: ١٩٢-١٩٣.
[١٠٢٥] قوله تعالى:(أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ).البقرة:٢٢٩.قوله تعالى:(وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً). الأحزاب: ٤٩.
[١٠٢٦] ينظر: معجم مفردات الفاظ القرآن: ٢٣٥.
[١٠٢٧] ينظر: الطلاق: ١-٢.البقرة:٢٣١، البقرة:٢٢٩.

ويبدو أنّ مرد ذلك هو الحفاظ ً على الدلالة الصوتية التي صرف النص المنشأ عنايته في خلق نغم أو إيقاع يؤدي المعنى نفسه، ولكنه برقة وبساطة فضلا عن مؤداها الدلالي في التشريع والغاية المقصودة في المعنى الشرعي للـ(تسريح).

فنلمح التلاؤم الحاصل بين الأصوات الثلاثة في لفظة (سرح) ودلالتها، فقد تميزت حروفها بخصائص صوتية ساعدت على ذلك التلاؤم، (فالسين)، مهموس، (الراء) ذلق و(التاء) احتكاكي، بحيث وفر الحرف الأول والثاني سهولة لم تؤثر عليها احتكاكية الصوت الثالث، فصارت اللفظة سهلة تناسب الدلالة.

فكان لهذه الألفاظ أزيزها الساكن أو الهامس، وصوتها الدافق، ونغمتها الرقيقة، مما أسبغ مسحة من النداوة والطراوة على موضوع النص.

ونتيجة لارتكاز الألفاظ على الصوت المهموس (السين) الذي أكسب الألفاظ إيقاعا هامسا، في خلق جو موسيقي هادئ يقلل من حدة موضوع (الطلاق) وأثرها في النفس، وترك انطباع الرفق لدى المتلقي أو المكلف.

ونحو ذلك، كلمة (معروشات) في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾[١٠٢٨]. فهذه اللفظة لها وقع موسيقي مميز ودلالة صوتية توحي بصورة سمعية من تكالب العروش وتكاثفها مما يخيل للسامع، منظرا متشابكا من الافرع والاغصان ،التي وفرتها أصوات اللفظة المتباينة المخارج والخصائص.

تمثلت هذه الكثافة الصوتية، بمجموع أصوات لفظة (معروشات)، فصوت (الشين) رخو مهموس مرقق، غاري المخرج، وصوت (العين) رخو مجهور مرقق حلقي المخرج، أما صوت (الراء) فهو تكراري مجهور متوسط، لثوي المخرج، وقد احيطت هذه

[١٠٢٨] الانعام: ١٤١.

الأصوات بـ(الميم) المجهورة وصوت (التاء) الشديد، مما اكسب اللفظة جهارة في الصوت، حدّ من خصائص الأصوات المرققة والمهموسة، فصوت (الشين) ((قد يجهر بتأثر الأصوات المجهورة المجاورة)) [١٠٢٩] ومن جانب آخر، فقد أحيط صوت (الشين) بالواو والألف، مما وسع من المساحة الصوتية له.

وقد يلحظ تركيز النبر على هذا الصوت والعناية به، جراء تكراره في ثنايا النص (أنشأ، غير معروشات، متشابها، غير متشابها). فهذا الإلحاح على صوت (الشين) في النص مرده إلى خاصيته في التصفير بدرجة متوسطة.

ومن ثم أعطت هذه الأصوات مجتمعة نغما موسيقيا خاصا، حمّل اللفظ أكثر من معنى صورة الأشجار، بل أكسبها كثافة صورية إلى الكثافة السمعية،التي لها أثرها في الحس والوجدان.

فكانت عناية النص المنشأ في خلق نغم أو إيقاع صوتي، يتلاءم مع ما يرمي إليه النص، من إظهار نعم الله تعالى المغدوقة، كي تصل إلى السمع وهي تحمل لونا واضحا قويا محدثا وقعا يشعر بالدهشة المتناهية، لا بمجرد صورة الاشجار المظللة.

ونحو ذلك كلمة (أحصرتم) في قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ...﴾[١٠٣٠].

إنّ من أحصر، بأن تعذر عليه إتمام مناسك الحج، لمرض ونحوه فلا يجوز له الاحلال، بل عليه أن يرسل هديا من (الابل أو البقر، أو الضأن) بالمقدار المتيسر له إلى منى، كي يجوز له الاحلال آنذاك بالحلق[١٠٣١].

وكلمة (احصرتم) توحي عادة بمعنى الضيق والحبس والمنع ولكن الآية استعملها دون سواها، إذ لا يسد غيرها مسدها في حقول الدلالة لما لها من دلالة صوتية خاصة ووقع مميز على الاذن، فهي تصك السمع وتشد اللسان، فـ(الصاد

[١٠٢٩] ينظر: المدخل الى علم اللغة ومنهاج البحث اللغوي:٥١

[١٠٣٠] البقرة: ١٩٦.

[١٠٣١] ينظر: في تفسير آيات الأحكام، الايرواني:١/ ٢٠٣.

والحاء) صوتان احتكاكيان، والراء من الأصوات المائعة، وكــأن الأصــوات هنــا تناسب حالة الحاج وهو يتوق إلى إكمال حجه ولكنه لا يقدر على ذلك.

فــ(الصاد) الصارخة مع (الراء) التكراري، قد ولد جرسا موســيقيا، يــضفي صورة سمعية بالضيق ويومئ بالشدة، فبلغ مبلغا من قوة الحرج، فضلا عن ايحائها بتنوع المانع.

وأخيرا إذا دقق الباحث في هذه النماذج المحللة، يجد أن لكل لفظــة مرتكــزا صوتيا، عبارة عن بؤرة نغمية تمنح اللفظة قيمتها الجرسية.

المبحث الثاني

تنوع أساليب الإيقاع

إن عنصر الإيقاع، من ابرز مقومات التعبير الفني، بعد الصورة كما يعد عنصرا مائزا لتحديد الأجناس الأدبية، ويرتبط الإيقاع بالفن القولي ارتباطا وثيقا. وبدونه يخرجه من حيز الاثارة إلى حيز النمطية، فهو القدحة الأولى المعلنة عن بدأ فاعلية الأداء الفني الشعري أو النثري.

وهي باختصار عملية ((انتظام في تناسب أصوات الكلمات وتوافق احرفها توافقا زمانيا))[١٠٣٢] في داخل السياق ((على مسافات متقايسة بالتساوي لأحداث الانسجام))[١٠٣٣]. دون معزل عن سياق النص الفني.

أن مفاد هذه العملية، هو خلق نظام (نص فني)، وهذا الاخير قائم على استجابة للانتظام الحاصل في داخل المنشأ، غايته التعبير عن كل الخواطر والأفكار وموجات العاطفة المندفعة إزاء التجربة الفنية، فتحدث بالمقابل انتظاما انفعاليا في نفس المتلقي حيث تتبلور أهمية الإيقاع في حدود إظهار فاعليتها.

ويشكل الإيقاع فاعلية مهمة للنص، بما له من قدرة على اثارة التخيل اللازم لفهم الصور والأفكار، وتعميق دلالة المعنى المتجسد بالألفاظ (صور صوتية) أما الأثر الأخير، الذي يحدثه الإيقاع هو تأثيره المباشر في المتلقي، لما له من إمكانية في الإمتاع والإطراب، وتحريك النفوس، محدثا الاستجابة المناسبة المقصودة.

ويمكننا أن نحدد أنماط الإيقاع البارزة في آيات الأحكام بـ:

- ❖ الأول: التكرار.
- ❖ الثاني: الجناس.
- ❖ الثالث: الفاصلة القرآنية.

(١٠٣٢) مفهوم الشعر: ٣٦٧.
(١٠٣٣) مفهوم الإيقاع: ٨٣.

التكرار:

يُعد التكرار ظاهرة بديعية أدرج تحت أسمه، أحد عشر نوعا كالجناس، ورد العجز على الصدر والتوشيح وغيره[١٠٣٤].

إلا أن التكرار في الأعم الأغلب، تكرار الألفاظ، وهي أن يؤتى بـ((معانٍ متقاربات في ألفاظ متناسبات))[١٠٣٥]، أو أن تكرر الكلمة أو الكلمتين بلفظها ومعناها[١٠٣٦]. فهذا النمط من ضمن أساليب التعبير المختصة بالألفاظ أو ما يسمى بالمحسنات اللفظية.

إذ يجسد التكرار ظاهرة فنية، فهو من مكونات الإيقاع الجمالية، ومن أساليب التعبير المهمة التي تشكل القانون الأساس لظواهر الإيقاع في الكلام النفي، فضلا عن قيمته التنغيمية فهو ذو دلالة تعبيرية[١٠٣٧]. تتمخض عنه دلالات، كالتوكيد أو الترغيب، أو التقريع، أو التوبيخ، وغير ذلك من الأغراض، ((ومتى كانت هناك معانٍ آخر لا يستفاد إلا من التكرار، حسن التكرار ودخل في البلاغة ولم يكن مذموما))[١٠٣٨].

وفي القرآن الكريم أنماط منه، وهي ضرورة اقتضتها الحاجة التوصيلية أو التعبيرية.ونجد ذلك في آيات الأحكام على ثلاث أنماط:

الأول: تكرار الحروف.

إن المتتبع للنصوص الكريمة، يكشف عن تماثلات حرفية اقتضتها طبيعة الصياغة واختيار اللفظ.وشيوع هذه الظاهرة، قد يدل على الغاية الجمالية، بالنص المنشأ بتنغيم النص. أو يكون لهذه التكرارات دلالات معينة، تقوي المعنى المقصود.

فاشتراك الكلمات، في حرف واحد من أول الكلمة أو أوسطها أو آخرها قد يكون له قيمة تنغيمية، تزيد من ربط الاداء بالمضمون الدلالي.

[١٠٣٤] البيان والبديع: ١٤٥.
[١٠٣٥] البديع في نقد الشعر: ١٩٢.
[١٠٣٦] شرح الكافية البديعية: ١٣٤.
[١٠٣٧] البيان والبديع: ١٤٤ـ١٤٥.
[١٠٣٨] الروض المريع في صناعة البديع: ١٥٧.

كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[١٠٣٩]. فقد أشاع صوت (الذال) نغما يتناسب مع الجو الذي يرسمه النص الكريم وهو تنبيه الذهن لما يريده.

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[١٠٤٠].

إنّ تكرار حرف الكاف، في نص الآية المباركة ذو دلالة، فالكاف صوت شديد موحي بالقوة. وهو في الوقت نفسه هناك ضغط على العضو الناطق به، مما يكسبه صلادة، فجاء الصوت المكرر منسجما مع المعنى الذي يريد التعبير عنه وهو التشديد في ذكر الله تعالى.

ومما يدعم ذلك التناسب بين الصوت المكرر والمعنى. هو دلالة كلمة (أشد).

أما في قوله تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾[١٠٤١].

في الآية الكريمة، انسجاما بين الصوت المتكرر (القاف) وبين المعنى المقصود. فالقاف، وهو حرف خشن صلد[١٠٤٢]، ينسجم مع معنى القوة، لما له من جرس متين. فهو ما أن يدخل بناءً إلا حسنه[١٠٤٣]، فقد ساعد على تقوية المعنى وإشاعة النغم الملائم في النص، فضلا عن إرداف النص بإيقاع ثانٍ متأتٍ من تكرار الكلمات (أخرجوهم، أخرجوكم).

[١٠٣٩] هود: ١١٥.
[١٠٤٠] البقرة: ٢٠٠.
[١٠٤١] البقرة: ١٩١.
[١٠٤٢] ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومنهاج البحث اللغوي:٦١.
[١٠٤٣] ينظر: أصول البلاغة: ٤٠.

وفي قوله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[١٠٤٤].

سيطر حرف (الميم) على نص الآية، وهو من حروف الذلاقة[١٠٤٥]، التي تسهل على اللسان عند النطق بها، ولذلك كثرت في أبنية الكلام.

والملاحظ أن النص، حشد تلك الميمات لتقوية النغم وبث الصوت الملائم،الذي يشد أذن السامع لذلك التكثيف الايقاعي ،وهدفه تثبيت المعنى وتأكيده.

أما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[١٠٤٦]. إن تكرار (الفاء) في الآية الكريمة فيه ترتيب وتعقيب يصك الأذن في دلالة وقوع الأمر وتدرجه وحسمه، ثم يأتي توالي العطف بالفاء، دالا على سرعة القتال وعدم التراخي فيه وصولا إلى النصر الموعود، فليس هناك فسحة للهدوء في الحرب. وإنما تتلاحق الاحداث بهذه السرعة التي جسدها تكرار صوت الفاء، بما فيه من دلالات، كسرعة انتصار المسلمين وعدم تراجعهم حتى تتسارع احداث القتال، فتختفي الحدود الزمنية فينفذ الأمر بشد الوثاق، ويبلغ الترتيب ذروته في تعاقب الأحداث، ليصل إلى حسم الأمر بـ(مناً، فداءً) أي إما بدون مقابل أو اطلاق بفدية،فكان للفاء وقعا موسيقيا على النفس والسمع، فتوالي الفاء قد زاد الجرس السمعي وشد انتباه المتلقي.

الثاني: التكرار اللفظي:

وهو أمر يتعلق بتكرار كلمة بعينها، أسما أو فعلا لغرض ما وهو من الصعب تحديده إلا بعد تأمل النص.

وأن كان الأمر يتعلق بدلالات الألفاظ المرادة في النص لا بالأصوات، إذ ((إن

[١٠٤٤] القلم: ١١.
[١٠٤٥] ينظر: الأصوات اللغوية: ٩١.
[١٠٤٦] محمد: ٤.

اللفظ المكرر ينبغي أن يكون وثيق الارتباط بالمعنى العام والا كان لفظة متكلفة لا سبيل إلى قبولها))(١٠٤٧).

وقد يلمس القيمة النغمية أو الموسيقية، لهذه التكرارات جراء تكرار أصوات باعيانها. ((ومن شأن التكرار الصوتي أن يولد نغما ما، لأن من أسباب النغم التكرار، غير أن النغم محتاج إلى أن يكون التكرار فيه خاضعا لنظام ما اولها أن يكون متقاربا، فاذا ابتعد ضعفت قيمته الإيقاعية. واذن فموقع الكلمتين في النص يساهم إلى حد ما في رفع درجة الإيقاع والاحساس به))(١٠٤٨).

نحو قوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(١٠٤٩).

يُرى في هذا النص المبارك، شيوع تكرار الكلمة الواحدة، في

(اعتدى، فاعتدوا، اعتدى)

و(عليكم، عليه، عليكم).

تكررت البنى الصوتية في المقطع الأول المتآلف إيقاعيا، والمتناسب مع المقطع الآخر المتآلف إيقاعيا أيضا، من حيث الأفراد والجمع.فالتكرار هنا يهدف إلى لفت النظر إلى الكلمة المكررة، وكذلك إلى غيرها حيث لم تكرر.

فقيمة التكرار الصوتية ستدفع المتلقي إلى الانتباه إلى هذه اللفظة بعد أن تكررت، ومن هنا يؤدي التكرار مهمة ايقاعية من جهة ودلالية من جهة أخرى فقد لجأ النص، إلى هذا الترتيب الايقاعي المحكم والبناء الهندسي الرصين لتهيئة جو موسيقي، يحاكي نفوس المسلمين ويقوي عزيمتهم من خلال توالي أصداء الأصوات.

وقد يأتي بالتكرار، تخفيفا على النفس من الاسترجاع إلى ما مضى فيبني على

(١٠٤٧) قضايا الشعر المعاصر: ٢٣١.
(١٠٤٨) البيان والبديع: ١٦٥.
(١٠٤٩) البقرة: ١٩٤.

الثاني دون الأول[١٠٥٠]، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ﴾[١٠٥١].

فقد تكررت في الآية الكريمة (الخمر، الخمر) و(الميسر، الميسر) و(الشيطان، الشيطان) ويلحظ في التكرار الثاني استقلال، حدث في القطع عن الأول وهذا لا يحدث حين الارتباط به[١٠٥٢]، فالتكرار هنا يكون مدعاة لشدّ أذهان المتلقين إلى هذه الألفاظ، التي تريد الآية الكريمة الابتعاد عنها لحرمتها فاستثمر التكرار للفت الانتباه إلى مضمون الآية المباركة (الحكم الشرعي).

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾[١٠٥٣].

تتضح في النص الكريم القيمة النغمية إلى جوار قيمتها الدلالية، إذ يهدف هذا التكرار إلى تقوية المعنى الصوتي، فضلا عن انه لا يخلو من عنصر الترنيم، وقد استخدم النص هذا، لإشاعة لون عاطفي يقوي الصورة التي عليها بنية الآية.

فكان وسيلة من وسائل إبعاد المسيء عن السيئة بعد أن أدرك انه يجازى بها بمثلها، وكان التكرار معينا للمتلقي في معرفة المراد من الآية الكريمة.

الثالث: تكرار الجمل:

يشكل تكرار الجمل والعبارات، في آيات الأحكام ظاهرة تكرارية، لا بدّ من الوقوف عندها، والإشارة إليها، فقد اعتمدت بعض نصوص الأحكام عليها، وذلك لتنوع مصادر الإيقاع فيها، فضلا عن تقرير أو توكيد المعنى.

[١٠٥٠] ينظر: الروض المريع في صناعة البديع: ١٦٠.
[١٠٥١] المائدة: ٩٠-٩١.
[١٠٥٢] ينظر: الروض المريع في صناعة البديع: ١٥٨.
[١٠٥٣] الشورى: ٣٩.

وذلك، نحو قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ * وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾(١٠٥٤).

كررت جملة (مما ذكر اسم الله عليه)، لغرض توكيد الحكم، ومن جانب آخر، أحدث هذا التكرار تجاوبا موسيقيا، صادر من تماثل الكلمات تماثلا كاملا تطرب له الاذن. فالاصل في الحكم هو ذكر اسم الله تعالى على المأكول، فما ذكر عليه يؤكل وما لم يذكر لا يؤكل، ولذلك أعطى التكرار لهذا المقطع من الآية قيمة ايقاعية ودلالية في الوقت نفسه(١٠٥٥).

وقد يأتي تكرار الجمل لإفادة تقرير الحكم، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(١٠٥٦).

تكررت جملة (تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ) ثلاثة مرات، في ثلاثة حالات للمؤمن المقتول الخطأ ففي الحالة الأولى: أن يكون اهله مؤمنين أيضا، أما الحالة الثانية أن يكون أهله من غير المؤمنين مع عدم عقد ميثاق معهم، والحالة الثالثة، هو أن يكون أهله

(١٠٥٤) الانعام: ١١٨-١١٩.
(١٠٥٥) يتبادر للذهن أن القرآن الكريم غالبا ما يرتل، والترتيل بصوت عال، يضاعف قيمة التكرار الصوتية، اثناء قراءة الآية، ومن ثم يكون وضوحها الإيقاعي متوافقا مع وضوح حكم الآية الكريمة.
(١٠٥٦) النساء: ٩٢.

من غير المؤمنين مع عقد ميثاق معهم[١٠٥٧].

إلا اننا نجد أن التكرار في (تحرير رقبة مؤمنة) في قتل المؤمن الخطأ، أيا كانت الحالة ثم يأتي التبيان بين الحالات من خلال (الدية، والفدية، والصيام).

وقد عمد النص إلى التكرار، لتقرير الحكم من جهة، وتأكيده على السامع بوقع تكرار البنية الصوتية، من جهة أخرى.

الجناس:

إن الجناس من المحسنات اللفظية البديعية، التي تقوم على ألفاظ متشابهة في حروفها، مختلفة في معانيها[١٠٥٨].فهو ((إتيان بمتماثلين في الحروف، أو بعضها، أو في الصورة أو زيادة في أحدهما، أو بمتخالفين في الترتيب أو الحركات، أو بمماثل يرادف معناه مماثلا آخر نظما))[١٠٥٩].

إن هذا اللون من فن البديع، له أثره البليغ، في اجتذاب السمع وأحداث ميلا في النفس والشعور إلى الإصغاء والتلذذ بنغمته العذبة، ذلك أن لوقع عبارته على الاذن وقعا سهلا مستساغا فتجد من النفس قبولا ومن الذوق استحسانا شأنه شأن المحسنات اللفظية، ذات الجمال الموسيقي المطرب[١٠٦٠].

إلا أن هذا الحسن مرهون بالطبع وعدم الصنعة والتكلف[١٠٦١]، وفضيلته تكمن في تآزره مع المعنى، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه استحسان[١٠٦٢].

وقد ورد الجناس كثيرا في النظم القرآني الكريم، نلحظ شيوع هذه الظاهرة في آيات الأحكام.

[١٠٥٧] ينظر: تفسير آيات الأحكام، الايرواني: ٥٢٨/١.

[١٠٥٨] اختلفت تعريفات العلماء له، فالرماني، يقول: ((هو بيان المعاني بأنواع من الكلام يجمعها أصل واحد في اللغة)). النكت في إعجاز القرآن: ٩٩.

أما قدامة فيقول: ((هو اشتراك المعاني في ألفاظ متجانسة على جهة اشتقاق)). نقد الشعر: ١٦٣؛ وابن المعتز، يعرفه: ((هو أن تجيء بكلمة تجانس أختها)). البديع: ٥٥ ومفهوم الجناس عند ابن المعتز، مقصود على تشابه الكلمات في تأليف حروفها دون تشابه المعنى. ينظر: علم البديع، د. عبد العزيز عتيق: ١٣٧.

[١٠٥٩] جنان الجناس (في علم البديع): ٤٢؛ ينظر: علم البديع، د. عبد العزيز عتيق: ١٣٨.

[١٠٦٠] ينظر: البديع في ضوء أساليب القرآن: ١٥٥.

[١٠٦١] ينظر: علم البديع، د. بسيوني عبد الفتاح: ٢٤٧.

[١٠٦٢] ينظر: اسرار البلاغة: ٧-١٠-٢٠.

فالجناس يحقق للنص، قيمة صوتية مضافة، لأنه إلحاح على الجانب الموسيقي فضلا عما يؤديه ذلك من التأكيد على الدلالة اللفظية.

ويلمح الباحث في النصوص الكريمة، ضروبا من الجناس الذي شكل الإيقاع الداخلي لها.وذلك نحو قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنْ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾[١٠٦٣].

إن الجناس في الآية الكريمة، هو جناس تام[١٠٦٤]، وقد وقع بين (هدى، الهدى) وهما اسمان، و(لا يعتمد بأل التعريف)[١٠٦٥].

فجاء اللفظ الأول (هدىً) وصف للقرآن الكريم من لدن الله تعالى، بقوله (هدىً للناس)، أي هاديا للناس، ودالا على ما كُلّفوه من العلوم، أما الثانية (الهدى) أي دلالات من الهدى وقيل المراد بالأول الهدى من الضلال، والثاني بيان الحلال والحرام[١٠٦٦].

وهذا النوع من أكمل أصناف التجنيس وأرفعها رتبة وأولها في التركيب[١٠٦٧]، كما أن هذا الضرب يقوي الموسيقى أكثر من الجناس الناقص[١٠٦٨]، ذلك أن التجاوب الموسيقي الصادر عن تماثل الكلمات، تماثلا كاملا، يضرب السمع ويهز النفس، فتتعاطف مع أصداء هذه البنى الصوتية[١٠٦٩].

وفي قوله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾[١٠٧٠].

ففي الآية الكريمة جناس وقع بين لفظتين (حرم، حرما) بزيادة الالف في

(١٠٦٣) البقرة: ١٨٣ـ١٨٥.
(١٠٦٤) الجناس التام: هو ما اتفقت فيه الكلمتان المتجانستان في نوع الاحرف وعددها وهيأتها وترتيبها وكانتا من نوع واحد من أنواع الكلمة اسمين أو فعلين أو حرفين). علم البديع، د. بسيوني عبد الفتاح: ٢٣٥.
(١٠٦٥) البيان والبديع: ١٧٠.
(١٠٦٦) مجمع البيان: ٢٧٦/٢.
(١٠٦٧) فن البديع: ١٠٩.
(١٠٦٨) البيان والبديع: ١٦٩.
(١٠٦٩) وقد قيل ليس في القرآن الكريم من صنف الجناس التام، غير قوله تعالى: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ المُجْرِمُونَ مَا لبثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ). الروم: ٥٥؛ ينظر: شرح الكافية البديعية: ٦٤.
(١٠٧٠) المائدة: ٩٦.

الثانية، أي انه جناس ناقص[١٠٧١]، إلا أن التجانس بينهما كبيـــر جـــدا، وإيقاعهمـــا واضح ومتماثل مما اسبغ على النص عنصرا موسيقيا جميلا، آلف بين اللفظتين مع اختلاف دلالتهما، فالأولى دلت على النهي، والثانية دلت على حالة الاحرام. وهنـــا استطاع الجناس أن يوثق الصلة الدلالية التي هي مدار الحكم أي يحرم وينهى عـــن الصيد حال الحج والاحرام، من خلال التوافق الإيقاعي ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[١٠٧٢].

تحقق في النص الكريم جناس ناقص في (فظا، انفضوا)، وهما متباينا الدلالـــة إلا أن هذا الفن البديعي، استطاع أن يزين النص نغميا، لما أعطته هذه الألفاظ مـــن سهولة في النطق ويسر في السمع.

وجديرا بالذكر، ما نلمحه من جمال الأداء الصوتي في وضع صوت (الظـــاء والضاد) في سياق واحد، وهما من الأصوات التي يلتبس أحدهما بالآخر عند النطق، بيد أن العرب بفطرتهم وذائقتهم، ميزوا بين الصوتين. فاستثمر النص هذا المائز في إبراز احدهما صوت الآخر، وذلك عبر تفخيم الضاد وترقيق الضاء.

وعلى وفق ذلك، ما نلحظه، في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[١٠٧٣].

في النص الكريم أكثر من جناس ناقص، وهو (شهد، شهر) و(اليسر، العسر). وهو من نوع المضارع، أي أن يختلفا في أنواع الحروف[١٠٧٤]. بحرف أو حـــرفين وهو يكون أما في آخر الكلمة كما في (شهد، شهر) أو في بداية الكلمـــة كمـــا فـــي

[١٠٧١] الجناس الناقص أو الجناس غير التام، هو ما اختلف فيه اللفظان في واحد في الامور الاربعة، وهي أنواع الحروف، وأعدادها،وهيئتها الحاصلة من الحركات والسكنات وترتيبها.علم البديع،د.عبد العزيز عتيق: ١٤٤.
[١٠٧٢] آل عمران: ١٥٩.
[١٠٧٣] البقرة: ١٨٣-١٨٥.
[١٠٧٤] ينظر: أصول البلاغة: ٤٦.

(اليسر، العسر)، وقد يكون في وسط الكلمة، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾(١٠٧٥).

وذلك في (تعدلوا، تعولوا).

ويلاحظ في تلك الامثلة، أن الجناس استطاع أن يشد المتلقي بما وفره من زخم إيقاعي، إلى مداليل الآية، أي الحكم الشرعي الذي تتضمنه، وهنا يؤدي الجناس مهمته بهذه الصورة.

وفي قوله تعالى: ﴿... وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾(١٠٧٦).

فالجناس الناقص في (تظلمون، تـُظلمون) وهو ناقص باختلاف الكلمتين في هيأة الحركة.

فقد استثمر النص الجناس الواقع في تباين هيأة الحركة، ليضفي على النص نخبة إيقاعية تميز مقصد النص (الحكم الشرعي) الذي لا يرضى بالظلم والمظلومية وهو غايته وهدفه.

أما في قوله تعالى: ﴿... فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾(١٠٧٧).

وفي هذا النص الكريم جناس المصحف، وهو أن تتشابه الكلمتان في الخط دون اللفظ(١٠٧٨)، في (وجبت، جنوبها).

(١٠٧٥) النساء: ٣.
(١٠٧٦) البقرة: ٢٧٨-٢٧٩.
(١٠٧٧) الحج:٣٦.
(١٠٧٨) ينظر: أصول البلاغة: ٤٧.

وأما جناس الاشتقاق، فهو أن يؤتى بألفاظ يجمعها أصل واحد في اللغة[١٠٧٩].

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾[١٠٨٠] في (أقم، القيّم).

وقوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾[١٠٨١] في (الربا، يربي).

ومهما يكن من أمر، حضور أنواع الجناس الناقص، في آية الحكم الشرعي، يبقى الهدف الأساس لفن الجناس ووظيفته، هو ذلك الزخم الإيقاعي، الذي يثيره في ثنايا النص كاشفا عن الأبعاد الدلالية لمراد الحكم، وجلب الإصغاء إليه، فضلا عما يؤطره بعنصرٍ فني، يسبغ عليه متعة الاستماع، والتذوق الجمالي. ومحصلة ما بحثناه في الجناس هو ندرة الجناس الحقيقي أو التام، وشيوع الجناس الجزئي أو الناقص، في النص التشريعي.

إلا أن أهم ما يميز هذه الظاهرة، أحداث الانسجام في الإيقاع والتنغيم في داخل النص، ومن ثم مساهمته في الايحاء بدلالات، تساعد على تحريك مخيلة المتلقي حسيا.

فقد استثمر النص الجناس، في تأكيد المعنى لفظيا، ذلك أن هذا الفن تكمن أهميته في (كونه يقرب مدلول اللفظ)[١٠٨٢]، فهو ((ضرب من ضروب التكرار المؤكد للنغم))[١٠٨٣].

حيث استطاع أن يخلق جوا موسيقيا داخل النص، من خلال تناسب الألفاظ وتواشج أنغامها، مما أمال إليه الإصغاء، لأن اللفظ إذا حمل على المعنى ثم جاء والمراد به معنى آخر، كان للنفس تشوق إليه[١٠٨٤]، فضلا عن المفاجأة والدهشة وخداع الأفكار واختلاب الأذهان[١٠٨٥].

الفاصلة القرآنية:

[١٠٧٩] ينظر: م.ن: ٤٨.
[١٠٨٠] الروم: ٤٣.
[١٠٨١] البقرة: ٢٧٦.
[١٠٨٢] ينظر: المرشد إلى فهم اشعار العرب: ٢/٢٣٤.
[١٠٨٣] جرس الألفاظ: ٢٨٤.
[١٠٨٤] ينظر: فن البديع: ١٠٩.
[١٠٨٥] ينظر: الخطابة: ٧٦-٧٩، وقد وافق عبد القاهر الجرجاني، ارسطو فيما يحدثه فن الجناس، ينظر: اسرار البلاغة: ١٧.

آثر النص القرآني الكريم العناية بالفواصل، بشكل كبير وواضح، وذلك لأهمية هذا الجزء الايقاعي. لما له من تأثير قوي على الاسماع، ووقع جميل على الانفس فضلا عن مراعاة ما يقتضيه المقام من تعبير ومعنى. وليس لأحداث الانسجام الموسيقي فقط[١٠٨٦].

وقد عرف القدماء الفاصلة. بأنها ((حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن افهام المعاني والفواصل بلاغة والاسجاع عيب))[١٠٨٧].وقد وافق هذا الحد الباقلاني صاحب اعجاز القرآن[١٠٨٨]، وحده الزركشي بـ(كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع))[١٠٨٩].

وكثيرا ما تردد في باب السجع عن الفقرة والقرينة والفاصلة، والمراد بكل منها أن الفاصلة هي الكلمة الاخيرة من الفقرة والقرينة، ونعني بها الجملة التي تنتهي بالفاصلة[١٠٩٠]، أما السجع، هو الكلام المقفى، ومأخوذ من سجع الحمام[١٠٩١]، وفيه أنواع.

اذن الفاصلة القرآنية، هي الكلمة الاخيرة في الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع في النثر.ولم يسمى السجع في القرآن الكريم، تنزيها له عن التكلف وهو لا شك في جماله وبلاغته وقوة تأثيره.

وإن مدعاة ذلك، رغبتهم في تنزيه القرآن المجيد عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيره، أو تشريفا له، عن استعارة لفظ هو أصل في صوت الطائر[١٠٩٢].

(١٠٨٦) ينظر: التعبير القرآني: ٢١٧.
(١٠٨٧) الاتقان: ٩٧/٢، وسر الفصاحة: ١٦٥.
(١٠٨٨) الفواصل حروف متشكلة في المقاطع، يقع بها افهام المعاني: اعجاز القرآن، الباقلاني(ت٤٠٣): ٨٨. وذهب إلى أن السجع يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي إلى السجع، وليس كذلك ما اتفق مما هو في تقدير السجع في القرآن، لأن اللفظ يقع فيه تابعا للمعنى)). م.ن: ٨٨.
(١٠٨٩) البرهان في علوم القرآن، الزركشي:١٧٧.
(١٠٩٠) ينظر: علم البديع، د. بسيوني عبد الفتاح: ٢٥١.
(١٠٩١) اعجاز القرآن: ٨٧.
(١٠٩٢) الصوت اللغوي في فواصل الآيات القرآنية: ٢٢، بحث في مجلة الدراسات الإسلامية: ١٤، ٢٠٠٥.

وقد يعود تسميتها بالفواصل إلى قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾[١٠٩٣] إلا أن العلماء فرقوا بين الفاصلة والسجع، فالسجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحيل المعنى عليه، والفواصل هي التي تتبع المعاني، ولا تكون مقصودة في نفسها[١٠٩٤].

ودافع القرطاجني عن السجع بقوله: ((وكيف يعاب السجع على الاطلاق، وانما نزل القرآن على اساليب الفصيح من كلام العرب، فوردت الفواصل فيه بإزاء ورود الاسجاع في كلام العرب، وانما لم يجيء على اسلوب واحد، لأنه لا يحسن في الكلام جميعا أن يكون مستمرا على نمط لما فيه من التكلف، ولما في الطبع من الملل عليه، ولأن الافتنان في ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد، فلهذا وردت بعض آي القرآن مماثلة المقاطع وبعضها غير متماثل))[١٠٩٥]. والحقيقة أن الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفواصل[١٠٩٦].

ومن مزايا الإيقاع في النص، شدة ارتباط الفاصلة بما قبلها من الكلام بحيث تتحدر على الأسماع انحدارا، وكأن ما سبقها لم يكن إلا تمهيدا لها، ولو حذفت لاختل معنى الكلام، ولو سكت عنها لاستطاع السامع أن يختمه بها انسياقا مع الطبع والذوق السليم.

إن ايقاع المناسبة في مقاطع الفواصل وتناسقها له أثره في اعتدال نسق الكلام، وحسن موقعه من الذوق وله في النفس تاثير بليغ.

وتقع الفاصلة عند الاستراحة بالخطاب، فتفصل الكلام بينها وبين ما بعدها لتحسين الكلام بها، وهو من المزايا الذي يباين القرآن بها سائر فنون القول[١٠٩٧].

اذن للفاصلة القرآنية مهمة تباين السجع، فمهمة السجع لفظية، تأتي لتناسق أواخر الكلمات من الفقرات وتلاؤمها، فيكون الإتيان به. أنى اتفق لسد الفراغ

[١٠٩٣] فصلت: ٢.
[١٠٩٤] سر الفصاحة: ١٦٥.
[١٠٩٥] منهاج البلغاء:١٤٥.
[١٠٩٦] الفاصلة طبيعتها الإيقاعية وأنواعها ووظائفها، د. زهير غازي زاهد، بحث غير منشور.
[١٠٩٧] الصوت اللغوي في فواصل الآيات القرآنية: ٢١ ـ بحث ـ.

اللفظي، أما مهمة الفاصلة، هي لفظية ومعنوية، في آن معا، فهي مهمة فنية خالصة ليس فيها رجحان[١٠٩٨].

وبقي أن نقف عند الطبيعة الإيقاعية للفاصلة في العروض العربي، وهي على نوعين، الأول، فاصلة صغرى، وهي ما تكونت من ثلاث حركات بعدها سكون ــ عَلَموْا ــ عَمِلَتْ. أما الثاني، فاصلة كبرى، وهي ما تكونت من أربعة حركات بعدها سكون ــ عَمَلَكَمْ[١٠٩٩].

أما الفاصلة القرآنية في آيات الأحكام شأنها شأن بقية آي القرآن الكريم إلا أن الملاحظ في آيات الأحكام أن اعمها هي ضمن سور مدنية، والغالب عليها الاسترسال والهدوء، وطول النفس، لأنها تخاطب عقول قوم آمنوا بها واطمأنوا إلى هدايتها، فهي مسوقة لتقرير العبادات والمعاملات وبيان الأحكام، وسن القوانين وتنظيم حياة الفرد والمجتمع، وتهذيب الطبائع والاخلاق، ومن ثم ان إيقاعها يتناسب مع موضوعها، خلافا للسور المكية التي يغلب عليها الإيقاع السريع والهادر.

وتتضح وظيفة الفاصلة ومهمتها، في كونها، أولا: ذات وظيفة ايقاعية فهي بمثابة القفل الايقاعي للآية، ولذلك فهي موضع الوقف الذي يستريح به القارئ، اشبهت قوافي الشعر، غير انها اختلفت عن القافية، فهي خواتيم الإيقاع المتوازن في الآيات. وقد يتكرر الحرف الواحد في الفواصل متوازنة في إيقاعها[١١٠٠].

وكان اسلوب النص القرآني، يلائم الإيقاع في مقاطع الآية بطريق مختلفة كالتقديم والتأخير، في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[١١٠١].

فقدم الضمير المنفصل، لموازنة الفاصلة (نستعين).

أو قد يقدم ما هو متأخر في الزمان، أو يناوب بالأزمنة مراعاة للإيقاع. نحو

(١٠٩٨) الصوت اللغوي في فواصل الآيات القرآنية: ٢٣.
(١٠٩٩) الفاصلة طبيعتها الإيقاعية وأنواعها ووظائفها، د. زهير زاهد، بحث غير منشور: ٧.
(١١٠٠) م.ن: ٨.
(١١٠١) الفاتحة: ٤.

قولـــــه تعـــــالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾(1102). الفاصلة (الأبكار).

وفي قولـــه تعـــالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾(1103). الفاصلة (عشيا).

أخر (الابكار) في الآية الأولى، للتتوازن مع فاصلة الآية التي بعدها (الــسميع البصير). أما في الآية الثانية، أخرت (عشيا) وقدمت (الابكار)، لتتلاءم مــع الآيــة التي بعدها وقبلها (سويا) و(صبيا). وإن كانت السورة مبنيــة علــى فاصــلة ألــف الإطلاق.

ثانيا: ومن وظائف الفاصلة مناسبة المعنى في الآية، أي مضافا إلــى مهمتــه الإيقاعية، مهمة مناسبة دلالة الآية، إذ بها يتم معناها فـــ((الفواصل المتمكنة هي التي يتقدم لفظها أو يتخلل لفظها ومعناها في الآية. ثم تأتي الفاصلة تختم بها الآية بحيث لو لم تقرأ الفاصلة أو، لو سقطت لأختل المعنى واضطرب الفهم، وهو مــا يــسميه أهل البديع التمكين))(1104).

كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(1105).

(1102) غافر: 55، ينظر: ما بعدها.
(1103) مريم: 11؛ ينظر: ما قبلها وما بعدها.
(1104) الفاصلة طبيعتها الإيقاعية وأنواعها ووظائفها، د. زهير زاهد: 9
(1105) المائدة: 33-34.

الفاصلة في الآية الأولى (عظيم) وفي الآية الثانية (رحيم).وقد يلحظ جمال مناسبة الإيقاع في الفاصلتين. لدلالة كل من الآيتين، فالأولى جاءت متلائمة مع هول وشدة العذاب في الدنيا والآخرة، أما الثانية جاءت متلائمة مع التوبة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١١٠٦].

الفاصلة في الآيتين هما (حكيم، رحيم)، وجاءت كلا منهما متلائمة في موضعها، فلما كانت الآية الأولى موضع جزاء، فكان القطع بقوة الله العزيز، وبحكمته في تشريع الحكم، أما الثانية، فكان التواؤم بين التوبة الممنوحة من الله هي انسب لرحمته.

وفي الآية الكريمة، ثمة توازن مستقيم إيقاعيا بين (عزيز حكيم) و(غفور رحيم)، مما أثرى النص موسيقيا.

ثالثا: وقد تأتي الفاصلة بمعنى يضاف إلى معنى الآية بعد تمام معناها. أي أن هذه الوظيفة تتلازم مع الوظيفة الإيقاعية للفاصلة.

نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[١١٠٧].

وقعت الفاصلة في (الإدبار، المصير)، ومدار الأمر في الفاصلة الأخيرة.

فقد أمر الله تعالى في أول الآية بمقاتلة الكفار وعدم الفرار في الزحف، وفي

(١١٠٦) المائدة: ٣٨-٣٩.
(١١٠٧) الانفال: ١٥-١٦.

الثانية جاء الاستثناء ثم أن من يفر، يجزي بجهنم، وختم بـ(بئس المصير). أي أن الفاصلة ختمت معنى الآية بجزئية الأمر والاستثناء والفرار.

فالفاصلة جاءت في جزء الآية الأخير بعد أن تم معناها ووضح بقوله تعالى:﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ﴾، ثم ختم ما يزيد المعنى معنى اضافيا، وهو لارادة الترهيب والتخويف.

أما الظواهر الصوتية لفواصل آيات الأحكام، نلحظها متمثلة في،

أولا: بزيادة حرف ما في الفاصلة، مما يمنح النص عناية صوتية، وبعدا إيقاعيا، ليؤثر في النفس اتجاه الحكم الشرعي الذي يتضمنه، والاحساس به.وذلك في ألف الاطلاق كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾[١١٠٨]. وقوله تعالى: ﴿كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾[١١٠٩].

إن إلحاق هذه الألف في (سبيل، رحيم) شكل ظاهرة صوتية جميلة، أعطت نسقا إيقاعيا متجانسا، مع المعطى الدلالي للفاصلة.

ثانيا: ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المد واللين والإلحاق النون بها، وغايته وجود التمكن من التطريب[١١١٠].فقد ورد النون بعد حروف المد في آيات الأحكام، مما اكسب النص صوتا جليا إذ أن مد الصوت، يحقق ترنيم عند النطق به.

كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا إِذًا لَمِنَ الآثِمِينَ﴾[١١١١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[١١١٢].

وردت الياء مقترنة بالنون في (الآثمين، الظالمين).

(١١٠٨) النساء: ١٥.
(١١٠٩) النساء: ١٦.
(١١١٠) البرهان في علوم القرآن، الزركشي:١٤٥.
(١١١١) المائدة: ١٠٦.
(١١١٢) المائدة: ١٠٧.

وقد ترد الواو مقترنة بالنون، في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1113].

وقوله تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1114].

وهذا الملحظ الإيقاعي شائع في فواصل آيات القرآن. وهو من الأهمية ما يكسب النص نغما صوتيا يملك النفس ويأخذ بالإحساس، إزاء ذلك النسق الصوتي ومن ثم ينصب اثر ذلك على ما تتضمنه الآية من حكم شرعي.

وقد ترد الفاصلة القرآنية في سياقات عدة، وهذا ما نرصده في الآتي، أولا: ورود الفاصلة، مختلفة في الحروف والزنة، كما في قوله تعالى؟ ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[1115]. ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾[1116]. ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[1117].

جمعت الآية بين (عميق، عتيق) على حرف القاف، و(الفقير) على حرف الراء، وهذا مطرد في الآية، وهو أمر شائع في القرآن.

ويبدو أن المسوغ في ذلك، هو اثر المعطي الدلالي في تحديد الفاصلة، فـ(عميق، عتيق) تناسبا صوتيا ودلاليا،إذ إنهما تشتركان في غاية واحدة هي (الحج).

أما (الفقر) فقد تواءم مع السياق الدلالي للآية.

ثانيا: الوقوف عند حرف معين لا يتغير في الفاصلة، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا *وَعِنَبًا وَقَضْبًا *وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً *وَحَدَائِقَ غُلْبًا *وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾[1118].

وردت الآية الكريمة، في نسق صوتي متجانس، من خلال ما أضفته الفاصلة القرآنية

[1113] السجدة: ١٦.
[1114] السجدة: ١٧.
[1115] الحج ٢٧.
[1116] الحج: ٢٨.
[1117] الحج: ٢٩.
[1118] عبس: ٢٧-٣٢.

من جمال إيقاعي، وحس موسيقي هادر عبر التكثيف الصوتي الذي أحدثه ألف الاطـــلاق في الفقرات والفواصل(حبا،قضبا،نخلا،غلبا،أبا) وهذا جاء منسجما مع (أنبتنا،عنبا، زيتونا).

فقد استطاعت هذه الفاصلة من شدّ الاسماع جراء التكرار الإيقاعي على الاذن، مما أحدث في النفس ترقبا لوقع الصوت.وهذا له متعته النغمية التي مكنت من ترسيخ الصورة الوصفية الهادرة من النعم الإلهية.فكان من جملة ما تؤديه الفاصلة لإيقاع الآية، وأثر ذلك في الحكم الشرعي الذي تتضمنه هو تواشج المعطى الفني والدلالي في حلية الأطعمة.

ثالثا: يرد في سور القرآن، الوقوف عند حرف معين للفاصلة في بعــض الــسور، والانتقال منه للوقوف عند حرف آخر للفاصلة في بعضها الآخر،وأمثلتــه متــوافرة فــي آيات الأحكام. وذلك ما نلحظه في سور النور آية ٢٨ــ٣٤، في قوله تعالى:

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿بما تعملون عليم﴾ .

﴿وما تكتمون﴾ .

﴿يصنعون﴾ .

﴿تفلحون﴾ .

﴿عليم﴾ .

﴿رحيم﴾(١١١٩).

وردت هذه الآيات في سورة النور، وقد بنيت على نسق إيقاعي متجانس حيث تناوبت الفاصلة القرآنية في السورة، بين الوقوف عند حرفي (الواو والنون) و(الياء والميم) فكانت الفاصلة في الآية الأولى من سورة النور، منتهية (بــالواو والنــون)، وكانت الفاصلة في الآية الأخيرة، من سورة النور، منتهية بــ(الياء والميم).

والملاحظة الأولى، إن إيقاع الفاصلة في جميع السورة. هو إيقاع متناســب الأوزان أو متوائم النغم، فصوت المد الذي يحدثه الواو، أحدثه كذلك الياء، والنون والميم كلاهمــا

(١١١٩) النور: ٢٨ـ٣٤.

متوسط مجهور أنفي، إن هذا التلاؤم منح النص إيقاع ثابت ونغمة مستقلة.

ومن جهة أخرى، أن كل فاصلة قد توافقت مع السياق الدلالي للآية، فكانت الفاصلة المنتهي بـــ(الواو والنون)، تخص خطاب الناس أو الحكم الموجه إلـــيهم، أمـــا الفاصـــلة المنتهي بـــ(الياء والميم) فهي تخص صفات الله تعالى وهيمنتهـــا علـــى العبـــاد. ويبقـــى الملحظ الاخير، وهو الدقة المتناهية في استخدام الفاصلة القرآنية، كما فـــي الآيـــة (٣١)، ﴿**إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾ فقد قدم النص (خبير) وأخرها عن ســـواها واذا لاحظنـــا الكتلة السياقية لآيات التشريع انها تؤخر صفات الله، كما في (والله بما تعملون علـــيم) أو كما في (رحيم) و(عليم). ويبدو أن المسوغ لذلك هو مراعاة حروف الفاصلة، لئلا تقـــف عند حرف (الراء) في (خبير). والله اعلم.

ومحصلة لما سبق أن الفاصلة تمثل نخبة صوتية متحدة مع سياق الـــنص الكـــريم، الإيقاعية والدلالية، متواشجة مع عناصر النص لتكون نقطة انتهـــاء التكثيـــف الـــصوتي والدلالي للفقرة أو الآية.وتتحدد أهميتها في تحملها اكبر شحنة من الإيقاع، بحكم وظيفتهـــا الخاصة في التنغيم، فهي تشكل فواصـــل موســـيقية تحمـــل شـــحنة التـــوتر الـــصوتي الأخيرة.

المبحث الثالث

التركيب الإيقاعي العام

تبرز أول معالم الإيقاع في **الوزن أو الموازنة**، متشكلة من اتحـــاد مجموعـــة أصوات متآصرة تنشأ من المقاطع الصوتية للألفاظ بما فيها من حركـــات وســـكنات فهي تشكيلات زمانية للصوت[(١١٢٠)].

فالموازنة، من مظاهر البديع اللفظية، تقع في النثر والـــنظم، فهـــي تـــساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية، أي تعادل فقرات الكلام وجمله من حيث الإيقـــاع والوزن[(١١٢١)].

وقد تعرض البلاغيون لظاهرة التوازن فـــي الإيقـــاع القـــولي، بمـــا أســـموه المحسنات اللفظية، وبحثوه في الكلام المزدوج والمسجوع والمجـــنس، فـــي مجـــال النثر[(١١٢٢)]، وكثيرا ما اقترن الحديث عن التوازن بالسجع والازدواج، والذي يعنـــي به تعادل فقرات الجمل مع بعضها بعضا واستواءها، أما الكلام المسجوع فهو الـــذي تتفق فيه آخر الكلمتين اللتين بهما تكمل القرينتان أي الفقرتان وزنا ولفظا في الحرف الأخير[(١١٢٣)].

كما في قوله تعالى: ﴿وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾[(١١٢٤)].

وقد أردف علماء البلاغة بين التوازن والتعادل وبلغ من عنايتهم بهذه الظاهرة، أن ذهبوا إلى أن أفضل أنواع السجع، ما توازى جزءاه وتعادلا[(١١٢٥)]. فـــ(الـــسجع على وجوه، منها أن يكون الجزءان متوازيين متعادلين، ولا يزيد احدهما إلى الآخر، من اتفاق الفواصل على حرف بعينه... ومنها ما يكون ألفاظ الجزاءين المـــزدوجين

[(١١٢٠)] الإيقاع في الشعر العربي من البيت إلى التفعيلة: ٣.
[(١١٢١)] ينظر: علوم البلاغة: ٣٣٩؛ علم البديع، د. عبد العزيز عتيق: ١٦٩.
[(١١٢٢)] ينظر: البلاغة: ٦٨.
[(١١٢٣)] ينظر: التبيان في علم البيان، ابن الزملكاني: ١٧٨؛ ينظر: كتاب الصناعتين: ٢٦٦.
[(١١٢٤)] البقرة: ٢٦٧.
[(١١٢٥)] ينظر: جواهر الألفاظ، قدامة بن جعفر: ٣.

مسجوعة، فيكون الكلام سجعا في سجع))[١١٢٦].

بيد أن أبي هلال العسكري، يؤكد على تـوازن فقـرات الجمـل المـسجوعة المزدوجة ويرادف بين التوازن والتعادل.

ويريد العلماء بذلك التوازن الإيقاعي، فالتوازن والتعادل الإيقاعي، هو الأصل في السجع وليس اتحاد الفقرتين في حرف الفاصلة، ولهذا فان العسكري يرى أنه في حالة تعذر مجيء فواصل السجعات على حرف واحد فانه يجـب أن تكـون تلـك الفواصل على زنة واحدة حتى يتحقق (التعادل والتوازن)[١١٢٧].

فان لم يتحقق التوازن والتعادل في الإيقاع العام للفقرات المسجوعة في الكـلام فانه حينئذ لا يكون سجعا، وان اتحدت فواصل الجمـل المزدوجـة فـي الحـرف الأخير[١١٢٨].

وبلغ من اهتمام البلاغيين بهذه الظاهرة الإيقاعية، أن مالوا إلى تفضيل توازن كل لفظة من ألفاظ الفقرة المسجوعة مع ما يقابلها من ألفاظ الجملة الأخـرى، فـان اتفقت مع ذلك على الحرف الاخير سمى الكلام مرصعا[١١٢٩].

ومن إيثار البلاغيين، والنقاد والقدامى، لهذا اللون من الإيقاع القولي العام. أن عدّ، قدامة بن جعفر[١١٣٠]، هذا اللون من أفضل أنواع الـسجع، لأن كـل جـزأين متواليين منه يكون لهما جزءان متقابلان يوافقانهما في الوزن ومقاطع السجع[١١٣١]، ولهذا فانهم سمو الكلام الذي يكون ما في أحدى فقرتيه أو أكثره موازنا ومعادلا من حيث الإيقاع، لما في الأخر، مع عدم اتفاق الألفاظ في الإعجاز فسموه موازنة[١١٣٢].

ومن هنا عدّ ابن الأثير ((إن الأصل في السجع إنما هو الاعتدال في مقـاطع

(١١٢٦) كتاب الصناعتين: ٢٦٨-٢٦٩.
(١١٢٧) م.ن: ٢٧٠.
(١١٢٨) ينظر: التبيان في علم البيان: ١٧٨.
(١١٢٩) ينظر: البلاغة: ٦٩.
(١١٣٠) ينظر: جواهر الألفاظ: ٣.
(١١٣١) البلاغة: ٧٠.
(١١٣٢) البلاغة: ٧٠.

الكلام))[1133].ووافقه العلوي في أن ((المقصود بالسجع في الكلام إنما هو اعتدال مقاطعه وجريه على اسلوب متفق))[1134].

وقد يلحظ من حديث البلاغيين. تداخل بين التوازن والسجع بشكل كبير، إلا أن المائز في ذلك هو أن الموازنة فيها الاعتدال الموجود في السجع ولا تماثل في فواصلها[1135]، فان ((كل سجع موازنة وليس كل موازنة سجعا وعلى هذا فالسجع أخص من الموازنة))[1136].

أما تفسير تلك الظاهرة، فجاء على نمطين:

الأول: رأي العلماء القدامى، في تفسير ميل العرب إلى الإيقاع القولي المتوازن، هو أن النفس بطبيعتها تميل إليه، وأنه يقع منها موقع الاستحسان فتتشوق إليه.

إذ يقول ابن الاثير: ((وإذا كانت مقاطع الكلام معتدلة، وقعت في النفس موقع الاستحسان، وهذا لا مراء فيه لوضوحه))[1137].

وذلك فيما يرى أن الاعتدال مطلوب في جميع الأشياء والنفس تميل إليه بالطبع[1138]. أو هو ((مقصد من مقاصد العقلاء يميل إليه الطبع وتتشوق إليه النفس))[1139].

أما **الثاني:** فهو رأي بعض النقاد المعاصرين، ويتمثل في أن المنشأ النفسي لميل العرب للايقاع المتوازن وشيوعه في الفن القولي، بشكل لافت، وانما هو عائد إلى التركيب النفسي للشخصية العربية القديمة التي طبعت بحياة الصحراء الرتيبة، إذ لا جديد في مشاهدها التي تتكرر كل يوم. فاثر ذلك في ذوقهم وحسهم، حتى انطبع في فنهم[1140].

(1133) المثل السائر: ٢٧٥/١.
(1134) الطراز، العلوي يحيى بن حمزة: ٢١/٣.
(1135) علم البديع، د. عبد العزيز عتيق: ١٦٩.
(1136) المثل السائر: ١١١/١.
(1137) م.ن: ١١١/١.
(1138) م.ن: ١١١/١.
(1139) الطراز: ٢١/٣.
(1140) فجر الاسلام: ٤٥.

وهذا التفسير، وان كان لا يخلو من بعد نفسي فانه تفسير يعتمد علـى البيئـة الطبيعية لعرب الجاهلية، على حين أن تفسير البلاغيـين القـدامى. تفـسير نفـسي بالدرجة الأولى، فقد ذهبوا إلى أن الفقرات المزدوجة المسجوعة إذا اختلف تـوازن الإيقاع كل منها مع الأخرى، من حيث الطول في بعضها، والقـصر فـي الـبعض الآخر فان النص لا يكون حينئذ مقبولا ويذهب حـسنه لاسـيما إذا كانـت الأولـى الطويلة، والثانية هي القصيرة[١١٤١].

ذلك أن النفس عندما تسمع إيقاع الفصل الأول من الفقرة المزدوجة المسجوعة تتوقع إيقاعا مماثلا يوازنه ويعادله ويساويه، في الفصل الثاني منها، فاذا قصر عنه، فانها ستبقى تتطلع إلى ما يشبع حسها ويكمل توازن إيقاع الفصل الثاني مـع الأول، وعندما لا نجد ذلك فانها ستشعر بالنقص فتكون كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثـر دونها[١١٤٢].

وتبقى العملية الإيقاعية في هذا الفن، عملية متشابكة تحدث من خلال تـوازن الفقرات في النص الفني، إذ يعمد فيها إلى مراعاة أمور عدة، فهي ناظرة إلى الحالة الانفعالية للمنشئ، ودرجة توتره، والى موضوع الطرح وأجوائه، أي بيئة اسـتقبال النص.

ومن جهة أخرى، أن المائز البيّن في النص القرآني. أن النص الكـريم فيهـا يعمد إلى متابعة الحالة الانفعالية للمتلقي. وإثارتها، فضلا عن مناسبة ذلك الموضوع الذي تعالجه الآية، ذلك أن للنص القرآني امكانية متفردة في التسلط ومعرفة خبايـا نفوس المتلقين، وما جبلوا عليه، ولذلك يأتي الإيقاع محاكيا ذلك الطبع، إذ إنّ مبـدع الانسان هو مبدع النص القرآني.

إن الموازنة شائعة وكثيرة في القرآن الكريم، وخاصة في المفصل[١١٤٣]. ويبدو أن مرد ذلك يعود إلى أن الإيقاع المتوازن المنسجم، يشد الـنفس إليـه، ويـشوقها

(١١٤١) البلاغة: ٧٣.
(١١٤٢) م.ن: ٧٣.
(١١٤٣) المفصل، من القرآن هو ما يلي المثاني من قصار السور التي تقل آياتها عن المئيتن.

ويجعلها اكثر قبولا للنص القولي، عن طريق خلق جو نفسي موسيقي، تتواءم معه النفس وتشعر بالراحة والطرب، ولما كان قادرا على تنظيم حركتها الشعورية وفق ذبذبات ايقاعه، فمن الطبيعي اذن أن يكون الفن القولي الموقع أسهل حفظا واثبت في الذهن من غير[١١٤٤].

فقد ألتفت النقاد القدامى إلى هذه الظاهرة النفسية وهم يعللون ميلهم إلى مثل هذا اللون من الفنون الموسيقية[١١٤٥].

وقد أشار ابن سينا في خطاباته إلى ذلك، حيث يقول: ((وبالجملة فان السجع والمعطوف والموزون اقرب إلى أن يثبت في الذكر من غيره من الكلام))[١١٤٦].

وإذا عدنا إلى النص القرآني في آيات الأحكام نجده قد أخذ نصيبه من هذا الفن وكما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[١١٤٧].

فالموازنة هنا جاءت بين لفظتين تكررتا بشكل جميل وهما؛

(الصادقين، الكاذبين) و(الكاذبين، الصادقين)، فقد جاء كل زوج على وزن واحد وان اختلفت أحرف التقفية أو المقاطع التي هي فواصلها.

فقد استطاع هذا الوزن أن يمنح النص جمالا في التصوير، وموقعا حسنا، لقرب توارد اللفظتين في موضع الفاصلة على السمع، مما أكسب النص انسجاما

(١١٤٤) البلاغة: ٧٥.
(١١٤٥) ينظر: البيان والتبيين: ٢٧٨/١.
(١١٤٦) الشفاء، الخطابة ابن سينا: ٢٢٧.
(١١٤٧) النور: ٦-٩.

حاضرا عبر توالي اللفظتين وتناوبهما بسرعة في أزمنة متساوية، فظل السمع مترقبا دون أن يفاجئها شيء غير منتظم. لأن مدار الحكم الشرعي هنا، يقوم على الصدق والكذب، فجاءت الفاصلة بهذه الصورة لتجسد مراد الآية الكريمة فكان هذا التوافق بين إيقاع الفاصلة ودلالة الآية.

ونحو ذلك قوله تعالى في آية حرمة الخمر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾(١١٤٨).

وقعت الموازنة في (تفلحون، منتهون)، فقد تساويا في الوزن دون التقفية. ونلاحظ قضية المعنى في الانسجام الموسيقي، فكأن فلاحهم بانتهائهم.

فاستطاع النص القرآني الكريم أن يستثمر الجانب الموسيقي في بسط مراد الحكم الشرعي، من خلال التواؤم الإيقاعي بين الفاصلة ودلالة الآية، والله أعلم.

وقد يأتي التوازن بأكثر من لفظ تحقيقا لدفع إيقاعي شديد ومؤثر وذلك في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلاَقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١١٤٩).

وقعت الموازنة هنا بين (فان الله غفورا رحيم، فإن الله سميع عليم). ونلحظ الجمال الموسيقي الذي أكسبته الموازنة للنص. من حيث الدلالة ومن حيث الإيقاع. فقد ناسبت كل من الفاصلتين الدلالة التي جاءت في سياقها.

(١١٤٨) المائدة: ٩٠-٩١.

(١١٤٩) البقرة: ٢٢٦-٢٢٧.

فالأولى: (غفور رحيم) تلاؤمه دلاليا مع عدول المولي عما قال، فالله تعالى غفور رحيم له لفئته. أما الثانية: (سميع عليم) فقد تلاءمت دلاليا أيضا مع عزم الطلاق، فهو عليم وسميع لما عزموا.

ومن جانب آخر، نلحظ التواؤم بين الفاصلتين دلاليا، بما أوحتا به، من أن الله تعالى مطلع على تصرفات الانسان وما يقوم به من أفعال، ولكل فعل، موقفا وحكما شرعيا والذي يقوي ذلك دلاليا وإيقاعيا، تكرار (أن) المؤكدة فيهما.

أما من حيث الإيقاع فقد فرضت الموازنة بين المقطعين مساحة موسيقية شدت انتباه السامع، لطول تلك الفقرة الموسيقية، واستطاعت بذلك أن تمنح النص قدرة ايحائية على بسط الحكم الشرعي.

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾[١١٥٠].

وردت الموازنة في (بهتانا، ميثاقا) و(مبينا، غليظا).

جاءت هذه الألفاظ على وزن متساو، دون التقفية، ولكن يلحظ فيها أنها تجتمع في إيحاء دلالي وهو القوة، فـ(بهتان) و(ميثاق) و(مبين) و(غليظ) لا يتحقق معناها الدلالي ما لم تآزرها معنى القوة فكان توحد الإيقاع، وتوحد الدلالة الإيحائية، عنصرا فنيا، أسبغ على النص جمالا ونداوة.

إن أمثال هذه الموازنات في القرآن وآيات الأحكام، كثيرة بل معظم آياته جارية على هذا النهج، حتى انه لا يكاد يخرج منه شيء، عنه السجع والموازنة فكانت الموازنة عنصرا فنيا في إمتاع الذوق وتحريك الخيال في تلقي الخطاب و(الحكم

[١١٥٠] النساء: ٢٠-٢١.

الشرعي). فللإيقاع دور فعال في الكشف عن مظاهر النفس وإمكانيته في شد عواطف المتلقي إلى النص، وتيسير حفظها اياه.

ومن هنا حقق الإيقاع بصورته التي تكفل هذا الفصل ببسطها توافقا جماليا محكما مع الأحكام الشرعية التي تضمنتها الآيات موضع الدراسة.

فإذا كانت الدلالة هي الأصل في آية الحكم الشرعي، فان الإيقاع بسط الدلالة بجمال متقن، قاد إلى قبول الحكم الشرعي.

بعد هذه الرحلة الشاقة والمثمرة في رحاب آيات الأحكام، مـــن الـــدرس والبحـــث والتحليل استطاع البحث في حدود محاولاته واستيعابه ان يصل إلى نتائج أجملها بأهم مـــا توصل إليها من مظاهر الجدة والاجتهاد.

أولا: تم في الفصل الأول(وظائف آيات الأحكام) التوصل إلى أهم الوظائف المنبثقة من الغاية أو الوظيفة الأم(الأحكام الشرعية)، فكانت كما يأتي:

- الوظيفة الاجتماعية: وقد عالج هذا المبحث شبكة العلاقات الاجتماعيـــة التـــي ذكرهـــا الـــنص القرآنـــي فـــي آيـــات الأحكـــام، فجـــاءت علـــى ثلاثـــة أبعاد(علاقات،وظواهر،والقيم والمبادئ).
- أمّا الوظيفة النفسية، فقد حددتها الآيات الكريمة، بمحورين هما الأظهر، الأول: تحديد العمليات النفسية أو كشف العنصر النفسي، والآخر: التحكم في النفـــوس وضبطها وتعديلها، فكانت آيات الأحكام كاشفة عن المعرفة النفـــسية للإنـــسان وتوظيف تلك المعرفة في خدمة الاستجابة التشريعية.

أما الوظيفة الأخلاقية، فتكفل هذا المبحث في إظهار ان آيات الأحكام في كل منهـــا مغزى أخلاقي، يتحلى بشكل واضح في الآيات الآمرة والناهية، ليس في حـــدود الـــنص وإنما في حدود ما يخرج اليه النص من الدلالات، وتظهر قيمة المعرفة الاخلاقيـــة مـــن خلال الكيفية التي ساق بها الله تعالى الأحكام، فالنص الكريم حدد المفاهيم الاخلاقية حينما ربطها بتفاصيل الأحكام،وهذا الأخير مرتبط بتفاصيل أفعال الانسان العبادية والعملية.

ثانيا: توصل البحث في الفصل الثاني إلى كشف العلاقات البيانية والصور الفنيـــة القائمة في آيات الأحكام،واستثمار المزايا والخصائص التي تتمتع بهـــا تلـــك العلاقـــات وتوظيفها في خدمة الحكم الشرعي.

فقد خلص المبحث الأول(الاستعمال المجازي) إلى أن المجاز في النص القرآنـــي حقق بعدين، بعدا فنيا، حيث شكّل رؤية متميزة في هيكل النص وصـــورته،وفي تطـــوير الدلالة التي أسهمت في تحديد المعاني وتحقيق مهمة إيضاحية، تمثلت في تربص المعاني

والكشف عن دلالات ورؤى بعيدة، ومقاصد جديدة، والانتقال بالذهن من حالة إلى أخرى من شأنه ان يخلق صورا رائعة ومشاهد مبتكرة.

أما البعد الآخر، فهو الكشف عن كوامن النفس البشرية من خلال الإشـــارة إلـــى الانفعالات الداخلية وكشف تلك الانفعالات،ومن ثم تهذيب النفس الإنسانية وخلق انمـــوذج بشري متكامل.

فضلا عن أن الاستعمال المجازي في آيات الأحكام حفــل بتنـــوع الاســـتعمالات والأساليب من مرسل إلى مؤكد إلى عقلي، وكلها تنصب في خدمة الغاية المرادة من الحكم الشرعي.

وفي المبحث الثاني(فن الشبيه)، توصلت الدراسة إلى تحديد الخصائص الفنية، لفن التشبيه في ثلاثة محاور، الأول:أثره في الصورة أو(الشكل) والمحور الثـــاني:أثـــره فـــي المضمون أو المعنى، أمّا المحور الأخير، فينصب في أثر التشبيه في النفس.

وعلى هذا الأساس حقق التشبيه هدفين، هدف نفسي من خلال التأثير،وهدف عقلي من خلال الإفهام والإبانة.

ومن ثم خلصت الدراسة إلى أن فن التشبيه في النص القرآني لآيات الأحكام، ينشط داخل النسيج التركيبي للنص، ليولد وظيفة افهامية وتأثيرية، يكسب النص الكـــريم طاقـــة تعبيرية فائقة، حيث استطاع ان يبرز المعنى بصورة جلية، وتمام مؤدى، ولا يقصد فـــي النص القرآني إلى التشبيه قصدا لذاته، بل بوصفه حاجة فنية وضرورة بيانية تقوم عليهـــا ضرورة الصياغة والتركيب، ومهمة ادائية لبيان المعنى القرآني بشكل تام وكامل.

أمّا في المبحث الثالث،(التصوير الاستعاري)، فقد كشفت النصوص القرآنية عـــن القيمة الفنية للاستعارة، وأصالتها في جملة السياقات القرآنية، التي أكسبت النص قوة ومتانة في التعبير لا تقوم مقامها صياغة أخرى ولا يشاكلها تعبير مماثل، فالتصوير الاســـتعاري بمفهومه في آيات الأحكام جسد حقيقة الإعجاز القرآني فلا تضاد ولا تناقض بين العلاقات الجديدة والألفاظ في الاستعارة بين الحكم الشرعي الذي يريـــده الله تعـــالى، فالتـــصوير الاستعاري أسبغ على الحكم الشرعي وشاحا فنيا من الجمال والتأثير.

وفي المبحث الرابع(التعبير الكنائي)، أظهر البحث تصدر الدلالة الكنائية في كيـــان

النص القرآني لآيات الأحكام واستثمار خصائصها الفنية ومزاياها الموضوعية التي تجلت في تعدد وسائط الكناية وتنوع أقسامها. وقد خلص البحث إلى بيان الـــتلاؤم بـــين الحكـــم الشرعي بوصفه مفهوما حقيقيا والدلالة الكنائية بوصفها مجازا، واستثمار هذا الأداء فنيـــا وإبلاغيا، ومن ثم فقد استطاعت الدراسة ان تظهر مدى قابلية هذا الفن على تطويع القضايا الشرعية والمسائل الحكمية في أسلوب صياغي معبر بصورة مليئة بالعواطف المـــشحونة والمشاهد المخيلة.

ثالثا: سعى البحث في الفصل الثالث (قضايا أدبية) إلى الكشف عن مستوى الدلالة على صعيد الدلالة الأولية أو المركزية والثانوية، ومن ثم الوقوف عند التبـــاين الـــوظيفي ودلالة وحداتها التركيبية وعلاقاتها الأسلوبية لتتجاوز في دلالاتهـــا ومعانيهـــا وردوهـــا الوظيفي إلى الإيصال الجمالي.

ففي المبحث الأول(المعنى الأول)، بُحثت الدلالة أو المعنى عند العلمـــاء القـــدامى وصولا إلى مفهوم المعنى أو الدلالة عند المحدثين، حتى تبينـــت أهـــم ســـمات المعنـــى وحقيقتيه،وصولا إلى المعنى القرآني ،وأظهر البحث أن المعنى الأول في آيات الأحكـــام، يظهر كدلالة حقيقية لها وجودها في الفهم الجمعي، فيما يسمى بالمصطلح القرآني أو الدلالة الحقيقية الشرعية.

أما المبحث الثاني(معنى المعنى) فتوصل إلى ان النص القرآني في آيات الأحكـــام، حامل لمعان اضافية وثانوية، استثمر النص الكريم طرائق وأساليب فنية بعرضها، تخص إفادة النص،وقد انعكست المعاني الثانوية أو معنى المعنـــى فـــي العنـــصر التـــصويري كـــ(التصوير البياني،وتضافر التصوير البياني،والصور الحسية،والصور الذهنية)، فضلا عن استثمار فن الاقصوصة،وأسلوب الحكيم في ذلك.

أمّا في المبحث الثالث،(الخبر والانشاء)، فقد توصل البحث إلى خاصـــية الـــنص الكريم ومزيته في استعمال التراكيب الجملية استعمالا في غاية الدقة والجمال، مـــستثمرا الطاقات الايحائية في تعزيز مقاصد النص.

فقد اخضعت آيات الأحكام التراكيب الخبرية والإنشائية إلى قصدية النص الشرعي مما أسفر عن التوازن بين الدلالة المضمونية والدلالة الفنية أو الجمالية،وذلك لما تؤديه هذه

التشكيلات البنائية من أثر فعال في توليد فضاءات معرفية وشعورية، تمنح العقل والوجدان قدرة عالية على استيعاب الأحكام والمعارف التي انتجتها الجملة الخبرية أو الانشائية.

وفي المبحث الرابع(التقديم والتأخير)، خلصت الدراسة إلـــى أن أسـلوب التقـديم والتأخير في النص القرآني، له دلالة فنية ترتسم في تقديم أو تأخير الألفاظ على وفق مـا يقتضيه المقام وسياق الموضوع، حيث ظهر الأثر الفني في طيـات هـذه الثنائيـة فـي اعتبارات ومزايا بلاغية تكشف عن أسرار الجمال النصي الكـريم مـن خـلال رصـد النصوص القرآنية لمهمته التعبيرية، فتقديم جزء من الكلام أو تأخيره لا يرد اعتباطا فـي نظم الكلام وتأليفه، وإنما يكون عملا مقصودا يقتضيه غرض بلاغي فني، فـضلا عـن المهمة الدلالية.

رابعا: توصل البحث في الفصل الرابع (الأنماط الموسيقية) إلى ان الإيقاع قد حقق بصورته التي تكفل هذا الفصل ببسطها، توافقا جماليا محكما مع الأحكام الـشرعية التـي تضمنتها الآيات موضوع الدراسة، فإذا كانت الدلالة هي الأصل في آية الحكم الـشرعي، فإن الايقاع يبسط الدلالة بجمال متقن قاد إلى قبول الحكم الشرعي، فقد أظهـر المبحـث الأول(جرس الحروف والألفاظ) شيوع معظم أصوات اللغة العربية في طيات النص، لكل أداء صوتي مناسبة موضوعية تقابلها وغاية فنية تعاضدها.

فكانت الدلالة الصوتية(الأصوات الشديدة والأصوات المهموسة)، مـضمارا فـي استلهام المقاصد التشريعية والتوجيهية وفي رصد ملامح الظاهرة الصوتية فـي الـنص القرآني، يلحظ استثمار مهمة الصوت اللغوي بشكل بالغ في إثارة الاحساس الوجداني عند المتلقي وايقاظ الوعي الانساني إزاء المقاصد الدلالية التي يرمي اليها النص الحكمي.

وقد تم التأكيد في هذا المبحث على القيمة الإيقاعية للألفاظ فـي آيـات الأحكـام ودلالاتها الصوتية والايحائية، حيث استقل اللفظ بحروف معينة اكسبها ذائقة سمعية مؤثرة في النفس، كونت دلالة صوتية منحت النص بعدا فنيا ودلاليا.

وقد تكفل المبحث الثاني، بالوقوف عند تنوع الاساليب الايقاعية، فكان التكرار فـي آيات الأحكام على ثلاثة أنماط(تكرار الحروف،وتكرار الكلمة،وتكرار الجملة) وأن شيوع هذه الظاهرة دلّ على غاية جمالية في اكساب النص النغم المطلوب ودلالية فـي تقويـة

المعنى المقصود.

ومن ثم وقوف البحث عند الجناس في آيات الأحكام،وهي تحقق للنص قيمة صوتية مضافة،لأنه إلحاح على الجانب الموسيقي ، فضلا عما يؤديه ذلك من التأكيد على الدلالة اللفظية.

وأما على صعيد الفاصلة القرآنية، فقد أظهرت الدراسة ان الفاصلة تمثل نخبة صوتية متحدة مع سياق النص الكريم الايقاعي والدلالي، متواشجة مع عناصر النص لتكون نقطة انتهاء التكثيف الصوتي والدلالي للفقرة، أو الآية.

- وقد عالج المبحث الثالث، التركيب الايقاعي في(الموازنة) فكانت عنصرا فنيا في امتاع الذوق وتحريك الخيال في تلقي الخطاب(الحكم الشرعي) فكان لإيقاع(الموازنة) دور فعال في الكشف عن مظاهر النفس وامكانيته في شد عاطفة المتلقي إلى النص وتيسير حفظ الأحكام الشرعية وترسيخها في الأذهان.

تلك هي أبرز النتائج التي رام البحث الوصول اليها في هذه الدراسة، فإذا كانت ذات فائدة وجدوى ،فذلك فضل من الله وذلك أقصى الأماني وإن أصابها شطط هنا أو نقص هناك، فهذه هي طبيعة عمل الإنسان الذي لم يكتب له الكمال، وحسبي بعد هذا كله أنني سعيت وصبرت واستنفرت كل عزيمتي وأضنيت نفسي واجتهدت ويكفيني أجرا المجتهد إن لم يتح لي أجر المصيب،ولله الحمد أولا وآخرا.

ثبت المصادر والمراجع

المصادر القديمة:

- القرآن الكريم .
- ❖ الإتقان في علوم القرآن،السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر،ت٩١١هـ)، تح:محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة،١٩٦٧م.
- ❖ أجود التقريرات(تقريرات بحث النائيني)، السيد أبو القاسم الخوئي،ط٢، بوذرجمهري،طهران.
- ❖ الإحكام في أصول الأحكام،الآمدي(علي محمد الآمدي)، دار الاتحاد العربي للطباعة، ١٩٦٧م.
- ❖ أحكام القرآن، الجصاص(أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص،ت٣٧٠هـ)، تح: عبد السلام محمد علي شاهين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
- ❖ أحكام القرآن، ابن عربي(محمد بن عبد الله)، تح: علي محمد البجاوي،ط٢، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٧م.
- ❖ أحكام القرآن، الشافعي(محمد بن إدريس)، جمعه: أحمد بن الحسين البيهقي،تح: د. عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م.
- ❖ إحياء علوم الدين، الغزالي(أبو حامد محمد بن محمد،ت٥٠٥هـ)، مصر، الأزهر،(د.ت).
- ❖ أدب الكاتب، ابن قتيبة(أبو محمد عبد الله مسلم)،تح: محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط٤، ١٩٦٣م.
- ❖ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني(محمد علي

الشوكاني)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٩٣٧م.

❖ أسباب النزول، الواحدي(أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري،ت٤٦٨هــــ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي،القاهرة، ١٩٥٩م.

❖ أسرار البلاغة، الجرجاني(أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجـــاني، ت٤٧١هــ)، تح:هلموت ريتر، مطبعة وزارة المعارف، استانبول، ١٩٥٤م.

❖ الاشارة إلى الايجاز في بعض أنواع المجاز(أبو محمد عز الدين عبد العزيز عبد السلام الشافعي)،دار الطباعة العامرة، استنابول، ١٣١٢هــ.

❖ الاشتقاق، ابن السراج(أبو بكر محمد بن السهل)،تح: محمد صالح التكريتـــي، مطبعة المعارف، بغداد، ط١، ١٩٧٣م.

❖ أصول البلاغة، البحراني(الإمام كمال الدين ميثم البحراني،ت٦٧٩هــ)، تح: د. عبد القادر حسين، دار الثقافة، الدوحة، قطر، ط١، ١٩٨٦م.

❖ الأصول في النحو، ابن السراج(محمد بن سهل المعروف بابن السراج)، تح: د. عبد الحسين الفتلي، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، ١٩٧٣م.

❖ إعجاز القرآن، الباقلاني(أبو بكر محمد بن الطيب، ت٤٠٣هــ)، تح: أحمـــد صقر، دار المعارف، القاهرة،١٩٥٤م.

❖ إعراب القرآن، النحاس(أحمد محمد اسماعيل النحاس،ت٣٣٨هــ)، تـــح: د. زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٧م.

❖ أمـــالي المرتـــضى،(غـــرر الفوائـــد ودرر القلائـــد) علـــي بـــن الحـــسين الموسوي(ت٤٣٦هــ)، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٤م.

❖ الأوائل، العسكري(أبو هلال بن عبد الله بن سهل العسكري،ت٣٩٥هــ)، دار النشر الثقافة، مطبعة دار الأمل، ١٩٦٦م.

❖ الايضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني(ت٧٣٩هـــ)، تــح: د. عبــد الحميد هنداوي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٨م.

❖ البحر المحيط،أبو حيان(أثير الدين محمد بن يوسف الاندلسي،ت٧٥٤هـــ)، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٨هــ.

❖ البحر المحيط في اصول الفقه،الزركشي(بدر الدين محمد بن بهادر بن عبــد الله الـــشافعي،ت٧٩٤هـــ)،حـــرره د. عمـــر ســـليمان،وزارة الأوقـــاف ،الكويت،١٩٨٨هـ،

❖ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، أبو بكر بن مسعود الكاساني، ط١، مطبعة شركة المطبوعات العلمية، مصر، ١٣٢٧هــ.

❖ البديع، ابن المعتز(عبد الله بن المعتــز،ت١٩٦هـــ)،تــح: كراتشوفــسكي، مطبوعات حب التذكارية، لندن، ١٩٣٥م.

❖ البديع في نقد الشعر، اسامة بن منقذ،،تح: د. أحمد أحمد بــدوي، ود. حامــد عبد المجيد، مراجعة ابراهيم مصطفى، وزارة الثقافــة والارشــاد القــومي، الاقسام الجنوبية.

❖ البرهان في علوم القرآن، الزركــشي(بــدر الــدين محمــد بــن عبــد الله، ت٧٩٤هــ)، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احيــاء الكتــب العربيــة، القاهرة، ١٩٥٧م.

❖ البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن، ابن الزملكاني(كمال الدين عبد الواحــد بن عبد السلام الشافعي، ت٦٥١هــ)، تح: د. أحمد مطلــوب، ود. خديجــة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٤م.

❖ البرهان في وجوه البيان، ابن وهب(اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب

الكاتب)، تح:د. أحمد مطلوب، ود. خديجة الحديثي، بغداد، ١٩٦٧م.

❖ البيان والتبيين، الجاحظ(أبو عثمان عمرو بن بحر، ت٢٥٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، ط٥، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٥م.

❖ تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٠٧هـ.

❖ تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة،(أبو محمد عبد الله مسلم، ت٢٧٦هـ)، تح: أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي، القاهرة، ١٣٧٣هـ.

❖ التبيان في تفسير القرآن، الطوسي(أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ت٤٦٠هـ)، تح: أحمد حبيب القصير، المطبعة العلمية، النجف الاشرف، ١٩٥٧م.

❖ التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن،ابن الزملكاني(أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد)،تح:د. أحمد مطلوب،ود.خديجة الحديثي،بغداد، ١٩٦٤م.

❖ تحرير التحبير في صناعة الشعر وبيان اعجاز القرآن، ابن ابي الاصبع، تح: د. حفني محمد شرف، مطبعة شركة الاعلانات الشرقية، القاهرة، ١٩٦٣م.

❖ تحصيل السعادة، الفارابي(أبو نصر، ت٣٣٩هـ)، مطبعة السعادة، مصر(د.ت).

❖ تذكرة الفقهاء، الحسن بن يوسف بن المطهر المعروف بالعلامة الحلي(ت ٧٢٦هـ)، تح: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث(د.ت).

❖ التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي(محمد بن أحمد الكلبي، ت٧٤١هـ)، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة، ١٣٥٥هـ.

❖ التعريفات،السيد الشريف علي بن محمد،دار الشؤون الثقافية العامة،العراق،بغداد،(د.ت).

❖ تفسير آيات الأحكام، الصابوني(محمد علي) ، حلب، ١٩٩٣م.

❖ تفسير آيات الأحكام، الطباطبائي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،

بيروت(د.ت).

❖ تفسير البرهان، البحراني(السيد هاشم)، النجف (د.ت).

❖ تفسير البيضاوي(أنوار التنزيل وأسرار التأويل)/ البيضاوي(عبد الله بن عمر بن محمد، ت٦٨٥هـ).

❖ تفسير غريب القرآن، الطريحي(فخر الدين بن محمد علي بن أحمد،ت١٠٨٥هـ)،تح:محمد كاظم الطريحي،المطبعة الحيدرية،النجف الاشرف،١٩٥٣م.

❖ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ت٧٧٤هـ)، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٥٦م.

❖ تفسير القرطبي،(الجامع لأحكام القرآن)،محمد أحمد بن أبي بكر فرج القرطبي(ت٦٧١هـ)، دار الشعب، القاهرة،(د.ت).

❖ تفسير القيم، ابن القيم،(ت٧٥١هـ)، جمعه: محمد أويس الندوي، تح: محمد حامد، مطبعة لجنة التراث العربي، بيروت، ١٩٤٨م.

❖ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، الرازي(فخر الدين بن ضياء، ت٦٠٦هـ)، تقديم: الشيخ خليل محيي الدين، مدير الأزهر في لبنان ومفتي البقاع، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.

❖ تفسير مقتنيات الدرر، علي الحائري الطهراني، طهران، ١٣٣٧هـ.

❖ تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، تح: محمد عبد الغني حسن، دار احياء الكتب العربية، القاهرة،(د.ت).

❖ التلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، شرح: عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٣٢م.

❖ تهذيب الأحكام في شرح مقنعة الشيخ المفيد، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد

بن الحسن الطوسي(ت٤٦٠هـ)، نشر دار الكتب الاسلامية، طهران،(د.ت).

❖ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري(أبو جعفر محمد بن جرير، ت٣١٠هـ)، المطبعة الميمنية، القاهرة(د.ت).

❖ جامع السعادات، الشيخ المولى محمد مهدي النراقي، ت١٢٠٩هـ)، تعليق: السيد محمد كلنتر، منشورات جامعة النجف الدينية.

❖ جنان الجناس في علم البديع، صلاح خليل بن إيبك الصفدي، تح: سمير حسين حلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٧م.

❖ جمهورية افلاطون، نقلها إلى العربي: الاستاذ الشيخ حنا خباز، المطبعة العصرية،ط٣(د.ت).

❖ جواهر الألفاظ، قدامة بن جعفر(ت٣٠٣هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت،١٣٩٩هـ.

❖ جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام، الشيخ محمد حسن النجفي، تح: الشيخ عباس القوجاني، طبعة دار احياء التراث العربي، بيروت،(د.ت).

❖ الجوهر الثمين، الشبر(السيد عبد الله، ت١٢٤٢هـ)، مطبعة الكويت، مكتبة الألفين، ط١، ١٤٠٧هـ.

❖ الحيوان، الجاحظ،(أبو عثمان عمرو بن بحر، ت٢٥٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، ط١، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٩٤م.

❖ الخصائص،ابن جني(أبو الفتح عثمان، ت٣٩٢هـ)،دار الكتب المصرية، القاهرة،(د.ت).

❖ الخطابة،أرسطو، ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م.

❖ الخطابة في كتاب الشفاء، ابن سينا(الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله،

ت٤٢٨هـ)، تح:د. محمد سليم سالم، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٤م.

❖ الخلاف، الطوسي(الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن، ت٤٦٠هـ)، تح: جماعة من المحققين، الناشر مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ١٤٠٧هـ.

❖ الدر المنثور في التفسير بالمأثور،السيوطي،(جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت٩١١هـ)،منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية،بيروت،(د.ت).

❖ دلائل الاعجاز، الجرجاني،(عبد القاهر بن عبد الرحمن، ت٤٧١هـ)، تصحيح محمد عبده، ومحمد محمود التركزي، مطبعة مجلة المنار، القاهرة، ١٣٢١هـ.

❖ الذريعة إلى أصول الشيعة، السيد المرتضى(ت٣٤٣٩هـ)،تح:د. أبو القاسم الكارجي، جامعة طهران،١٣٧٦هـ.

❖ الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الشيخ آقابزرك الطهراني(ت١٣٩٠هـ)،دار الاضواء،بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

❖ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي(أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي،ت١٢٧٠هـ)، ادارة الطباعة المنيرية، القاهرة،(د.ت).

❖ الروض المريع في صناعة البديع، ابن البناء المراكشي العددي، تح: رضوان بنشقدون، ١٩٨٥م.

❖ زبدة البيان في أحكام القرآن،الاردبيلي(المولى أحمد بن محمد المعروف بالمقدس،ت٩٩٣هـ)، تح: محمد باقر البيهودي، نشر المكتبة المرتضوية، طهران.

❖ سر الفصاحة، الخفاجي(أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي،ت٤٦٦هـ)، تح: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة علي صبيح،

القاهرة، ١٩٦٩م.

❖ شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام، المحقق الحلي(أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن المشهور بالمحقق الحلي)، تعليق: السيد صادق الشيرازي ، طهران،(د.ت).

❖ شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري(ت٧٦٩هـ)،تح:محمد محيي الدين عبد الحميد(د.ت).

❖ شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور الأشبيلي، تح: د. صاحب أبو جناح، مطبعة مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٠م.

❖ شرح شذور الذهب، ابن هشام جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف(ت٧٦١هـ)،تح: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق،ط١، ١٩٨٤م.

❖ شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، صفي الدين الحلي(عبد العزيز بن سرايا بن علي السنبسي الحلي،ت٧٥٠هـ)، تح: د. نسيب نشاوي، ط٢، دار صادر، بيروت،١٩٩٢م.

❖ شرح المفصل، يعيش بن علي يعيش، عالم الكتب، بيروت،(د.ت).

❖ شرح المنار في الأصول، عبد اللطيف الشهير بابن مالك، طبعة استانبول(د.ت).

❖ الشعر والشعراء، ابن قتيبة(أبو محمد عبد الله بن مسلم)،تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٦٦م.

❖ الصحاح(تاج اللغة وصحاح العربية)، الجوهري(اسماعيل بن حماد، ت٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

❖ الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية، ابن فارس(أبو الحسن أحمد بن فارس

بن زكريا، ت٣٩٥هـ)، مطبعة المؤيد، القاهرة، ١٩١٠م.

❖ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، العلوي(يحيى بن حمزة ،ت٧٤٩هـ)، مطبعة المقتطف، القاهرة، ١٩١٤م.

❖ عدة الأصول، الطوسي(أبو جعفر الطوسي)، مطبعة برساديميء، طبعة حجرية،١٣١٨هـ.

❖ العقد الفريد، ابن عبد ربه(أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي، ت٣٢٧هـ)، تح: أحمد أمين وآخرين، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م.

❖ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق(أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني،ت٤٥٦هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢م.

❖ عيار الشعر، ابن طباطبا،(أبو الحسن محمد بن أحمد طباطبا العلوي،ت٢٢٢هـ)، تح: د. طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، شركة فن الطباعة، القاهرة، ١٩٥٦م.

❖ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، الشوكاني(محمد بن علي الشوكاني، ت١٢٥٠هـ)، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٠هـ.

❖ الفروق في اللغة، أبو هلال العسكري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٧٩م.

❖ فقه القرآن، الراوندي(أبو الحسن سعيد بن هبة الله الراوندي،ت٥٧٣هـ)، تح: أحمد الحسيني، مطبعة الولاية، قم، ايران، ط٢، ١٤٠٥هـ.

❖ القاموس المحيط، الفيروزآبادي(محمد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي،ت٨١٧هـ)، المطبعة الحسينية، القاهرة، ١٩٣٥م.

❖ قواعد الشعر، ثعلب(أبو العباس أحمد بن زيد النحوي الشيباني،ت٢٩١هـ)، تح:

محمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٤٨م.

❖ الكامل في اللغة والأدب ، المبرد(أبو العباس محمد بن يزيد، ت٢٨٥هـ)، تح: تغريد بيضون زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٩م.

❖ كتاب أرسطو في الشعر، ترجمة: بشير بن متى، تح: شكري عياد، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

❖ الكتاب، سيبويه(أبو بشر عمرو،ت١٨٠هـ)، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط٢، ١٩٧٧م.

❖ كتاب الصناعتين، العسكري،(أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، ت٣٩٥هـ)، تح: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧١م.

❖ كتاب العين، الفراهيدي(الخليل بن أحمد،ت١٧٥هـ)، تح: مهدي المخزومي،ود. إبراهيم السامرائي، دار السلام، ١٩٨١م.

❖ كتاب الفصوص، الفارابي(أبو نصر، ت٩٣٩هـ)، القاهرة،(د.ت).

❖ كتاب الفوائد، ابن قيم الجوزية(أبو عبد الله محمد بن أبي أيوب، ت٧٥١هـ)، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٧هـ.

❖ كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي(محمد علي بن علي التهانوي الفاروقي ،من علماء ق١٢هـ)، نشر أحمد جودت، مطبعة اقدام، استانبول، ١٣١٧هـ.

❖ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري،(أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي، ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت،(د.ت).

❖ كنز العرفان في فقه القرآن، الشيخ جمال الدين المقداد بن عبد الله السيوري،(ت٨٢٦هـ)، تعليق: الشيخ محمد باقر شريف زاده، من منشورات

المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، طهران،(د.ت).

❖ لسان العرب، ابن منظور(جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري،ت٧١١هـ)، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، القاهرة،(د.ت).

❖ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير(أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الأثير الجزري،ت٦٣٧هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي، القاهرة، ١٩٣٩م.

❖ مجاز القرآن، أبو عبيدة(معمر بن المثنى،ت٢١٠هـ)، تح: د. محمد فؤاد سزكين، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٧٠م.

❖ مجمع البحرين، الطريحي(فخر الدين بن محمد علي بن أحمد، ت١٠٨٥هـ)، تح: أحمد الحسيني، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، ١٩٦١م.

❖ مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي(أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ت٥٤٨هـ)، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٣٣هـ.

❖ المحصول في علم الأصول، الرازي(فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن الرازي، ت٦٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: د. طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م.

❖ المحلى، ابن حزم(علي بن محمد أحمد، ت٤٥٦هـ)، دار الطباعة المنيرية، ١٣٤٧هـ.

❖ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي،(ت٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم وآخرين، مطبعة عيسى البابي، القاهرة، ١٩٥٨م.

❖ مسالك الافهام إلى آيات الأحكام، للفاضل الجواد الكاظمي(ت أواسط ق١١)، تعليق:الشيخ محمد باقر شريف زاده، نشر المكتبة الرضوية، طهران(د.ت).

❖ المستصفى في علم الأصول، الغزالي(أبو حامد بن محمد)، بولاق، المطبعة

الأميرية، القاهرة، ١٣٢٢هـ.

❖ معاني القرآن، الفراء،(أبو زكريا يحيى بن زياد،ت٢٠٧هـ)، تح: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٥٥م.

❖ معجم مفردات ألفاظ القرآن ،الاصفهاني(الراغب أبو القاسم الحسين بن محمد)، تح: نديم مرعشلي، القاهرة، ١٩٧٣م.

❖ معجم مقاييس اللغة، ابن فارس(أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، ت٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، طهران، ١٤٠٤هـ.

❖ المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار، أبو الحسن الأسدآبادي، حقق بإشراف: طه حسين وابراهيم مدكور، وزارة الثقافة والارشاد القومي، مصر، ١٩٦٠م.

❖ مفتاح العلوم، السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي الخوارزمي،ت٢٢٦هـ)، المطبعة الأدبية، القاهرة، ١٣١٧هـ.

❖ المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني(الحسين بن محمد بن المفضل،ت٥٠٢هـ)،تح: محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي، القاهرة،١٩٦١م.

❖ المقتضب، المبرد(أبو العباس محمد بن يزيد،ت٢٨٥هـ)، تح: محمد بن الخالق عضيمة، نشر المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة، ١٣٨٦هـ.

❖ مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون(ت٨٢١هـ)، القاهرة،(د.ت).

❖ ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيه المتشابه باللفظ من آي التنزيل، أحمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي العاصي الغرناطي(ت٧٠٨هـ)، تح: سعيد فلاح، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

❖ مناهج الوصول في علم الاصول، البيضاوي، القاهرة(د.ت).

❖ المنخول في تعليقات الأصول، الغزالي، تح: أحمد الكبيسي(د.ت).

❖ منتهى المرام في شرح آيات الأحكام، المرتضى(محمد بن الحسن بن القاسم بن محمد)، دار الميمينة، ط١، ١٩٨٦م.

❖ منهاج البلغاء وسراج الأدباء، القرطاجني(أبو الحسن حازم القرطاجني،ت٦٨٤هـ)،تح: محمد الحبيب بن الخوجة، المطبعة الرسمية، تونس، ١٩٦٦م.

❖ الموازنة بين الطائيين، الآمدي(أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي،ت٣٧٠هـ)،تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٩م.

❖ الميزان في تفسير القرآن ،العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت،(د.ت).

❖ نزهة القلوب في غريب القرآن ، السجستاني(أبو بكر محمد الغريري)، القاهرة، ١٩٦٤م.

❖ نقد الشعر، قدامة بن جعفر، الكاتب البغدادي(ت٣٣٧هـ)، تح: كمال الدين مصطفى، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٦٣م.

❖ نقد النثر، قدامة بن جعفر، الكاتب البغدادي(ت٣٣٧هـ)، تح:طه حسين،وعبد الحميد العبادي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٣م.

❖ النكت في اعجاز القرآن ،(ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن)، الرماني(أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، ت٣٨٦هـ)، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة،(د.ت).

❖ نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري(شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب القريش،ت٧٣٣هـ)، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، الهيأة المصرية العامة

للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥م.

❖ نهاية الايجاز في دراية الاعجاز، الرازي(فخر الدين محمد بن عمـــر بـــن الحسين،ت٦٠٦هــ)، مطبعة الآداب والمؤيد، القاهرة، ١٣١٧هــ.

❖ النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير(أبو السعادات الجــزري) ،دار احيـــاء الكتب العربية، ١٩٦٣م.

❖ همع الهوامع، السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن)، شرح: الاستاذ عبد السلام هارون،ود. عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٧٥م.

❖ وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الشيخ محمد بن الحـــسن الحـــر العاملي(ت١١٠٤هــ)، تح: الشيخ عبد الرحيم الربـــاني الـــشيرازي، طبـــع المطبعة الاسلامية، طهران،(د.ت).

❖ الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني(علي بن عبـــد العزيـــز)، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم،وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيـــسى البـــابي، ط٤، ١٩٦٦م.

المراجع الحديثة:

- ❖ أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام في آيات القرآن التشريعية، عبد القادر عبد الرحمن السعيدي، مطبعة الخلود، بغداد، ط١، ١٩٨٦م.
- ❖ الأخلاق عند الغزالي،د. زكي مبارك، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،(د.ت).
- ❖ الأخلاق والحياة الاقتصادية، فرنسواسليه، ترجمة: د. عادل العوّا، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط٣، ١٩٨٤م.
- ❖ الأخلاق والمجتمع،د. زكريا ابراهيم، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٦٦م.
- ❖ أدب العرب في العصر الجاهلي، د. حسين الحاج حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
- ❖ اساليب البيان في القرآن، سيد جعفر الحسيني، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، طهران،ط١، ١٤١٣هـ.
- ❖ اساليب المعاني في القرآن ، سيد جعفر الحسيني، مركز الطباعة والنشر التابع لمكتبة الاعلام الاسلامي، قم، ٢٠٠٧م.
- ❖ أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم،محمود السيد شيخون،القاهرة،١٩٧٨م.
- ❖ الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية،د. مجيد عبد الحميد، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت،(د.ت).
- ❖ الاسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت، القاهرة، دار المعارف(د.ت).
- ❖ الاسلام والأدب،د. محمود البستاني، المكتبة الأدبية المختصة، دور شهر، قم، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ❖ الاسلام وعلم الاجتماع، د. محمود البستاني، مجمع البحوث الاسلامية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

❖ الاسلام وعلم النفس، د. محمود البستاني، مجمع البحوث الاسلامية، ايـــران، ط١، ١٤٠٩هـــ.

❖ الإسلام والفن، د. محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية،مشهد، إيـــران، ط١، ١٤٠٩هـــ.

❖ الإسلام ونظام الطبقات، الشيخ محمد حسن آل ياســين، مطبعــة المعــارف، بغداد، ط١، ١٩٥٩م.

❖ الأصول،د. تمام حسان، وزارة الثقافة والاعلام،دار الشؤون الثقافية، بغــداد، ١٩٨٨م.

❖ الأصوات اللغوية، ابراهيم أنيس، مكتبة الانجلو،القاهرة، ط٥، ١٩٧٥م.

❖ الأصوات اللغوية وطرق الاستنباط،د. حمد عبيد الكبيسي، بغداد(د.ت).

❖ أصول الفقه، الشيخ محمد رضا المظفر، مطبعة النعمان، النجف الاشــرف، ط٢، ١٩٦٦م.

❖ الأوضــاع التــشريعية فــي الــدول العربيــة، د. صــبحي محمــصاني، بيروت،(د.ت).

❖ الاعجاز الفكري في القرآن،د.السيد الجميلي،دار ابن زيدون،بيروت،ط٢، ١٩٨٦م.

❖ اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرفاعي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط٦، ١٩٥٦م.

❖ الايقاع في الشعر العربي من البيت إلى التفعلية،د. مصطفى جمــال الــدين، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف، ١٩٧٤م.

❖ البحث الدلالي عند ابن سينا، د. مشكور كاظم العوادي، مؤسسة الــبلاغ، دار سلوني، بيروت، ٢٠٠٣م.

❖ البحث النحوي عند الأصوليين،د.مصطفى جمال الدين،دار الرشيد،بغداد، ١٩٨٠م.

❖ بحوث في القرآن الكريم،آية الله السيد محمد تقي المدرسي، دار محبي الحسين، ط٣، ٢٠٠٤م.

❖ بحوث لغوية،د. أحمد مطلوب، بغداد،(د.ت).

❖ البديع في ضوء أساليب القرآن ،د. عبد الفتاح لاشين، مكتبة الانجلو المصرية، ط٣، ١٩٨٦م.

❖ البلاغة،د.مجيد ناجي، الجامعة المستنصرية، مكتبة حداد للطباعة(د.ت).

❖ البلاغة العربية ،قراءة أخرى،د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية،ط١(د.ت).

❖ البلاغة القرآنية في تفسير الكاشف،د. محمد أبو موسى، دار الفكر العربي،(د.ت).

❖ بلاغة الكلمة والجملة والجمل،د. منير سلطان، الاسكندرية، ١٩٨٨م.

❖ البلاغة الواضحة، علي الجارم،ومصطفى أمين، دار المعارف، مصر،١٩٦٩م.

❖ البيان والبديع،د. طالب محمد الزوبعي،ود. ناصر الحلاوي، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

❖ تأويل القرآن النظرية والمعطيات، السيد كمال الحيدري، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

❖ التصوف الاسلامي، د. زكي مبارك، القاهرة،(د.ت).

❖ التصوير البياني،د. حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، ط٢(د.ت).

❖ التطور اللغوي التاريخي، د. ابراهيم السامرائي، دار الاندلس للطباعة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨١م.

❖ التعبير القرآني،د. فاضل السامرائي، جامعة بغداد، بيت الحكمة،١٩٨٦م.
❖ تفسير آيات الأحكام،الاستاذ الشيخ محمد علي السايس،مطبعة محمد علي صبيح(د.ت).
❖ تفسير البيان، السيد أبو القاسم الخوئي، المطبعة العلمية في النجف ،(د.ت).
❖ التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن(بنت الشاطيء)، دار المعارف، مصر، ط٤(د.ت).
❖ تفسير القرآن الكريم، العلامة المحقق السيد عبد الله شبر،(ت١٢٤٢هـ)، دار احياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠٧م.
❖ تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المنار، مصر، ١٣٧٣هـ.
❖ الجديد في تفسير القرآن، السبزواري، ط١، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٢١هـ.
❖ جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي، ماهر مهدي صلال، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م.
❖ جنود العقل والجهل، آية الله العظمى الإمام الخميني، تعريب: العلامة أحمد الفهري، مؤسسة النبراس للطباعة، العراق، النجف الاشرف،ط١، ٢٠٠٤م.
❖ جوانب في نظرية النحو، نعوم شومسكي، ترجمة: مرتضى جواد باقر، الموصل، ١٩٨٥م.
❖ خصائص العربية ومنهجها الأصيل في التجديد والتوليد،د. محمد المبارك، القاهرة، مطبعة النهضة(د.ت).
❖ دراسات عن سور القرآن ،العلامة الشيخ محمد جواد المحتصر السعيدي النجفي، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، ١٩٨٢م.
❖ دراسات فنية في صور القرآن ،د. محمود البستاني، مجمع البحوث الاسلامية، مشهد، ط١، ١٤٢١هـ.

❖ دراسات في النقد الأدبي، د. أحمد كمال زكي، دار الاندلس، ط٢، ١٩٨٠م.

❖ دراسات في فقه اللغة،د.صبحي صالح،منشورات المكتبة الأهلية،بيروت، ط٢،(د.ت).

❖ دراسة في المشاكل الاخلاقية والنفسية، مجتبى الموسوي الـلاري، تعريـب: محمد هـادي اليوسـفي الغـروري، مكتبـة النـشر للثقافـة الاسـلامية، ايران،ط٣(د.ت).

❖ دروس تمهيدية(في تفسير آيات الأحكام) الشيخ باقر الايروانـي، دار الفقـه للطباعة، ايران، ط٢، ١٤٢٥هـ.

❖ دروس في علم الأصول، السيد محمد باقر الـصدر، دار الكتـاب اللبنـاني، بيروت، ط١، ١٩٧٨م.

❖ دلالات التراكيب (دراسة بلاغية) د.محمد أبو موسى، القاهرة، ط١، ١٩٧٩م.

❖ الدلالة اللغوية عند العرب، عبد الكريم مجاهد، دار الضياء، عمان، ١٩٨٥م.

❖ دلالة الألفاظ، د. ابراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط٣، ١٩٧٦م.

❖ دلالة المفردة القرآنية(لا جناح انموذجا)، أ.د. عبد ألأمير زاهد، بيت الحكمة، بغداد، ط١، ٢٠٠٦م.

❖ دور الكلمة في اللغة، استيفان اولمان، ترجمة: د. كمال محمد بـشر، مكتبـة الشباب، ط١، ١٩٨٦م.

❖ الشعر والتجربة، ارشيبالد مكليش، ترجمة: سـلمى الخـضراء الجيوسـي، مراجعة: توفيق صايغ، دار اليقظة العربية، بيروت، ١٩٦٣م.

❖ الصور البيانية،د. حفني محمد شرف، مطبعة النهضة،مصر القاهرة، ١٩٦٥م.

❖ الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د. جابر عصفور، دار التنـوير للطباعة، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

❖ الصورة الفنية في المثل القرآني، أ.د. محمد حسين علي الصغير، دار الهادي، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
❖ الصورة والبناء الشعري،د. محمد حسن عبد الله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.
❖ عضوية الموسيقى في النص الشعري،د. عبد الفتاح صالح نافع، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط١، ١٩٨٥م.
❖ علم أساليب البيان، د. غازي يموت، دار الأصالة، بيروت، ١٩٨٣م.
❖ علم الأصوات العام،د. نهاد الموسى وآخرون،منشورات جامعة القدس المفتوحة،ط١، عمان،الأردن،١٩٩٧م.
❖ علم الاشارة(السيميولوجيا)، بيير جيرو، ترجمة: د. منذر عياشي، طبع دار طلاس للدراسات والنشر، ١٩٩٢م.
❖ علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، القاهرة،(د.ت).
❖ علم البديع، د. عبد العزيز عتيق، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.
❖ علم البديع،د. بسيوني عبد الفتاح، مؤسسة المختار، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٤م.
❖ علم البيان، د. عبد العزيز عتيق، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.
❖ علم البيان، د. بسيوني عبد الفتاح، مؤسسة المختار، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٤م.
❖ علم الدلالة،د. أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة للنشر، ط١، ١٩٨٢م.
❖ علم الدلالة العربي، فايز الداية، ١٩٨٤م(د.م.).
❖ علم المعاني، د.درويش الجندي، القاهرة،(د.ت).
❖ علم المعاني، د.بسيوني عبد الفتاح، مؤسسة المختار، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٤م.
❖ علم المعاني،د. عبد العزيز عتيق، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

❖ علم المعاني وأساليب البلاغة، د. طاهر عبد الرحمن قحطان، مكتبة الارشاد، صنعاء، ط١، ١٩٩٧م.

❖ علم النفس التجريبي، بول فرنسيس، ترجمة: موريس شربل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط٢، ١٩٨٣م.

❖ علم النفس الفني،د. أبو طالب محمد سعيد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد ــ كلية الفنون الجميلة، ١٩٩٠م.

❖ علم النفس في الفن والحياة، د. يوسف مراد، دار الهلال، ١٩٦٦م.

❖ علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراعي، دار القلم، بيروت،(د.ت).

❖ فجر الاسلام، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، ط٦، ١٩٥٠م.

❖ فقه الأخلاق،آية الله العظمى(الشهيد الثاني) السيد محمد الصدر، مطبعة الآداب، النجف الاشرف،(د.ت).

❖ فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، ط٨(د.ت).

❖ فقه اللغة العربية، د. كاصد ياسر الزيدي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، ١٩٨٧م.

❖ فقه اللغة وخصائص العربية، د. محمد مبارك، دار الفكر، ط٧، ١٩٨١م.

❖ الفلسفة الأخلاقية في الفكر الاسلامي، د. أحمد محمود صبحي، دار المعارف، مصر(د.ت).

❖ فلسفة المجاز، لطفي عبد البديع، بيروت(د.ت).

❖ فن البديع،د. عبد القادر حسين، دار الشؤون الثقافية، ط١، ١٩٨٣م.

❖ في رحاب القرآن ، محمد مهدي الآصفي، الشرق للثقافة والنشر، ط١، طهران، ٢٠٠٤م.

❖ في ظلال القرآن ، سيد قطب، ط٥، ١٩٦٧م.

❖ في اللهجات العربية،د. إبراهيم أنيس، المطبعة الفنية الحديثة، مكتبة الانجلـــو المصرية،ط٣، ١٩٦٥م.

❖ في نحو اللغة وتراكيبها، منهج وتطبيق،د. خليل أحمد عمايرة،جدة، ط١، ١٩٨٤م.

❖ القرآن في الاسلام، الاستاذ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، تعريب: أحمد الحسيني، دار الزهراء للطباعة، بيروت، ط١، ١٩٧٣م.

❖ قضايا الشعر المعاصر،د.احمد زكي أبو شادي، الشركة العربيـــة للطباعـــة، القاهرة، ١٩٥٩م.

❖ قضايا لغوية قرآنية، أ.د. عبد الأمير زاهد، مطبعة أنوار دجلة، بغـــداد، ط١، ٢٠٠٣م.

❖ قلائد الدرر فـــي بيـــان آيـــات الأحكـــام بـــالأثر، العلامـــة الـــشيخ أحمـــد الجزائري،(ت١١٥١هــ)، مطبعة الآداب، النجف الاشرف،(د.ت).

❖ قواعد النقد الأدبي،آبركرمبي لاسل، ترجمة: محمـــد عـــوض محمد،مـــصر، ١٩٤٤م.

❖ كتاب الأخلاق، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩م.

❖ اللغة الشاعرة، مزايا الفن والتبصير في اللغة العربية، عباس محمود العقـــاد، المكتبة العصرية، بيروت،(د.ت).

❖ اللغة في الأدب الحديث بين الحداثة والتجريب،جاكوب كورك، ترجمة: ليون يوسف وعزيز عمانوئيل، دار المأمون للترجمة والنشر،(د.ت).

❖ اللهجات العربية،د. ابراهيم أنيس، المطبعـــة الفنيـــة الحديثـــة، دار الانجلـــو المصرية(د.ت).

❖ مبادئ علم النفس العام،د. يوسف مراد، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٦٦م.

❖ المدخل إلى علم اللغة ومنهاج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م.

❖ المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية، د.عبد الكريم زيدان،جامعة بغداد،ط٦، ١٩٦٤م.

❖ المذاهب الاخلاقية الكبرى، فرنسوا اغريغوار، ترجمة: قتيبة المعروف، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط٣، ١٩٨٤م.

❖ المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، د. عبد الله الطيب المجذوب، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ط١، ١٩٥٥م.

❖ المعاني الثانية في الاسلوب القرآني، د. فتحي أحمد عامر، الاسكندرية، ١٩٧٦م.

❖ المعاني في ضوء اساليب القرآن ، عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٨م.

❖ معاني النحو،د. فاضل صالح السامرائي،ساعدت جامعة بغداد على نشره،١٩٩١م.

❖ مفهوم الشعر(دراسة في التراث النقدي)،د. جابر عصفور، المركز العربي للثقافة والعلوم، ١٩٨٢م.

❖ المفيد في البلاغة والتحليل الأدبي،أحمد أبو حاقة،دار المنار للبطاعة، ط٢(د.ت).

❖ من أسرار اللغة،د. ابراهيم أنيس، القاهرة، ط٥، ١٩٧٥م.

❖ منة المنان في الدفاع عن القرآن،آية الله العظمى السيد محمد الصدر، دار النجوى، بيروت،(د.ت).

❖ مناهج البحث في اللغة،د. تمام حسان، دار الثقافة، القاهرة،١٩٧٩م.

❖ منهاج الصالحين، الخوئي(مجموعة فتاوى آية الله العظمى السيد أبي القاسم الخوئي)،ط٢٨(د.ت).

❖ مواهب الرحمن في تفسير القرآن ،آية الله العظمى السيد عبد الأعلى السبزواري، مطبعة الديواني، بغداد، ط٣، ١٩٨٩م.

❖ المواقف الأخلاقية، روجيه ميل، ترجمة: د. عادل العوّا، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط١، ١٩٨٧م.

❖ موسوعة أخلاق القرآن،د.أحمد الشرباصي، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧١م.

❖ نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، د.ألفت كمال الروبي، دار التنوير للطباعة، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

❖ النقد ألأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٥٤م.

❖ النقد الأدبي الحديث،د. محمد غنيمي هلال، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٤، ١٩٦٩م.

❖ نحو القرآن ، د. أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي،بغداد، ١٩٧٤م.

❖ الوجيز في أصول الفقه، د. عبد الكريم زيدان، مطبعة سلمان ،الأعظمية، بغداد، ط٣، ١٩٦٧م.

البحوث المنشورة والمخطوطة:

❖ الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، يحيى أحمد، مجلة عالم الفكر، مج٢، ع٤، ١٩٨٩م.

❖ الترادف،د. علي الجارم، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع١، ١٩٣٥م، المطبعة الأميرية، بولاق.

❖ دلالة البيان في تفسير النص القرآني بين الدال الوظيفية الافهامية،د. صباح عنوز، مجلة كلية الدراسات الاسلامية، ع٢، ٢٠٠٦م.

❖ سير السالك في فكر أهل العرفان(دراسة أخلاقية)،د. نعمة ابــراهيم، مجلــة المبين، ع٢، ٢٠٠٥م.

❖ الصوت اللغوي في فواصل الآيات القرآنية، أ.د. محمد حسين علي الصغير، مجلة كلية الدراسات القرآنية، ع١، ٢٠٠٥م.

❖ ظلال المعاني بين الدراسات التراثية وعلم اللغة الحديث، د. علــي زويــن، مجلة آفاق عربية، آيار، ١٩٩٠م، السنة الخامسة عشرة.

❖ الفاصلة طبيعتها الايقاعية وأنواعها ووظيفتهــا،أ.د.زهيــر غــازي زاهــد،بحث مخطوط.

❖ محاضرات في قضايا بلاغية،أ.د. محمد حسين علي الصغير، ألقيــت علــى طلبة الدكتوراه، أدب، جامعة الكوفة ــ كلية الآداب، قــسم اللغــة العربيــة، ٢٠٠٣ــ٢٠٠٤م.

❖ مقدمة منهجية في تحليل النص القرآني،(آيات الأحكام انموذجــا)،أ.د. عبــد الأمير كاظم زاهد، السدير، ع٩، ٢٠٠٤م.

❖ مفهوم الايقاع، محمد هادي الطرابلسي، حوليات الجامعــة التونــسية، كليــة الآداب، ع٣٢، ١٩٩١م.

الرسائل الجامعية:

❖ الأخلاق عند فلاسفة المغرب العربي، سامي شهيد الميالي، رسالة دكتــوراه مقدمة إلى مجلس كلية الآداب ــ جامعة الكوفة، ٢٠٠٥م، طباعة الكترونية.

❖ التقديم والتأخير في القرآن الكريم، عز الدين محمد أمــين ســليمان، رســالة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية التربية للبنات ــ جامعة بغداد، ١٩٩٧م، على الآلة الطابعة.

❖ التناوب الدلالي بين الخبر والانشاء في التعبيـــر القرآنـــي، مديحـــة كـــاظم السلامي، رسالة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية الآداب ــ جامعـــة الكوفـــة، ٢٠٠٧م.طباعة الكترونية.

❖ دراسة في الأسس العلمية للفلسفة الأخلاقية عند سيبنوزا، زيد عباس كـــريم، رسالة دكتوراه، مقدمة إلى مجلس كلية الآداب ــ جامعة الكوفـــة، ٢٠٠٧م، طباعة الكترونية.

❖ الدلالة المركزية والدلالة الهامشية بين اللغويين والبلاغيين، رنا طه رؤوف، رسالة ماجستير ، مقدمة إلـــى مجلـــس كليـــة التربيـــة للبنـــات ــ جامعـــة بغداد،٢٠٠٢م، طباعة الكترونية.

❖ مفهوم الجملة عند سيبويه، حسن عبد الغني الأسدي، رسالة دكتوراه، مقدمـــة إلى مجلس كلية الآداب ــ جامعة بغداد، ١٩٩٩م، طباعة الكترونية.

College of Arts
Department of Arabic Language

The Verses of the Provisions of the Holy Quran Technical study

A thesis Submitted to
The Council of the College of Arts University of Kufa

by

We'am Khadem Gawad Smasim

In Partial fulfillment for the requirements of
Ph.D. Degree in Arabic Language and its Literatures

Supervised by

Assist. Prof. Hakem Habeeb Al-Krhady (Ph.D)

2008 A.D. 1429 A.H.

Summery

The importance of this study is to establish a literary field whishing to have an independent space which is the legislative literature because of its from and ancential importance.

The legislative verses were not studied technically in an independent study stand in the Quran literary studies of the searching form.

The study is basing on showing the technical values in the legislatives verse and attempting to find them in various forms for their role in strengthening the meaning references besides getting beauty and intention signs.

The purpose of the study is to expand the treating with Quran verses starting from the technical issues passing of analysing the text performance.

The study is divided into an introduction four chapters and an end.

The first chapter was entitled(the diction performance) which focused on the technical dimentions and the beauty elements while the second chapter was dealing with the literary dimentions of the reference and style which was entitled (literary issues), the third chapter studied the musical styles of the provisions verses, the fourth chapter which was entitled(the functions of the verses of provision and finally the search was ended by the most important conclusion.